مرجان كمالي

مكتبة

جلسة شاي في أصفهان

رواية

المركز الثقافي العربي

كتب مرجان كمالي ..

هدية من رغد ..

لقد أحببت أن تقرأوها ..

ومكتبة كانت الوسيط! ..

مرجان كمالي

جلسة شاي في أصفهان

الكتاب
جلسة شاي في أصفهان
تأليف
مرجان كمالي
ترجمة
رباب فاضل حسن
مراجعة
هيئة التحرير
في المركز الثقافي العربي
الطبعة
الأولى، 2025
الإيداع القانوني:
2025MO4188
الترقيم الدولي:
ISBN: 978-9920-657-97-6
جميع الحقوق محفوظة
© المركز الثقافي العربي
الناشر
المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء - المغرب
ص.ب: 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 303339 0522 - 307651 0522
فاكس: 305726 522 212+
Email: markaz.casablanca@gmail.com

العنوان الأصلي للرواية:
Marjan Kamali
Together Tea
© 2013 by Marjan Kamali
All rights reserved

مكتبة
t.me/soramnqraa

مرجان كمالي

مكتبة
t.me/soramnqraa

جلسة شاي في أصفهان

رواية

ترجمة: رباب فاضل حسن

المركز الثقافي العربي

أهدي هذا الكتاب إلى والديَّ

تقديراً للحب الذي غمراني به

سجل في مكتبة

اضغط الصفحة

SCAN QR

الجزء الأول

1996

الفصل الأول

شاي وأسئلة

مكتبة
t.me/soramnqraa

ما لبثت مينا أن خلدت إلى النوم حتى اتصلت بها والدتها داريا، وذلك لتخبرها بأنها قد عثرت على الهدية المثالية لعيد ميلادها الخامس والعشرين، فقالت لها بأنفاسٍ لاهثة ومتقطعة عبر الهاتف:

- «اسمه السيد دشتي، وهو حاصلٌ على درجتَي دكتوراه وماجستير في إدارة الأعمال، وهو من نسل الابن العم لثالث لرضا شاه. يعيش في أتلانتا، ويتمتع بصحة جيدة وله أسنان جميلة جداً. سيكون هنا بعد ظهر يوم الأحد لتناول الشاي وطرح الأسئلة، لذلك أرجوكِ، يا مينا، لا حِيَل هذه المرة، فقد قمتُ بحساباتي. ارتدي الفستان الأرجواني مع حزامكِ الجديد».

وضعت مينا الهاتف جانباً، وعادت لتندسّ تحت أغطية فراشها. لقد كان زوجاً مُحتملاً آخر، وها هي ستمضي بعد ظهر يومِ أحدٍ آخر تومئ بالموافقة على مقابلة رجلٍ غريب برفقة والديها، وسيرتدون أفضل ما عندهم من ملابس لإرضائه. لم تكن مينا ترغب

في الزواج، بل كل ما أرادته هو ترك كلية إدارة الأعمال والانتقال إلى الجبال لممارسة هوايتها في الرسم طوال اليوم، ولكن في واقع الأمر كان عليها أن تستعدّ لامتحانها في إدارة الأعمال.

أجبرت مينا نفسها على النهوض من الفراش، وتوجهت إلى المطبخ، حيث قامت بغلي الماء من أجل تحضير الشاي بالطريقة التي علّمتها إياها داريا، وذلك بموازنة إبريق الشاي فوق القِدر المفتوح بحيث يغلي البخارُ الناجم عن الماء المغلي في الأسفل الأوراقَ بلطفٍ. بعد ذلك قامت بتغطية إبريق الشاي بقطعة قماش كي لا تتسرب الحرارة، فكانت النتيجة شاي داريا المخمّر والذي هو عبارة عن نصف إيرل غري ونصف أوراق غامضة.

رنّ الهاتف مجدداً، فردّت مينا:

- «نعم، يا داريا».

لقد تعوّدت مينا خلال السنوات القليلة الماضية على مناداة والدتها باسمها الأول، وهي طريقة بسيطة من أجل التخفيف من رهبة سيطرتها المُفرطة.

- «مينا، أنا أمّكِ».

- «سيأتي الرجل الجديد لتناول الشاي يوم الأحد، أعرف ذلك. لن أقابله».

- «لا تكوني حمقاء، يا مينا، بالطبع ستقابلينه! وأنا لم أتصل من أجل ذلك، وإنما أردتُ فقط أن أذكركِ بأنني سأستضيف منتدى الرياضيات اليوم. إني أعاني من نزلة برد، ولهذا أمضيتُ هذا الصباح في تناول البصل النيء، فوالدكِ يقول إنه مضاد حيوي طبيعي. على أنني لستُ ناقلةً للعدوى، لذا سأراك في تمام الساعة الرابعة والربع...».

وفجأة تحوّل صوت داريا إلى شهقات صغيرة، وهنا تخيلت مينا والدتَها وهي تمسح أنفها بالمنديل المطرز بالليمون والذي كانت قد طرزته لها ماماني، جدّتها، في طهران منذ سنوات. تمتمت داريا بأنّ عليها الذهاب، مؤكدةً لمينا أن تأتي لتناول الشاي، فعادت داريا لتقول بطريقتها الفارسية في التحدث باللغة الإنجليزية:

- «الشاي معاً، تعالي يا مينا، لنتناول الشاي معاً».

جرت العادة أنْ تنضمّ صديقَتا داريا - كافيتا داس ويونغ-جا كيم - إليها بعد ظهر كل يوم سبت لتناول الشاي وحضور منتدى الرياضيات، بحيث كنّ ثلاثتهنّ يسكنّ في كوينز ويعشقن الرياضيات. وفي الآونة الأخيرة، كانت داريا تحب إدخال القيم في جداول البيانات حتى تتمكن من عرض المخططات والرسوم البيانية، فعندما كانت فتاةً صغيرة في إيران، كانت متفوقةً في علم الحساب، وأرادت أن تصبح أستاذة رياضيات، ولكنها تزوجت وأنجبت ثلاثة أطفال، وانتقلت إلى أمريكا بعد الثورة الإسلامية عام 1979. كان والد مينا طبيباً، لكنه قد عمل في محل بيتزا في تحريك صلصة الطماطم عندما انتقلت العائلة إلى نيويورك عام 1982، فهو لم يتمكن من ممارسة مهنة الطب بترخيصه الأجنبي. درس ليلاً لأكثر من عام وأحاط نفسه بالمجلات الطبية بينما كان يعجن العجين ويقطّع الفلفل الأخضر، وبعد ذلك خضع لامتحانات الرخصة الطبية الأمريكية، ونجح أخيراً في أن يصبح طبيباً من جديد، فمارس الطب الباطني في لونغ آيلاند، وعلاج التهاب المعدة والقرحة، وقام بتدليك المرارة وفحص الأمعاء... لقد كان راضياً عن مرضاه ومكتبته الطبية، وعن شطائر الديك الرومي والطماطم ورقائق الذرة اليومية، ولكن علاوة على كل ذلك، أراد أن تكون زوجته سعيدة، لذلك عندما أدرك مدى بؤس

داريا بعد سنواتهما القليلة الأولى في أمريكا، اقترحِ عليها أن تؤسس فريق رياضيات خاصّاً بها. فقال لها ذات ليلة على العشاء:

- «عليكِ أن تفعلي ما تحبينه، يا داريا. لم يعد بإمكانك إرجاء ذلك! ألا ترين ذلك؟! تقولين إنكِ تحبين الرياضيات، وإنكِ شغوفة بها، ولكن أين هي في حياتك؟! "إذا لم يأتِ الجبل إلى محمد، فليأتِ محمد إلى الجبل". عليكِ أن تركّزي طاقتك على الرياضيات، وأن تمسكي بها!».

وعندما لفظ كلماته الأخيرة هذه، نهض عن كرسيه متحمساً وضربَ قبضته في الهواء كمن يُحرز انتصاراً، في الوقت الذي كانت فيه مينا وشقيقاها الأكبر سناً منها - هومان وكايفون - يمضغون الباذنجان المحشو بهدوء. كان والد مينا قد اكتشف في أواخر الثمانينيات الأشرطة الخاصة بمعلِّم تطوير الذات، ومنذ ذلك الوقت أصبح مهووساً باحترام الذات والثقة بالنفس، ويقتبس من هذا المعلِّم بشكل يومي.

حركت داريا شوكة الطعام بلامبالاة في صلصة الباذنجان، وقالت:

- «ولكنني لم أقم بدراسة الرياضيات منذ سنوات».

فمنذ وصولها إلى أمريكا، عملت في محل للتنظيف الجاف وخياطة الملابس.

- «لا يهم!»، قال الأب ثم ضرب قبضته في الهواء متحمساً مرةً أخرى، وصفّق بيديه بقوة، وكان قد تعلّم هذه الحركات من فيديو الندوة المجاني الذي حصل عليه مع الأشرطة الصوتية التي كان قد طلبها من خلال شبكة التسوق المنزلية. «الماضي ليس حاكماً مطلقاً عليكِ! إذا أنت آمنتِ بالشيء، فستجعلينه حقيقةً. عليك استخدام إرادتك الداخلية لجعل حياتكِ متألقة».

نظرت داريا إليه من بين دموعها وأومأت برأسها كطفلٍ صغير وهي تضع شوكتها جانباً. وفي تلك الليلة، عمل الأب وداريا معاً على استراتيجيات مختلفة لإضفاء المزيد من الرياضيات على حياتها، وكانت مينا وأخواها هومان وكايفون يراقبون والديهم وهما يجلسان إلى طاولة غرفة الطعام، حيث كتب والدهم على دفتر الملاحظات، بينما خمّرت داريا الشاي في الأكواب، وكلاهما يتدارسان الأفكار. كان الأب يتحرك ذهاباً وإياباً، ويقوم من حينٍ لآخر بمجموعةٍ من تمارين القفز المفعمة بالحيوية، وقد كان نوعه المفضل هو القفز المقصي.

مشت مينا وأخواها بهدوءٍ حول والدَيهم للذهاب إلى الفراش والخلود للنوم.

في صباح اليوم التالي، وأثناء تناول الإفطار، نقرَ الأب بملعقة على كوب الشاي الخاص به، وقال:

- «أصغوا إليّ، يا أولاد! استمعوا جيداً. من الآن فصاعداً، ستكون أيام السبت مختلفة في هذا المنزل. ستكون والدتكم منشغلة بمتابعة شغفها، وسوف تلتقي بصديقاتها لدراسة الرياضيات. بعد ظهر كل يوم سبت سوف ينغمسنَ في عملهنّ، وخلال تلك الساعات ستكون غرفة الطعام بمثابة مركز أبحاث لدراسة الرياضيات. وأنتم سوف تحترمون مجال والدتكم ومجموعتها، لذا لن تركضوا ولن تصرخوا ولن تتجادلوا خلال تلك الفترة، وإذا كنتم ترغبون في ذلك فمرحّبٌ بكم للمشاركة في ورشة العمل هذه، ولكن بشرط أن تأتوا مستعدين، بعد إتمام واجباتكم في المسائل والبراهين المستحقة في ذلك الأسبوع. لا ضجيج خلال ذلك الوقت، فيجب علينا جميعاً أن ندعم والدتكم وهي تتخذ إجراءات هادفة للعيش بشغفٍ. **فهميدن؟** فهمتم؟».

- «نعم»، تمتم هومان شقيق مينا الأكبر، والذي كان في الصف الثالث الثانوي في ذلك الوقت، ثم غادر لممارسة لعبة كرة السلة. أما كايفون وهو الابن الأوسط والذي كان في سن الخامسة عشرة، فقال: «رائع»، ثم قبّل داريا على جبهتها قبل أن يرفع صوت جهاز الووكمان الخاص به، وقد سمعت مينا من خلال سماعاته إيقاعاً مكتوماً لأغنية لفرقة تيرز فور فيرز.

- «مينا»، قالت داريا بصوتٍ حاد، «هل ستلتزمين بهذه القواعد الجديدة حتى أتمكن من العيش، امم، بـ. . .»، ثم التفتت إلى الأب وسألته: «بماذا يُفترض بي أن أعيش، يا بارفيز؟. . . بهوسٍ؟».

- «بشغفٍ»، قال الأب مشجعاً.

- «أوه، نعم، يا بارفيز. بشغفٍ»، ردّدت داريا.

تأمّلت مينا عينَي أمها العسليتين. بدت داريا ضعيفة.

- «بالطبع سأفعل»، قالت ثم حملت حقيبتها وغادرت إلى المدرسة. وبينما كانت تسير في الحي، فكرت في خطاب والدها المهيب وبطلب داريا الالتزام بالقواعد الجديدة، وفكرت في منتدى الرياضيات وبفكرة دعوة الصديقات كل يوم سبت لحلّ المعادلات معاً، وتساءلت مجدداً، كما فعلت في كثير من الأحيان خلال سنوات مراهقتها، كيف كانت ستكون حالُ والدَيها لو لم ينتقلا للعيش في أمريكا.

في وقتٍ لاحق من ذلك المساء، كان دفتر العناوين الخاص بداريا في حضنها، وكانت جالسةً بجوار الهاتف، فقامت بالاتصال بجميع صديقاتها، ومن بين العشرات اللواتي اتصلت بهن، كانت الوحيدتان اللتان وافقتا على أنّ قضاءَ بعد ظهر كل يوم سبت في

العمل على الجبر وحساب التفاضل والتكامل فكرةٌ ممتعة هما كافيتا ويونغ-جا، وهما اثنتان من أقدم صديقات داريا في أمريكا وهما نفساهما مهاجرتان. ومنذ ذلك الحين، كنّ يلتقين لتناول الشاي بعد ظهر كل يوم سبت. لقد بدأنَ بالأساسيات لأنها كانت كلها مبددة في أذهانهنّ، ولقد استطاعت مينا أن تفهم بعض ما كنّ يفعلْنَه في البداية. لكن النسوة درسن الكتبَ الدراسية واحداً تلو الآخر، فسرعان ما أصبح الأمر معقداً بالنسبة إلى مينا، رغم أنّ داريا حاولت إشراكها، فلطالما كانت تقول لها: «انضمي إلينا من فضلك، يا مينا جون»، مستخدمةً مصطلح التحبيب «جون» والذي يعني «العزيزة» باللغة الفارسية. «أنتِ لا تعرفين كم الرياضيات جميلة وممتعة». وبمناسبة عيد الميلاد - والذي لم تحتفل به أيّ منهنّ بسبب ديانتهنّ، فكانت الأولى مسلمة، والثانية هندوسية، والثالثة بوذية - اشترى الأب لكلّ واحدةٍ منهنّ آلة حاسبة، وقد بكت داريا عندما فكّت ورق التغليف لتجد الآلة الصغيرة، والتي لطالما كانت أصابعها قد أشارت إليها بشوق في كتالوغات التكنولوجيا. وبعد ذلك، بدأت النسوة في إنجاز عملهنّ، وفي غضون عامين تقدّمت داريا بطلبٍ للحصول على وظيفة في فرع بنك محلي في كوينز، وقد أخبرتْ مينا أنها أحبّت إدخال الأرقام والحصول على الإجابة الصحيحة. أحبّت أزيز الورق وهو ينزلق من الآلة الحاسبة. أحبّت كيف أن حصيلة جمع الأرقام تكون كما تتوقّعها.

* * *

انتهت مينا من شرب الشاي، وأخرجت بعضاً من زبدة الفول السوداني من الثلاجة. كانت شقتها الصغيرة تقع في الجانب الغربي العلوي من مدية نيويورك، بالقرب من حرم كلية كولومبيا للأعمال.

كانت داريا قد أحبّت فكرة حصول مينا على درجة الماجستير في إدارة الأعمال، على الرغم من أنّ مينا أرادت أن تصبح رسّامة. لقد كان السعي وراء المهن المحترمة ذات الأجور المرتفعة هو واجبٌ على أبناء رضائي، وبما أنّ مينا كانت قد استبعدت الطب والهندسة والقانون، فقد كان خيارها الوحيد هو إدارة الأعمال. لقد كان على آل رضائي إعادة بناء ثروتهم وهيبتهم، والأهم من ذلك كله، الاستقرار في هذا البلد الجديد، وبالتالي فإن الفن لن يتناسب مع هذا النمط. فمن وجهة نظر داريا، إن الفن يعني الوقوف عند زاوية الشارع على أمل أن تتمّ ملاحظتك من قبل الناس، مع سيلانِ أنفك وانتعالك حذاء مهترئاً. وهو فكرة للضعفاء والطائشين والهشّين، وليس لبنات المهاجرين الذين تخلّوا عن بلادهم، وعن الوقت الذي يُقضى مع الأجداد، وعن أفضل رمانٍ في العالم، من أجل القدوم إلى أمريكا.

أكلت مينا زبدة الفول السوداني بالملعقة من المرطبان مباشرة، ثم أعادت المرطبان إلى الثلاجة بجوار صفوف أوعية حفظ الطعام المرصوفة بعناية والتي أحضرتها داريا: سلطة الدجاج بالزيتون، وفطيرة البطاطا المقطعة إلى مثلثات، وشرحات اللحم البيضاوية المغطاة بصلصة الطماطم الغنية، و**الدلمه** التي هي عبارة عن ورق العنب المحشو بالأرز والأعشاب واللحم المفروم، والأرز بالبرباريس، وطبق مصنوع من الرمان الحلو والحامض مع الجوز يُدعى **الفسنجون**(*).

(*) الفسنجون: طبق يشبه «المقلوبة» مصنوع من الباذنجان ولحم الدجاج والمكسرات - المترجمة.

شعرت مينا بالارتياح لوجود كل وجبات الغداء والعشاء هذه في ثلاجتها، إذ لم يكن هناك طعام يضاهي الطعام الذي تصنعه يدا داريا الماهرتان.

* * *

في السيارة، وأثناء عودتها إلى منزل والديها، قامت مينا بتشغيل الراديو على محطة إخبارية، حيث أوردت هذه المحطة ذكر «إيران» بالتزامن مع مصطلحَي «إرهابي» و«مارق»، ولطالما تمنّت مينا ولو لمرّة واحدة أن تسمع اسم بلدها القديم يُذكر بالتزامن مع مصطلحات «الفرح» و«الحرية» و«الصلاح». وعندما قامت بتغيير المحطة إلى محطة الموسيقى القديمة التي تعود لزمن الستينيات والسبعينيات، سرى الصوت العذب لجون ترافولتا بأغنيته «أنتَّ الشخص الذي أريده»، لتعود بها الذاكرة إلى المرة الأولى التي سمعت فيها تلك الأغنية مع بيتا، وذلك عندما كانتا في التاسعة من عمرَيهما وتعيشان في طهران. لقد رقصتا على أنغام هذه الأغنية عشرات المرّات في غرفة المعيشة وفي المطبخ وعلى سرير مينا وبجوار شجيرات الورد في الفناء، وقامتا بتشغيل هذه الأغنية في كل مكان باستثناء الأماكن العامة إذْ كان من الممكن أن يتم إلقاء القبض عليهما. لطالما حلُمت مينا بالزواج من جون ترافولتا، ولقد ألصقت صوره في جميع أنحاء غرفتها. أما بيتا، فقد احتفظت بصورة لذقنه ذات الغمازة مدسوسة تحت حجابها. لقد استمعتا مئات المرات إلى تلك الأغنية من الشريط المهرّب، وقد أقسمتا أن تبقيا محافظتين على صداقتهما مدى الحياة آلاف المرات، وها قد مرت مليون سنة منذ ذلك الحين. انحرفت مينا إلى مسارٍ مختلف، وما كان من السائق الذي يقود خلفها إلا أن أطلق لها بوقاً لتصحح مسارها. لم تكن لديها أية فكرة

عن مكان بيتا الآن. لقد برّت مينا وبيتا بقسَمَيهما فكانتا أفضل صديقتين إلى أن جاءت الثورة ووقعت الحرب وجعلت إحداهما تفرّ من البلاد.

كانتا أفضل صديقتين إلى أن أصبحت إحداهما أمريكية وبقيت الأخرى في إيران.

عبرت مينا الجسر من مانهاتن إلى كوينز. كانت آخر رسالة تلقتها من بيتا قد وصلت بعد عام أو عامين من انتقالها إلى الولايات المتحدة. كانت الرسالة مغطاة بملصقات الفواكه القابلة للخدش والشم، وقد تساءلت مينا في نفسها ما إذا كانت ستفوح منها رائحة الفراولة الصيفية الحلوة التي تنسّمتها وقتذاك إذا خدشت أحد هذه الملصقات الآن. أطفأت مينا المذياع.

* * *

كانت داريا بفستانها الوردي وشعرها الأحمر المضموم في حزمة على شكل كعكة تقف خارج الباب الأمامي وهي تضع يديها على خصرها.

- «هل تشعرين بتحسن؟»، صاحت مينا وهي تقود السارة إلى المرآب.

- «نعم، ولكن لا تُقبّليني، فرائحة البصل تفوح مني»، أجابت داريا.

إلّا أن مينا توجهت نحوها وقبّلتها رغم ذلك.

- «لِمَ لمْ تُسرّحي شعرك أفضل من ذلك؟»، سألتها داريا كما هي العادة دائماً.

* * *

كانت كافيتا ويونغ-جا تجلسان إلى طاولة الطعام تشربان الشاي

وتأكلان البقلاوة. لقد كانت كافيتا قصيرة وممتلئة وذات شعر داكن ولامع، ويداها خشنتان نتيجة سنوات من فرك الأحواض، وفك تشابك شعر بناتها، وكذلك تقليب التربة حتى تتمكن من زراعة الزهور في الأرض القاسية لحديقتها في مرتفعات جاكسون. أما يونغ-جا فقد كانت نحيفة وصغيرة الحجم، وكانت دوماً ترتدي ملابس جميلة وتتأنق، ولم يسبق لمينا أن رأتها من دون كعبٍ عالٍ وجوارب نايلون. كان بإمكان مينا أن تخمّن أن النسوة الثلاث كنّ في خضم العمل غلى حسابات التفاضل والتكامل، فكان شعر كافيتا المجعد في حالة من الفوضى، وكانت عينا يونغ-جا المكحّلتان تلمعان. استقبلت كل من كافيتا ويونغ-جا مينا بالعناق والقبلات، وقامتا بقرصِ خدَّيها وضحكَتا.

- «لقد قمنا ببعض التكاملات الإضافية اليوم»، قالت كافيتا بصوتها العالي. «مجرد مراجعة الأساسيات، وتطبيق التكامل للعثور على التكلفة الإجمالية من التكلفة المتغيّرة!».

- «نعم، لكننا نأخذ في الاعتبار التكاليف الثابتة أيضاً. يجب ألا ننسى أن نأخذ التكاليف الثابتة في الحسبان»، قالت يونغ-جا بسرعة وبلغتها الإنجليزية الركيكة كعدّاءةٍ أنهت تواً سباقاً سريعاً بنجاح.

- «إنها ممتعة جداً، يا مينا»، قالت داريا، «نعم، ممتعة حقاً».

ثم أمسكت داريا بيد مينا وسحبتها نحو الدرج، وهي تقول لها: «تعالي الآن، يا مينا. تعالي نصعد إلى مكتبي، لقد قمتُ بإعداد رسومٍ بيانية عن السيد دشتي، وقد كانت النتائج بالغة **الدقة!**».

رفعت كافيتا ويونغ-جا أيديهما فوق رأسيهما دون أن ترفعا نظرهما عن حاسباتهما، بينما كانت مينا تتبع داريا على مضض. وفي

أعلى الدرج كان الأب واقفاً، وقدماه متباعدتان، واضعاً نظارات كبيرة على رأسه، وحاملاً مثقباً في يده اليمنى.

- «سلام، يا مينا جون»، قال لها عندما رآها، ثم غمرها بعناق حار وقبّلها على كِلا الخدَّين، فحفرت الأشياء المختلفة البارزة من حزام أدواته في ضلوع مينا. «أنا خارجٌ لسدّ حوض الاستحمام! فعمل صاحب المنزل لا ينتهي أبداً»، قال مودّعاً.

ردّت مينا التحية بأدب، وراحت تراقب والدها وهو يدخل الحمام وأدواته تتأرجح حول خصره.

في غرفة نوم داريا، أو «المكتب» كما سمّته هي، أدّى منظر الخزانة المعدنية ذات الدّرجَين والتي تضم الأضابير إلى استنفاد طاقة مينا، فهي كانت تعرف ما هي الويلات التي تحتويها في داخلها تلك الملفّات المرتّبة أبجدياً.

- «دعينا نرى الآن»، قالت داريا وهي تبحث في الدرج وتقلب الملفات المصنّفة بدقة باللغة الفارسية، «السيد جهانفرد. السيد سامييي. السيد بيدار... السيد أحمدي...»، ثم أخرجت ملفاً أصفر اللون ساطعاً. «آه، ها هو ذا. السيد دشتي».

صمّ صوت الحفر في الحمام الآذان، فحجب صوت داريا لحظةً.

قامت داريا بإخراج ورقة من الملف، وقد كانت هذه الورقة سيرة ذاتية مكتوبة بدقة.

- «لقد أرسلتْ لي صديقةُ عمة والدكِ في أتلانتا سيرته الذاتية عبر الفاكس، بعد التحدث إلى زوجة عم السيد دشتي. انظري إلى ذلك. لقد درس الكيمياء في جامعة ييل، وحصل على البكالوريوس والدكتوراه، ثم حصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال من

جامعة ستانفورد! إنه يحب الموسيقى الفارسية ويعزف على آلة السيتار. لديه حالياً وظيفة جيدة جداً لدى شركة كوداك في أتلانتا، حيث يدير قسم الأبحاث الخاص به، وحيث يقرر السيد دشتي توازن المواد الكيماوية لكل لفّة فيلم!».

عقدت داريا ذراعيها على صدرها، ثم أضافت بسرعة:

- «كانت والدته جميلة جداً».

حدّقت مينا في ورق الجدران، وأدركت أنها تكره ورق الجدران حقاً.

- «انظري إلى ذلك، يا مينا»، قالت داريا وهي تشير إلى ورقة أخرى بعنوان: «الخلفية العائلية والقضايا الصحية». «لقد استغرق مني ذلك ساعاتٍ من البحث. لا يوجد تاريخ مَرَضي في عائلته، فالجميع بصحة جيدة. لقد تمّ طلاق إحدى أخواته منذ بضع سنوات، لكن قيل لي إنّ ذلك كان للأفضل. عليكِ أن تتصرفي بشكل جيد الأحد القادم عند تناول الشاي، يا مينا. عليك التصرف بشكل جيد. لقد تحدثتُ مع عمة والدكِ ومع صديقتها في أتلانتا، واتفق الجميع على أنه الشخص المناسب!». سلّمت داريا الملف لمينا. «جداول البيانات لا تكذب».

ارتمت مينا على السرير، وانبعث صوت محادثة كافيتا ويونغ-جا من غرفة الطعام وهما تناقشان التكاملات، وكان الأب قد توقف عن الحفر. كانت داريا تحب حساب إحصائيات العازبين الفارسيين المتاحين، مع الأخذ بعين الاعتبار صفاتهم، وتاريخ عائلاتهم، وتعليمهم، واحتمالية الطلاق لديهم. كان لديها نظام خاص جداً لتخصيص الأرقام لصفات معينة: خمسة للأسنان الجيدة. ناقص عشرة إذا كان لديهم درجة البكالوريوس فقط ولا شهادة عليا. زائد

عشرون إذا ثبُت أنهم طيبون مع أمهاتهم. زائد سبعة إذا لم يحملوا شُوكهم كالمجارف. كانت داريا جدَّ فخورة بمعرفتها ببرنامج إكسل، ومولعة بإعداد الرسوم البيانية. أين كانت الأم التي عرفتها مينا في إيران؟ لقد جعل ساحرٌ ما تلك الأم تختفي على مرّ السنين، واستبدلها بالخاطبة الوسيطة والبدينة ذات الشعر الأحمر هذه. فالأم التي عرفتها مينا آنذاك لم تكن لتفعل هذا أبداً. أن تبحث عن شخص يَعرفُ شخصاً يعرفُ رجلاً متعلّماً جيداً. أن تقوم بالبحث وإجراء المكالمات وإرسال صورة لمينا إذا طُلبت. ومن ثم، بعد أن يكونوا بدورهم مقيّدين بالتزامٍ سخيف تجاه الخاطبات الوسيطات خاصتهم، كان هؤلاء الرجال يستقلون القطارات أو الطائرات أو يركبون سياراتهم ويأتون لاحتساء الشاي والتعارف على أرض الواقع.

- «أنا لا أريد أن أشرب الشاي مع السيد دشتي الأحد المقبل، يا داريا. لا أريد مقابلته. لا أريد أن أتزوج وأنتِ تعرفين ذلك».

فتحت داريا فمها لتقول شيئاً ما، لكن شفتيها تجمّدتا ولم تنبسا ببنت شفة، ثم استدارت ووجهت كلامها إلى غطاء السرير.

- «تقول ابنتي إنها لا تريد أن تتزوج. إنّ هذا مثير للاهتمام، أليس كذلك؟ ما الذي يجعلها تقول ذلك؟ صغر سنها. صغر سنها ونقص تام في المعرفة!». وسرعان ما أشرقت عيناها العسليتان عندما التفتت إلى مينا. «مينا، أريدكِ أن تقابلي السيد دشتي. هل تعلمين نسبة الطلاق في هذا البلد؟ واحتمال زواج المرأة فوق الثلاثين؟ إن جدول بيانات السيد دشتي يبعث على التفاؤل للغاية. انسَي جهانفرد، وانسَي بيدار، وانسَي كل هؤلاء الأغبياء الذين جاؤوا وجعلوكِ تشعرين بالملل. انسَي كل هؤلاء الذين تجنبتِ النظر إليهم وقمتِ بسكب الشاي عليهم. أنا أغفرُ لكِ ذلك وأنساه. لقد ذهبوا

بلمح البصر. مَن يهتم لأمرهم أصلاً؟ لكن هذه المرة، يا مينا! هذه المرة قمتُ بحساب **الإحصائيات** على نحوٍ دقيق».

- «أنتِ حتى لا تعرفينه!».
- «أنا أملكِ، يا مينا، وأعرفك **أنتِ**».
- «هل خطر لكِ أنني قد أكون مثلية؟».
- «مثلية؟!»، قالت داريا بازدراء، «لا تظني أنني لا أعرف عن المثليات! لقد كانت لدينا مثليات في إيران. وهل تعرفين كيف عرفنا أنهن مثليات؟ من شريكاتهن! وأنت ليست لديكِ أية صديقة! أنتِ لستِ مثلية، يا مينا!».

تنهدت مينا. هي لم تكن مثلية، ولكنها أيضاً لم تكن تريد الزواج من شخصٍ لمجرد أنّ والدتها قد رسمت معدّله التراكمي في برنامج إكسل. حدّقت في الحائط، وفي اللوحات الهندية التي كانت قد أهدتها كافيتا لداريا بعد زيارتها لعائلات أصهارها المستقبليين هناك. لقد قامت كافيتا بتربية بناتها في كوينز، لكنها تلقّت مكالمة هاتفية من والدها في نيودلهي، فذهبت إلى هناك لمقابلة خطاب بناتها، وبعد إتمام أمور الزواج انتقل الأزواج الجدد إلى نيويورك ليكونوا مع زوجاتهم الأمريكيات-الهنديات. وقد أخبرت داريا مينا أنهم رجالٌ لطفاء وجذّابون، ومستمعون بشكل جيد. وأخبرتها أيضاً أنّ هؤلاء الأزواج الجدد قد تكيّفوا بشكلٍ رائع مع الصدمة الثقافية الناجمة عن الانتقال إلى أمريكا.

- «أنا ما زلتُ أحاول اجتياز الدراسات العليا، يا داريا، فلماذا قد أريد زوجاً الآن؟».
- «الجميع في هذه الحياة يحتاج إلى شريك».
- «أنا لست بحاجة إلى شريك».

- «أنتِ بحاجة إلى شخصٍ ما. ماذا سيحدث عندما أموت؟ من سيعتني بكِ عندما تكونين وحيدة وكبيرة في السن؟ أخواكِ؟! من سيمسح أنفكِ عندما تكونين مريضة؟».

- سأمسح أنفي بنفسي! سأتصل بصديق! سأستأجر شخصاً ما، سأضع إعلانات على جذوع الأشجار للعثور على ماسح أنف!

- «أنتِ بحاجة إلى شخصٍ ما، يا مينا. أنتِ بحاجة أن يكون لديك...».

- «كل ما لم يكن لديكِ؟». أكملت مينا جملتها.

- «لا، يا مينا»، قالت داريا بهدوء. «ليس كل ما لم يكن لديّ، بل كل ما كان لديّ. أريدكِ أن تتذوقي طعم الحياة كما تذوقتها أنا. أريدكِ أن تُعطي جزءاً مما أُعطيت. أريد أن يكون لديك شغفٌ يُشاغلك وتأنسين إليه. أريدكِ أن تقعي في الحب كما وقعتُ أنا في الحب».

- «لكن زواجك كان مرتّباً».

- «لم يكن مرتّباً، كان... **مشجّعاً**. لقد تعرفت على والدك، وأخذتُ وقتي في التفكير. لقد أحببتُ أمي كثيراً، وعلمت أنها لن تُخطئ في حقي. لأنّ أمي...».

توقفت داريا عن الكلام فجأة، وبكت بصمتٍ وهي تحتضن وجهها بين يديها. لقد تذكرت والدتها التي قُتلت في انفجار قنبلة أثناء الحرب العراقية-الإيرانية. كانت تشتري الرمان من محل يبيع الخضار والفواكه في وسط المدينة، حين فجّرت القنبلة بسطات البقّال الخشبية إلى أشتات. ولطالما أحرقتها الدموع كلما تحدثت داريا عن والدتها.

تراخى جسد مينا عندما تذكّرت أنها هي من طلبت من ماماني

ذلك الرمان منذ سنوات، لكنها سرعان ما أجبرت جسدها على الجلوس بشكل مستقيم، فدموع داريا التي تنسكب حرقةً على والدتها لم تكن جديدة.

رفعت داريا نظرها، وكان لا يزال وجهها مبللاً، ولكنه أصبح هادئاً، وقالت:

- لأن. . . لأن أمي، يا مينا، قدمت لي هدية عندما كنتُ في التاسعة عشرة من عمري، ألا ترين؟ قدمت لي هدية، وفي ذلك الوقت كنت صغيرة أيضاً وحمقاء، ولم أستطع تقدير ما وجدَتْه لأجلي. وقد حضرتُ حفل زفافي وقتها فقط لأننا لم نكن نرفض خيارات والدَينا في تلك الأيام، وقد استغرق الأمر سنوات حتى أدركتُ ما فعلته لأجلي. نعم، أدركت السعادة التي وضعتها بين يدَي.

راحت مينا تفكر في الرجل الموجود في الحمام المجاور، الجاثي على ركبتيه والذي يضع المعجون على البلاط الوردي. فكرت في شعر والدها القليل، وأسنانه غير المستوية، وأشرطة المساعدة الذاتية، وبطنه المنتفخ، وفي الطريقة التي يستمع بها إلى الأغاني الأمريكية في الراديو ويميز كلماتها بشكل خاطئ. هل هذه هي الهدية التي قدمتها لها ماماني؟ هل هذه هي السعادة التي تحدثت عنها داريا؟

- «إنه أمرٌ مثيرٌ للسخرية»، قالت مينا. «لا يمكنكِ اختيار زوجٍ لشخص آخر، فكيف لك أن تعرفي ما المناسب له؟».

- «لقد تمّت الأمور على هذا النحو منذ قرون. بل الطريقة التي يعملون بها هنا هي المثيرة للسخرية، فلا يمكنكِ اختيار زوجٍ لنفسك. كيف يمكن لشابٍ أو شابة أن يعرفا ما هو المناسب لهما؟

عندما كنتِ في الخامسة عشرة من عمركِ، هل كنتِ تفكرين بالطريقة التي تفكرين بها الآن؟ حسناً، عندما تبلغين الثلاثين، سترجعين إلى الوراء وتتذكرين ما فكرت فيه اليوم وستضحكين على أفكارك. والأمر ينطبق على كل شيء عندما تكونين صغيرة - الخضروات، وزيت كبد سمك القد، وسترة في يومٍ يبدو دافئاً. تقول لكِ أمكِ خذيه فهو مفيد لك. وترفضين لأن هذا يبدو غير ضروري، فتدركين أنها تعرفكِ أكثر مما تعرفين نفسكِ. ولهذا هي أمكِ».

اهتزت كعكة الشعر الحمراء بينما كانت داريا تتكلم.

- «ألا تعتقدين أنني أعرف ما تشعرين به؟ لقد بكيتُ كما تبكين وحدكِ في الليالي الآن. لم أكن أرغب في الزواج، ولم أجد والدكِ جذّاباً. كنت أرغب في الحصول على درجة الدكتوراه في الرياضيات وأُصبح أستاذة جامعية فحسب. ولطالما اعتقدتُ أنني سأساهم بشيء عظيم في المجال الأكاديمي، وأنه سيتم تخليدي بسبب نظرية أو برهان أو شيء من هذا القبيل. لم أعتقد أبداً أنني سأجلس مع كافيتا ويونغ-جا أيام السبت لحلّ معادلاتٍ لن يراها أحدٌ على الإطلاق، فلم أستطع حتى أن أتخيل ألّا أكون عالِمة رياضيات مشهورة في ذلك الحين. وعندما قدمت لي أمي والدكِ، كرهتُهُ، وكرهتها هي أيضاً لأنها دفعته إليّ. لقد قضيتُ عدة أشهر، بل سنوات، وأنا مستاءة من هذا الزواج».

- «وإذاً؟ ماذا حدث؟».

- «ما حدث هو أنني كبرتُ. ما حدث هو أنّ والدكِ كان معطاءً لي. عمل باستمرار وبتفانٍ ليجعلني سعيدة، فاستيقظت في أحد الأيام ونظرتُ إليه وإلى منزلي وبطني المنتفخ وأدركتُ أنني كنتُ سعيدة ولم أكن أعلم ذلك حتى. سمعتُ عن حصول امرأةٍ على

جائزة في الرياضيات فضحكتُ. لم أهتم. عندما ماتت أمي، لم أكن لأنجو لولا والدكِ. ولم تكن أي درجة أستاذية في الرياضيات لتنقذني في ذلك الوقت».

التقطت داريا فرشاة شعرها وهي شاردة الذهن ودوّرتها في يدها، واسترسلت:

- «هل تتذكرين عندما كان عمركِ ثمانية عشر عاماً وذهبنا إلى المركز التجاري واشتريت لكِ قميص الجينز هذا؟ هل تتذكرين كيف كنتِ لا ترغبين في الحصول عليه؟ وكيف كرهتِه حينها؟ أما الآن، فإنكِ ترتدينه كل يوم تقريباً».

- «السيد دشتي ليس قميصاً!».

- «إنه يرتدي قمصاناً جميلة!».

- «داريا!».

وهنا شعرت مينا بدغدغة صغيرة في بطنها، وبدأت رعشةٌ تسري نحو أظافر قدميها، ثم انفجرت في نوبةٍ من الضحك، ولم تستطع التوقف عن الضحك. يا لها من محادثة جنونية! السيد دشتي يرتدي قمصاناً جميلة. ووالدها هو هدية. تخيلت مينا شريطاً أحمر كبيراً مربوطاً حول رأس والدها الأصلع. وهنا شخرت كما يشخر الخنازير فيما غمرت الدموع وجنتيها. فكرت في الرسوم البيانية، والسيد جهانفرد، والسيد بيدار، والسيد دشتي، وفي منحدرات الخطوط التي حسبتها داريا رياضياً. وما لبثت أن بدأت أطرافها تؤلمها.

فكرت في الهدية، هدية جدتها المتوفاة المسكينة.

لم تعد مينا قادرة على الكلام. كانت منكمشة على السرير من شدة الضحك. آلمها خداها وتشنجت معدتها. ومن بين دموعها، رأت والدتها. وقفت داريا بفستانها الوردي والأبيض وقدماها

البدينتان بارزتان، وملف السيد دشتي في يدٍ، وفرشاة الشعر في اليد الأخرى، وقد أظهرت جذور شعرها أن اللون الأحمر كان بحاجة إلى صبغة. عندما غادروا إيران، قطعت داريا عهداً على نفسها بصبغ شعرها باللون الأحمر إذا تمكنت من الوصول إلى بلدٍ لا يتعين عليها فيه ارتداء الحجاب. وفي أحد الصباحات الأولى في نيويورك، اختفت داريا في حمام الفندق لمدة نصف ساعة، وعندما خرجت من الحمام وشعرها ملفوفٌ بالمنشفة، صفق لها زوجها بصوتٍ عالٍ وهو يصفر ويهتف ويحثّ مينا وأخويها على الانضمام إليه. وكان بإمكان مينا رؤية والدها آنذاك والفخر بادٍ على وجهه بينما كانت داريا تزيل المنشفة عن شعرها المبلل بخجلٍ، وكيف أنه ذهب إلى الحمام وقام بتنظيف الجدران التي تلطخت باللون الأحمر، تماماً كما فعل عندما قام بتنظيف جثة جدتها بعد أن تلطخت باللون الأحمر من جراء القنبلة في محل البقالة قبل سنوات.

غيّب الصمت ضحكة مينا وراح جسدها يرتجف ببطء بضع مرات وهي تنهض. كانت داريا هادئة، ولكنّ عينيها كانتا مشوَّشَتين.

- «أوه، يا أمي»، قالت مينا وهي تأخذ فرشاة الشعر من يد داريا وتُجلسها على السرير، «هل تعتقدين أنه يتوجب عليّ أن أرتدي الفستان الليلكي مع السترة الصوفية أم أرتديه بمفرده عندما أقابل السيد دشتي؟». ثم وضعت فرشاة الشعر عند الجذور الرمادية على رأس داريا، وراحت تمشط شعر والدتها ببطءٍ.

الفصل الثاني

الرجل ذو البدلة البيج

في يوم الأحد التالي، استقلّت مينا مترو الأنفاق إلى منزل والديها، حيث كانت سيارتها بحاجة إلى تصليح. وعندما وصلت، قرعت جرس الباب كما لو كانت ضيفة، ففتح والدها لها الباب وقد كان مستحمّاً تواً ومرتدياً أفضل بدلة لديه والمكونة من ثلاث قطع، كما كان يرتدي ربطة عنق عليها سلاحف من متحف متروبوليتان للفنون. وكانت رائحة عطره القوية «أولد سبايس» فوّاحة في المكان وطاغية. ركضت داريا إلى الباب مرتديةً بدلة أنيقة مكونة من تنورة وسترة جعلت عينيها العسليتين تبدوان خضراوين، ولقد كان شعرها مسرّحاً على شكل كعكة مثالية، وشفتاها لامعتين. تجهّمت عندما رأت بنطال مينا الجينز وقميصها الأبيض مع السترة الصوفية الخزامية مربوطة حول خصرها، لكنها لم تقل شيئاً. وميّزت مينا رائحة كلٍّ من أرز بسمتي المبخّر وحساء **غورميه سابزي** بالأعشاب الشهي المنبعثة من المطبخ. لقد تحول الشاي مع السيد دشتي إلى غداء.

في تمام الساعة الواحدة والربع ظهراً، قُرع جرس الباب مجدداً، ولدى سماع داريا الجرس أسقطت مغرفتها في حوض المطبخ وهرعت نحو الباب، وتوقفت لحظة لتأخذ بعض الأنفاس العميقة وتُربّت على شعرها قبل أن تفتح الباب. وقف أمام عتبة الباب رجلٌ قصير وممتلئ، يحمل باقة من الزهور ذات اللون الزهري والأبيض. كان يرتدي بدلة لونها بيج وربطة عنق بنية، وكان حليق الذقن وعيناه لوزيتان، وكانت خصلات شعره القليلة ممشطة على نحوٍ استراتيجي، لكنها تبعثرت فجأة نحو الأعلى مع هبة ريح مباغتة.

- «سيد دشتي! يا إلهي!»، صاحت داريا بالفارسية كما لو أنها تفاجأت تماماً برؤيته هناك. «حسناً، حسناً... مرحباً بك! تفضل بالدخول من فضلك، تفضل بالدخول!».

انحنى السيد دشتي بعمق، وقال:

- «إنه لمن دواعي سروري أن ألتقي بكم، سيدة رضائي. أنا سعيد جداً لذلك. أرجو منكِ أن تعذريني على جرأتي وتطفلي في جعل نفسي مصدر إزعاج لكم. لقد أزعجتكم. أنا عبءٌ عليكم وعلى منزلكم. أرجو أن تسامحوني».

- «أوه، يا سيد دشتي، كيف يمكنك أن تقول شيئاً كهذا؟ من فضلك، لقد أسعدتنا كثيراً بمجيئك، لقد أشرق يومنا وسُرّت عيوننا برؤيتك! لقد أخجلتنا بكرمك. من فضلك تفضل بالدخول، أيّها الفضيل».

أحنت داريا رأسها ببراعة مع ردها هذا. كان السيد دشتي وداريا يلعبان لعبة **التعارف** الفارسية، وهو تقليد لفظي يؤكد على المبالغة في الأدب والشكليات في التفاعلات الاجتماعية، وهي

طقوس مليئة بالإطراء المنمّق، وعروض لا نهاية لها من احترام الآخر ومحو الذات بشكل درامي، وإجابات غير مباشرة على أسئلة غير ضرورية. وكانت داريا وزوجها يستمتعان بهذا الفن التّواصلي، الذي أمضت مينا سنوات في مقاومته.

- «. . . لقد منحتنا سروراً عظيماً حقاً»، واصلت داريا، «من فضلك، من فضلكَ تفضل بالدخول».

وبهذا الإلحاح دخل السيد دشتي المنزل، ونظر حوله بتوتّر. وعندما رأى مينا، أشاح بنظره، إلى الدرج، ثم إلى الحائط، ومن ثم إلى حذائه، حتى أنقذه صوت والد مينا الفجائي من خلف الباب الأمامي والذي كان لا يزال مفتوحاً على مصراعيه.

- «سيد دشتي، سيدي، أنا سعيد جداً بلقائك، مرحباً بك في بيتنا»، قال الأب وهو يظهر في الصورة، ثم مدّ يده إلى السيد دشتي وصافحه بقوة، بينما أعربَ السيد دشتي عن سعادته بلقاء الأب.

أغلقت داريا الباب الأمامي، واستدارت لتواجه مينا، وبدت مرتبكةً، ثم قالت بصوت عالٍ:

- حسناً، يا إلهي، سيد دشتي! هذه ابنتنا مينا.

وهنا استدار والد مينا أيضاً، وحدّق هو وداريا في مينا، ثم في السيد دشتي كما لو كان من الغريب حقاً أن تقف ابنتهما مينا هناك في غرفة المعيشة في اليوم الذي كان فيه السيد دشتي الطيب قد جاء للزيارة. يا لها من صدفة!

استدار السيد دشتي في اتجاه مينا، لكنه لم ينظر إليها مباشرةً. وببطء، تسلل احمرارٌ عميق ناجم عن الخجل من أسفل رقبته إلى أعلى رأسه الأصلع، فما كان منه إلا أن انحنى ونظر إلى حذائه، قائلاً:

- «سُررتُ بلقائك».

نظرت مينا بيأسٍ إلى داريا، ومن ثم إلى والدها اللذين حثاها بأعينهما على الرد، حتى أجبرتها هزةُ رأس داريا الخفيفة على الإجابة، فقالت:

- «وأنا أيضاً».

أشار والدها إلى الأريكة في دعوة منه للسيد دشتي للجلوس، فمشى السيد دشتي على السجادة، وجلس مُرخياً ثِقله، ومستهيناً بارتفاع الأريكة. قدّمت داريا للسيد دشتي بعض المكسرات والحمص المجفف، وبدأ زوجها يتجاذب معه أطراف الحديث، ولاحظت مينا فقاعات صغيرة من العرق تتصبب على جبهة السيد دشتي وذقنه. سأله الأب عن سفره، وعما إذا كانت رحلته مريحة، وكيف وجد نيويورك، وكيف أحبّ أتلانتا، وكيف كانت عائلته، وقام هو بدوره بالتعليق بابتهاج على طقس نيويورك، وعدم الكفاءة الهائلة لسائقي سيارات الأجرة في المدينة.

- «حسناً، كلهم مهاجرون الآن، أليس كذلك؟»، تدخلت داريا قائلةً، كما لو كانت هي نفسها من سلالة مجموعة **ماي فلاور**.

لم تقل مينا شيئاً، بل جلست هناك فحسب، في انتظار الغداء. **سنأكل، ثم سنتناول الشاي المطلوب، ثم سيعود من حيث أتى**، قالت لنفسها. كان لديها دروسٌ محاسبية لمراجعتها، ومسألة مالية لتحضرها. وبينما كان السيد دشتي يطوي ساقيه ويفتحهما، لاحظت مينا أنّ بدلته البيج كانت ضيقة جداً عليه، وأنه كان أكثر بدانة بكثير مما أشارت إليه جداول داريا البيانية. كان بإمكان مينا أن ترسم تصورها عن هذا الرجل الجالس في منزل والديها، حيث تخيلت شعراً طويلاً متناثراً على أصابع قدميه، وأنه كان يريد على الأرجح

طفلاً في غضون عام واحد، على أن يكون صبياً. لقد بدا لها من نوع الرجال الذي لا يمكنها التحدث إليه في منتصف الليل أبداً. سيطلب منها أن تكتب لوالديه في إيران مرة كلّ أسبوع، باللغة الفارسية، بقلم حبر وباللون الأزرق فقط. وقد يرغب في أن تقدم له الحساء ساخناً جداً، وفي أن يكون ابنهما الذي سيُرزقان به طبيباً يُجري عمليات جراحية لأورام عصبية في الدماغ، أو أن يُصبح مهندساً مشهوراً في ماريلاند حيث سيعيش مع زوجته، زوجة ابن مينا التي كانت ستذهب إلى دروس التمارين الرياضية بينما تراقب مينا الأحفاد.

لم ترغب مينا في مراقبة الأحفاد، كما أنها لم تكن تحب ماريلاند أصلاً.

* * *

زيّنت صفوفٌ رقيقة من الأرز المنقوع بالزعفران أطباقهم على مائدة الغداء. وكان طبق **غورميه سابزي خورش** مزيجاً مثالياً من لحم الخروف والفاصولياء الحمراء الممزوجة بالخضار من البقدونس والكزبرة والبصل الأخضر والحلبة. قضمت مينا ليمونة فارسية مجففة، فملأت فمها دُفقة رذاذ من الحموضة. وبحلول الوقت الذي انتهى فيه الغداء، كان السيد دشتي ووالد مينا وداريا قد تحدثوا في مواضيع شتّى: عن السياسيين فاتفقت آراؤهم على أن جميعهم دجّالون، وعن الطقس فقالوا إن الشمس تمنح الضوء ولكن ليس الدفء الكافي في هذا الجزء من أمريكا، وعن الأعمال فأكدوا على أنها مهمة، وعن الطب فأكدوا على أنه مهم حقاً، وعن الكيمياء فقد صادف أنّهم كانوا يعرفون أستاذ العضويات العبقري نفسه، وعن المهاجرين فقالوا إنهم يخرّبون كوينز، وعن التلفزيون الكابلي فقالوا

إنه أرض قاحلة تجارية ضخمة، وخاصة قناة الطعام فركّزوا على أنه فكرة جيدة لكن يجب على الطهاة تنظيف أوانيهم أكثر وعدم تقطيع الخضروات على الطاولات المتسخة. وفي خضمّ تلك الأحاديث، لم تقل مينا سوى بضع كلمات مثل «جيدة» رداً على حال الكلّية، و«مثيرة للاهتمام» رداً على طبيعة دراستها، و«نعم» رداً عما إذا كانت ترغب في المزيد من الأرز. وقد تمّ طرح جميع الأسئلة المذكورة أعلاه من قبل والدَيها في محاولتهما لحملها على المشاركة في الحديث، إذ كان السيد دشتي معقود اللسان في كل مرة ينظر في اتجاهها، وقد انتشرت بقعٌ داكنة من العرق في منطقة الإبط من بدلته البيج، وكان يمسح جبهته باستمرار بمنديلٍ مجعد أمسكت به يده البدينة.

نهضت داريا وزوجها لتنظيف الطاولة أخيراً، وهبّت مينا للمساعدة، لكن داريا قالت بابتسامةٍ متشنجة إنّ على مينا الجلوس، وإنهما لا يحتاجان إلى المساعدة في المطبخ، فبدا من الواضح أن مينا لن تستطيع الهروب من قضاء وقتٍ مخيف بمفردها مع السيد دشتي، لذا جلست قبالته في صمتٍ، بينما كانت داريا وزوجها يثرثران في المطبخ، وساعة الجد تتك بصوت عالٍ بجوار الدرابزين.

- «آنسة مينا»، قال السيد دشتي أخيراً، «اممم، كيف الأحوال؟».

ولدى سؤاله هذا نظرت مينا إلى أعلى، متفاجئة. حتى الآن، كان الجميع قد تحدث بالفارسية، ولم تكن لكنة السيد دشتي هي النبرة الرخيمة المألوفة والذي بإمكان شقيقها كايفون تقليدها جيداً، بل كانت أمريكية بامتياز.

- «إنها تسير»، قالت بالإنجليزية، فلمعت جبهة السيد دشتي

الملساء تحت شعاعٍ من ضوء الشمس آتٍ من النافذة. «أعني، إن الأحوال على ما يُرام، شكراً لك».

أومأ برأسه. تم تشغيل غسالة الأطباق في المطبخ، وراحت مينا تتخيل والدها وهو يغسل الأواني النحاسية بيده، بينما كانت داريا تقوم بإعداد الشاي الطازج.

عضّ السيد دشتي شفته وهو يتفحص الرسومات الفارسية المصغرة على الحائط. وللمرة الأولى في جميع لقاءات ترتيب الزواج، تبادر إلى ذهن مينا أنّه كان متوتراً بقدر توترها تماماً.

- «إذاً، كيف أحببتَ الحصول على ماجستير إدارة الأعمال؟»، سألته.

أشرقت عيناه، وابتسم. حسناً، كان هناك شيءٌ صحيح فيما قالته داريا: كانت له أسنان جميلة.

- «حصولي على درجة الماجستير في إدارة الأعمال؟ نعم، حسناً، أحببت ذلك، يا آنسة مينا. لقد كان برنامجاً جيداً ومفيداً للغاية بالنسبة إليّ، وقد استمتعت به». نظر في عينيها لأول مرة. «إن درجة الماجستير تحتاج كثيراً من العمل، لكن في النهاية، الأمر يستحق العناء».

- «نعم»، قالت مينا، وأومأت برأسها بلا داعٍ، وكان هناك شيءٌ ما في الطريقة التي تحدث بها جعلها تشعر بأنها يجب أن تساعده بدلاً من جعل الأمر أكثر تعقيداً عليه بطريقة طفولية. ففي النهاية، مَن كان يعرف أي داريا كانت لديه في المنزل؟ من كان يعرف أي قريب متطفل أقنعه باستقلال تلك الطائرة والقدوم إلى كوينز لتناول الغداء؟ كان كلاهما ضحيتين للعنة نفسها. أدركت مينا أنهما لن يلتقيا مجدداً أبداً، لذا قررت أن تحاول جعل ما تبقى من

وقتهما معاً ممتعاً نسبياً على الأقل. مسكين، تعيّن عليه ارتداء تلك البدلة البيج وكل شيء.

- «إنه برنامجٌ رائع! أنا أتعلّم الكثير»، قالت مينا بصوتٍ عالٍ أكثر من اللازم.

- «هذا صحيح. أنتِ تتعلمين... الكثير جداً»، قال السيد دشتي، ثم أومأ برأسه ونظر إلى الرسومات الفارسية المصغرة المعلقة على الجدار، بينما أخذت مينا تتأمل مفرش المائدة.

- «ها هو الشاي»، صاحت داريا وهي تحمل صينية بين يديها عليها أربعة استكان، أكواب صغيرة على شكل ساعة رملية مملوءة بالشاي المخمر، بينما كان الأب يحمل وعاءً فضياً مليئاً بقطع السكر في يدٍ، وطبقاً من البقلاوة المقطعة على شكل معيّنات في اليد الأخرى.

- «سَلِمتْ يداكِ، سيّدة رضائي»، قال السيد دشتي، «أعتذر عن المتاعب التي سببتها لكِ».

- «أوه، لم تكن هناك متاعب على الإطلاق»، قالت داريا.

- «هذه البقلاوة لذيذة جداً»، قال السيد دشتي، «أشعر بالحرج من المتاعب التي سببتها لكِ».

- حسناً، إنّ السر يكمن في كثافة عجينة اللوز، قال الأب ثم قام بفرك أصابعه معاً لتوضيح كيفية تحقيق هذه الكثافة. «كل شيء يكمن في العجن، يا سيدي. كل شيء يكمن في العجن».

انحنى السيد دشتي باحترام وأصغى إلى وصفة الأب. وهنا أدركت مينا أن السيد دشتي يستحق إنسانة كريمة ومحترمة، فتمنت له الخير، وشعرت بوخزة صغيرة من الذنب لأنها لا يمكنها أن تكون تلك الإنسانة. واصل والدها الحديث عن نقع اللوز، وبعد ذلك وفي

لحظة خاطفة - حين قطّع السيد دشتي البقلاوة إلى نصفين، وتشكّل ضباب على نظارات والدها من رشفة شاي - تبادلت مينا نظرة مع داريا، وعرفت أن أمها استطاعت قراءة تعابير وجهها، وأن داريا استوعبت على الفور أنّ مينا لن تجرب فساتين الزفاف في وقت قريب، ولن يكون هناك صفرة زفافية مغطاة بمفرش من الحرير.

لقد انتهى الأمر.

كانت أكواب الشاي فارغة الآن. تنهدت داريا تنهيدة طويلة وطوت منديلها في حضنها إلى مربعات أصغر فأصغر، وشكَرَ السيد دشتي الجميع من جديد على الطعام الرائع، والغداء، والشاي، والبقلاوة، فقالت داريا بإيجاز:

- «لم تكن هناك متاعب على الإطلاق، يا سيد دشتي. نأمل أن تكون قد استمتعتَ في نيويورك».

بات الجميع حول الطاولة يعلم الآن أن السيد دشتي ومينا لن يتزوجا أبداً.

- «نأمل أن تكون رحلة عودتكَ إلى أتلانتا مريحة وخالية من المتاعب»، قال الأب، وبهذا كان من الواضح أنّ السيد دشتي لن يعود بعد ذلك.

رفعت داريا كأس الشاي، وقالت:

- «لا نتمنى لكَ إلا الأفضل، يا سيد دشتي، وإن شاء اللّه لن تجد سوى النجاح المستمر في المستقبل».

شرب الجميع الشاي ومصّوا مكعبات السكر مع حلول العصر الذي خيّم عليهم. كان رأس السيد دشتي منخفضاً وكتفاه متدليتين، لكنه شكر داريا وزوجها مراراً وتكراراً على الغداء اللذيذ والشاي. وهنا لاحظت مينا أن وجهه لم يعد رطباً من العرق، رغم أنه كان

يشرب الشاي الساخن. وعندما تناولت مينا البقلاوة، وكذلك فعل السيد دشتي، تلاقت نظراتهما للحظة، فرأت التعبير على وجهه بوضوحٍ تام، وقام بسحب يده بأدب وابتسم مُظهراً أسنانه الجميلة.

عندما نهضت مينا لتعيد أكواب الشاي إلى المطبخ، أدركت أن التعبير الذي رأته على وجه السيد دشتي لم يكن تعبيراً عن الاكتئاب أو الرفض، بل كان في الواقع تعبيراً عن ارتياح مجيد.

الفصل الثالث

بركة من الملفات

- «إنه بدين، نعم، بدين، ويحتاج إلى ممارسة الرياضة، ولا ندري إنْ كان حاصلاً على درجة الدكتوراه حقاً، فاللّه يعلم. وكان يجدر به ألّا يأكل كل هذه البقلاوة في جلسة واحدة. ثم ما هذه البدلة؟!»، جعّدت داريا أنفها ازدراءً وهي تخاطب زوجها.

- «بس، كفى، توقّفي يا داريا»، قال الأب.

كانوا في المطبخ يرتّبون أطباق الغداء، وكان الوريد في جبين داريا يخفق بقوة، كما يحدث دائماً عندما تكون مستاءةً. لاحظت مينا أنّ كعكة شعر والدتها تفكّكت.

- «إنّ الأمر فقط... حسناً، لم ينجح الأمر. فأحياناً تكون المعلومات التي تردني من بعض مصادري متحيّزة بعض الشيء، كل ما أقوله هو...».

لقد وقفوا في الفناء الأمامي للمنزل بينما كانت سيارة السيد دشتي الفضية الأنيقة تتراجع في الممر لتختفي في آخر الشارع. وكان

الثلاثة قد لوّحوا على نحوٍ شكلي، واستمروا في تحريك أياديهم يميناً ويساراً حتى بعد رحيل سيارة السيد دشتي.

- «لا يهم!»، قال الأب وهو يجفف ملعقة صغيرة. «إلى الأمام!».

- «نعم، بالطبع، لنمضي قُدماً. . . إلى الأمام، أو أيّاً كان ما تقوله. أنتِ تعلمين أن الأمر ليس مهماً، أليس كذلك، يا مينا جون؟ لقد كان بديناً».

- «أرجوكِ توقفي. توقفي عن كل ذلك فحسب. توقفي عن دعوة الرجال. توقفي عن إعداد رسومٍ بيانية لهم. توقفي عن إذلالي. وإذلالهم. توقفي فحسب. أرجوكِ»، قالت مينا.

دفعت داريا المقلاة إلى صدر زوجها وقالت:

- «ما الخطب بحق السماء؟ تعالي معي إلى الطابق العلوي، يا مينا. هيا، تعالي معي».

شعرت مينا وكأنّ كل هذا يحدث لشخصٍ آخر، في عائلة أخرى. والدا شخصٍ آخر هما من يدعوان كل هؤلاء الرجال، ليس والديها. ليست الأمّ التي عرفتها أثناء نشأتها، والتي أخذتهم إلى دروس اللغة الإنجليزية في طهران وعلّمتهم شعر الغزل الفارسي. وليس الأب الذي قام بعقد أربطة حذائها بهدوء في النزهات الجبلية، وعلّمها كيفية عدّ الشراغيف في المطر، ولعب الشطرنج بجوار نار المخيّم.

تبعت مينا داريا إلى الطابق العلوي، وكأن خيطاً غير مرئي تمنت قطعه إلى نصفين يجذبها إلى والدتها.

كانت تفوح من غرفة النوم رائحة التفاحِ الأخضر وموادِّ التنظيف. كان المكتب مصقولاً وقد تم تلميعه حديثاً. وكانت طاولة

المكتب مرتّبة على نحوٍ مثالي. الشيء الوحيد الذي لم يكن مرتباً هو خزانة الملفات: كانت مفتوحةً وقد برز منها ملف السيد دشتي الأصفر، فلا بد أنّ داريا راجعته سريعاً في الصباح.

- «أنا حقاً لم تعجبني الطريقة التي تناول بها الشاي وهو يصدر الأصوات مثل الفلاحين»، قالت داريا وهي تعقد ذراعيها، «بإمكانك الحصول على أفضل من ذلك بكل تأكيد!».

ناجت مينا ربها في نفسها وطلبت منه العون والمدد. «ساعدني يا إلهي العظيم، وكن في عوني».

- «هذا الرجل كان فكرتكِ. أتذكرين؟»، قالت مينا وهي تحاول أن تكون هادئة وعقلانية. «أليس من المفترض عندما تكونين في العشرينات من عمركِ أنْ تأخذي وقتاً لاكتشاف الأمور، والاستمتاع بالحياة، ومعرفة مَن أنتِ؟ لِمَ الانتقال السريع للزوج والأطفال؟ ألستُ في كلية إدارة الأعمال بالفعل؟ وأقوم بحلّ تلك المعادلات التي تحبينها؟».

- «أوه، كفاكِ هراءً أرجوك، يا مينا. ما هذه الطفولة الممتدة التي تمجدونها أنتم الأمريكيون... "معرفة مَن أنتِ؟" هذا خطاب نفسي تافه وخرافة. هل تريدين أن تعرفي مَن أنتِ؟ سأخبركِ من أنتِ. أنتِ ابنتي!».

ارتمت مينا على سرير داريا.

- «هل تدرين ما هي كل هذه المسرحيات حول "التكيف مع العالم الحقيقي" التي يتحدث عنها الناس هنا؟ كسل! نعم، إنها وسيلة للتهرب من المسؤولية. لا يستغرق الأمر عقداً من الزمن لـ "اكتشاف الأمور". اكتشاف ماذا؟ وإلى متى يتوقع هؤلاء أن يبقوا أطفالاً؟».

حدقت مينا في الملف. هل اعتقدت داريا أن الرجل سيكون آخر جزء من أحجية مينا الرياضية؟ أنه سيكون المتغيّر النهائي ليكتمل جدول البيانات؟ هل كانت تبحث عن الصيغة المثالية لحل مشكلة مينا؟ ما الذي يتطلبه إنشاء النموذج «الكامل» والمثالي لمينا في نظر داريا؟ ولو أنّ داريا تخلّصت من هذه الملفات، لسألتها مينا عن سبب تخلّصها منها جميعاً، وربما ستُجيب داريا أن الأمر لا يستحق العناء الذي تتكبده من أجل الإعداد لكل هذه اللقاءات. ستقول لمينا: أنتِ لا تتعاونين معي، أنا أستسلم! وستتنهد عند ذلك تنهيدة الأم المُضحيّة، وستترك مينا تغوص في بركة الذنب المألوفة لديها.

- «هل انتهينا من ترتيب اللقاءات هذا؟ لم يعد الأمر يستحق العناء، أليس كذلك، يا داريا؟»، سألتها مينا بصوتٍ عالٍ.

- «ليس أنّ الأمر لا يستحق العناء، بل هو أنكِ تستحقين أفضل من ذلك».

مرّت سيارة في الشارع، تصاعد منها صوتُ موسيقى روك صاخبة أخذت تدوّي في رأس مينا.

- «كل هذا»، قالت داريا وهي تشير بيدها إلى خزانة الملفات، «موجود لأن ما يمكنني فعله هنا قليل. أما هناك، فكنتُ في بيئتي، كانت لدينا كرامة، وحياة راسخة، كنا مستقرين. وليس أجانب مضطرين للتنقيب عن أجانب مثلنا. هناك، كان بإمكاني أن أمنحك كل شيء».

وعندما فكرت مينا في داريا وهي في بيئها، لم تستطع أن تتخيل نفسها في أي مكانٍ يمكن أن تسميه بيئتها. فهل كان البلد الآخر حلماً؟ عندما وضعت مينا وجهها على نافذة الطائرة، في تلك الليلة الأولى حين كانوا على وشك الهبوط في نيويورك، واستمتعت

بأضواء المدينة المتلألئة كالجواهر، هل اختفى البلد الآخر من الوجود؟ هل كانت مينا أجنبية هنا؟ لطالما اعتقدت أنها أمريكية، ولطالما نعتتها داريا بذلك.

أحدثت شمس الغروب بُقعاً من الضوء على السجادة الفارسية. لقد حلّ الشفق. كان على مينا وأخويها أن يحافظوا على الشبكة الهشة التي خلقوها للحياة الجديدة وأن يحرصوا على عدم تفكك أي خيط لأنهم غادروا مكانَ خرابٍ وهذا - البيت الآمن، الحريات، الأسواق المريحة للمواد الغذائية، الشوارع الهادئة - هذا ما جاؤوا إلى هنا من أجله، ولم يكونوا بحاجة إلى الجدال. لم يكونوا بحاجة إلى تعطيل هذه الحياة الأمريكية الآمنة التي قاموا ببنائها ولملمتها من الصفر بطريقة ما.

- «سأجهز طاولة الطعام لتناول العشاء»، قالت مينا ثم سارت بحذرٍ من حول خزانة الملفات ونزلت إلى الطابق السفلي.

* * *

كانت لديهم بقايا طعامٍ للعشاء، لكن كان الأرز فقدَ معظم حبات الزعفران، كما أنه لَم يتبقّ أي من **التهديج**، وهو الأرز المقرمَش الموجود في قاع الوعاء.

رنّ الهاتف.

- «إنها يونغ-جا»، نادى الأب.

وحين أخذت داريا الهاتف، تمتمت بـ «نعم» و«لا» و«حسناً، أنت تعلمين أنّ جداول البيانات الخاصة بي تحتوي على هامش من الخطأ».

علمت مينا أنّ عليها العودة إلى شقتها في مانهاتن، إذ كان

عليها إعداد مسألة مالية ضخمة للصباح التالي، ولكنها شعرت بأنها حائرة، غير متوازنة.

تسللت إلى غرفة داريا بعد العشاء. كيف يمكن لشخصٍ أن يقضي وقتاً طويلاً في محاولة العثور على شريك لشخصٍ آخر؟ هل كانت داريا حقاً قلقة بشأن قضاء مينا حياتها وحيدة؟ أَم أنها فقط تستمتع بالمخططات والرسوم البيانية؟

قامت مينا بإخراج الملفات واحداً تلو الآخر، والتي تحتوي على بيانات عن رجالٍ متفوقين، ثم قامت بنشر السير الذاتية على الأرض، وقد كانت كتابة داريا اليدوية واضحة عليها كلها. «نسيت الأم إعطاء أخيه لقاح شلل الأطفال، فأصيب الأخ بشلل الأطفال»، كتبت داريا على هامش السيرة الذاتية لجهانفرد، كما كتبت «مهملة!» باللون الأحمر. وفي ملف آخر، عثرت مينا على ملاحظات عن مصرفيٍّ يبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاماً، ووفقاً لِما كتبته داريا: «دخّن لمدة عشر سنوات ولكنه أقلع عن التدخين الآن»، وبجوار تلك الملاحظة كانت قد كتبت باللون الأحمر: «تحققي من ذلك. تأكدي».

عندما ظهرت داريا عند باب غرفة النوم، كانت كعكة شعرها قد انسدلت تماماً، بحيث بدت مهزومةً حتى وهي في بدلتها الأنيقة. خَطَت فوق الملفات التي كانت قد فرشتها مينا على الأرض. لم تقل شيئاً، بل انزلقت وجلست على الأرض قبالة مينا فحسب، وضمّت إلى صدرها ركبتيها اللّتين ترتديان جوارب طويلة، ونفخت على شعرها الأحمر كي تبعده عن عينيها، وللحظةٍ بدت شابةً من جديد. في تلك اللحظة، بدتْ وكأنها الأم التي تتذكرها مينا من إيران ما قبل الثورة. تلك الأم التي كانت لتضحك لفكرة إعداد رسوم بيانية

للأزواج المحتملين، فهي لديها أمور أكثر أهمية لتفعلها. بدت وكأنها تلك الأم الشابة القديمة.

فكّرت مينا في السيد دشتي مجدداً. لقد كان في الحقيقة رجلاً لطيفاً بما فيه الكفاية، ولكن بدا كما لو أن يومهم تمحور حول وحشٍ.

- «كنت أسخر من الأشخاص الذين ينظّمون لقاءات مع الخاطبين، هل تعلمين ذلك؟»، قالت داريا ثم وضعت رأسها على ركبتيها، مُحاطةً ببركة من الملفات. «كنت أسخر من ذلك».

وحين أحنت داريا رأسها، تمكنت مينا من رؤية الجذور الرمادية في شعرها.

- «هل قمتِ بتحضير مسألتك المالية، يا مينا؟ أليس لديكِ واجب جامعي مهم لتقومي به؟ لا ينبغي أن تضيّعي وقتك على الخاطبين، أنتِ تعلمين ذلك، أليس كذلك؟»، قال صوتُ داريا المخنوق وهو يشقّ طريقه من بين ركبتيها.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الرابع

حديث على الوسادة وتعليم الكِبار

لم تطق داريا الانتظار حتى ينتهي اليوم، فقد كان قلبها ينبض بسرعة كبيرة، ويطرق على ركبتيها المطويتين إلى صدرها. لم ينجح معها شيءٌ في الآونة الأخيرة، وكانت «الآونة الأخيرة» عندها تعني منذ الثورة. لمدة خمسة عشر عاماً، كانت حياتها متوقّفة. لمدة خمسة عشر عاماً، انتظرت أن يتغيّر النظام في إيران حتى تتمكن من العودة إلى حياتها الطبيعية. إلى منزلها الأخضر في طهران، والذي كان على بُعد بضع مربعات سكنية فقط من المكان الذي عاش فيه والداها قبل مقتل والدتها. لكي تعود إلى تلك الحياة حيث لا يهم ما إذا كنت حائزاً على شهادة إدارة الأعمال أو أين تقع أتلانتا. لكنها كانت هنا، وكان الأولاد يكبرون ويصبحون أكثر فظاظة، بل كانت مقتنعة أحياناً بأنهم يصبحون أكثر حماقة. لم يكن الغداء مع السيد دشتي مختلفاً كثيراً عن وجبات الغداء وجلسات الشاي مع الرجال الآخرين، إلا أنَّ شيئاً ما في وجهه اللامع وكذلك أسنانه المثالية

وسلوكه الهادئ، جعل داريا تشعر بالحرج من دعوته للزيارة. بدا الأمر كما لو أنه دوّن بابتسامته البيضاء حماقة التجربة برمّتها، ما جعل داريا تشعر بالإحباط، كما لو أن هذا كان القشّةَ التي قصمت ظهر البعير. من أجل ماذا؟ ماذا كانت تفعل بحق الجحيم في كتابة سير ذاتية وإعداد رسوم بيانية لرجالٍ لا قدر لهم ولم يكونوا جديرين بابنتها؟

لقد حصل ما حصل. لقد غيّرت الثورة عالمها، وما حصل لا يمكن الرجوع عنه.

دخل بارفيز في تلك اللحظة مرتدياً قميصاً وبنطال جينز، إذ لم تعد هناك حاجة للبدلة ولربطة العنق ذات السلاحف، إلا أنه كان لا يزال تفوح منه رائحة عطر أولد سبايس التي لازمته منذ أن انتقلوا إلى أمريكا، فهو لم يتوقف عن استخدام هذا العطر منذ اليوم الذي أتى فيه بعائلته إلى هذه البلاد، بما فيها من قصب السكر وعروض الخيالة وموقفها اللامبالي حيال كل شيء وأيّ شيء.

- «داريا جون، سأوصل مينا إلى منزلها»، قال بارفيز.

- «لا داعي لأن توصلني. لقد جئت بالمترو اليوم، وبإمكاني العودة به»، قالت مينا.

- «الوقت متأخر»، قال بارفيز.

- «سأكون بخير».

- «حسناً، إذا» سأوصلك إلى المحطة فقط».

وعند ذلك رفعت داريا رأسها وتدخلت لتحسم الجدال بين بارفيز ومينا، قائلةً:

- «اذهبي مع والدكِ، دعيهِ يصطحبكِ. هيا، انطلقي».

لوّحت مينا بيدها وهي عابسة ومتجهمة، وتمنت داريا لو كانت

ابنتها أكثر عزيمةً، وأكثر ثقةً بالنفس. أين ذهبت ثقة مينا؟ وأين ذهب امتنانها؟ اشكري والدكِ لأنه سيوصلكِ، بحق السماء! ألم تُعلّم داريا ابنتها أي شيء؟

وبمجرد أن سمعت زوجها وابنتها يخرجان من مرآب السيارات، استلقت داريا على الأرض، ومدّدت جسدها وأغمضت عينيها. في إيران، كانت أسقف منزلهم عالية جداً، ما جعلهم يشعرون بحريةٍ أكبر في الداخل. أما هنا، في هذا المنزل المصمم على طراز رداء عباءةٍ كما أسماه بارفيز، لطالما شعرت كما لو أن الجدران تخنقها، فكان ابناها بالكاد قادرين على الوقوف منتصبين في هذه الغرفة، حتى أنها شعرت كما لو أن رأسها سيصطدم بالسقف إذا وقفت على أصابع قدميها الملتفة بجوارب النايلون.

تذكرت داريا حديقة والدتها: الزهور القرمزية الوفيرة، وأشجار الليمون، ورائحة الأوراق والتراب بعد ريّ والدها للشجيرات، وصوت عربة بائع الشمندر وهي تمرّ بجوارهم في الحي.

- «خوبه؟ هل أنت بخير؟»، أيقظها صوت بارفيز الذي ظهر في مدخل الغرفة كما لو كان ذلك بفعل السحر. كانت الرحلة إلى مترو الأنفاق قصيرة جداً، أو ربما هي من فقدت الإحساس بالوقت.

ضمت يدُه الدافئة المألوفة يدَها وهو يستلقي على الأرض بجانبها. في المرة الأولى التي لمست فيها يده يدها، عندما أشرفت والدتها على خطوبتهما، فُوجئت داريا بالعروق السّميكة والبارزة على ظهر يده، أما الآن فقد أحبّت تلك العروق. استلقيا على ظهرَيهما، محدّقَين في السقف.

- «خوبم، أنا بخير»، قالت داريا ثم أغمضت عينيها من جديد، وراحت تفكر في حياتهم القديمة في طهران، حيث لم يكن

هناك داريا وبارفيز وهومان وكايفون ومينا فقط، بل كان هناك أيضاً والدتها، ووالدها آغا جان، وكذلك شقيقة داريا نيكي وأطفالها، ووالدا بارفيز، وإخوته الأربعة وأطفالهم، وأخوات والدتها الخمس وأطفالهن، وجميع أبناء العمومة والعمّات والأعمام والعائلة الكبيرة، والتي امتدت من طهران إلى مازندران على بحر قزوين. ولطالما أحبّت داريا تلك الحياة المترابطة والمتآلفة، حيث كانت تقيم حفلات أعياد الميلاد، ويحضرها حوالي مئة شخص حاملين الهدايا والقبلات والكلمات الطيبة والنميمة. وكان لديهم أصدقاء أيضاً، هؤلاء الأصدقاء الذين تعرّف عليهم داريا وبارفيز في الجامعة وهم مجموعة صاخبة وفرِحة، يمكن اعتبارهم من العائلة أيضاً. افتقدت داريا كل هؤلاء كثيراً.

أصدر بارفيز صوتاً يشبه االشخير، فهل كان يبكي؟ ربما كان هو أيضاً يفتقد حياتهم القديمة، يفتقد ذلك الاستقرار الذي اختفى حالما اندلعت الثورة وأشعلت الحرب النار في بلادهم وفرّقتهم جميعاً. ربما كان يتذكر يوم ذلك التفجير المروّع الذي قتل والدتها.

فتحت داريا عينيها ونظرت إلى زوجها.

- «يا إلهي، يا بارفيز، هل تقوم بتمارين عضلات البطن؟ أليس هناك وقتٌ لا تستغل فيه اللحظة؟ نحن... اعتقدتُ أننا نتحدث!».

كان بارفيز يلهث ويتعرق قليلاً، وقال وهو يزفر:

- «أقوم ببعض تمارين الحوض فحسب...».

- «أووه، حبّاً باللّه»، صاحت داريا وهي تنهض. كان جوربها النايلون القمط يشد على جسدها عند الخصر. ما الفائدة من ذلك؟ كان بارفيز سعيداً بأن يكون هنا، ولم يفتقد أي شيء في إيران، ولطالما كان يغتنم اللحظة اللعينة.

لم تطق داريا الانتظار حتى تخلع جوربها النايلون الضيق. لم تطق الانتظار حتى ترتدي بيجامتها وتأوي إلى السرير.

- «وخمسون!»، قال بارفير وهو يزفر زفرة المنتصر، وينهض بقفزة سريعة.

* * *

في وقتٍ لاحق من تلك الليلة، كان بارفيز يشخر بسلام، فيما كانت داريا مستيقظة بجواره.

أطلق بارفيز شخيراً عالياً وعميقاً ينمّ عن نومه العميق، فاستدارت داريا نحوه. كيف له ألا يريد العودة أبداً؟ كيف له ألا يفتقد منزل والدَيه في وسط مدينة طهران، حيث كان الحمّام في الهواء الطلق، وكانت القطط الفارسية تحوم بجوار البركة في حديقتهم؟

وكَزتْ داريا زوجها بلطفٍ، فأصدر شخيراً عالياً واستيقظ مذعوراً.

- «هل أنتَ نائم؟»، همست له داريا.

- «لا، أنا أمارسُ القفز المقصّي، يا عزيزتي. بالطبع أنا نائم! ما الأمر، يا داريا؟ انسَي أمرَ دشتي ذاك. دعيه وشأنه فحسب. اخلدي إلى النوم، يا داريا».

- «ألا تفتقد منزل والدَيكَ في وسط طهران، حيث كان الحمّام في الهواء الطلق وكانت القطط الفارسية تحوم بجانب البركة في الحديقة؟».

- «ماذا؟»، تمتم بارفيز.

- «هل تفتقده؟».

- «لا».

- «لماذا؟».

- «لأنه كان في وسط طهران، وكان الحمّام في الهواء الطلق، وكانت القطط تحوم في الحديقة. لهذه الأسباب! داريا، ما الفائدة من تشغيل أغنية "أفتقدُ وطني" من جديد؟ أنتِ تعلمين أنَّ عليكِ أن تعيشي في الحاضر، تعلمين أنه ليس بإمكانك العودة إلى الماضي...».

- «أوه، رجاءً، لا مجال لهراء المساعدة الذاتية في الوقت الحالي»، قالت داريا ثم أدارت له ظهرها.

- «أنت من أردتِ الحديث!».

- «أنا أشعر بالحنين إلى الوطن فحسب، هذا كل شيء. لم أعتقد أبداً أنني سأقوم يوماً بإعداد رسوم بيانية للمعدلات التراكمية للرجال من أجل مينا. اعتقدت... اعتقدت أن الأمور ستكون مختلفة عندما أبلغُ منتصف العمر. اعتقدتُ أنني سأكون ناجحة».

- «بل أنت ناجحة، يا داريا. لديكِ ثلاثة أولاد رائعون. وقد قمتِ بإعادة خلق حياة ومنزل في بلد جديد تماماً. كما أصبح هومان طبيباً وكايفون محامياً، ومينا تدرس إدارة الأعمال. لقد رحلنا من إيران، ونحن أمريكيون الآن. حتى أنكِ تعملين موظفة بنك، فماذا تريدين أكثر من ذلك؟».

تنهدت داريا.

- «تصبح على خير، يا بارفيز».

وفي غضون دقائق قليلة، كان بارفيز يشخر من جديد، فحتى نومه كان فعالاً. كان على حق. لقد نجح الأولاد، وكان هذا الأهم. وكانت موظفة بنك بالفعل، وهي وظيفة أفضل بكثير من الخياطة التي كانت تعمل بها في مغسلة الملابس عندما انتقلوا إلى هنا. عادت بالذاكرة إلى أيام دراستها الجامعية، حيث في ذلك

الوقت وعلى عكس الآن لم يكن هناك الكثير من الفتيات اللواتي التحقنَ بالجامعة في إيران، إذ زاد معدّل التحاق الإناث بالجامعة بعد الثورة الإسلامية. ولكن قبل الثورة، كانت واحدة من خمس فتيات في فصلها بأكمله. وتذكّرت زملاءها الشباب وهم يتنافسون على جذب انتباهها بالمغازلة، وبدعوتها إلى السينما، وبعروض الخطوبة، في الوقت الذي حاولت داريا التركيز على دراستها ودرجاتها. وقد كانت دروس الرياضيات هي الأكثر إثارة للاهتمام، والأكثر تحدياً، والأفضل، إذ بدا لها وكأنّ بإمكانها الإمساك بالأرقام في ذهنها والضغط عليها بين أصابعها، ودحرجتها، وحتى قذفها في الهواء، ومن ثمّ إعادة ترتيبها في تنظيم مثالي جديد، فتشعر برضا لا يضاهيه شيء. أو ربما بعض الأشياء القليلة فقط.

كان هؤلاء الرجال الإيرانيون يصطحبونها معهم بسياراتٍ مكشوفة ويأخذونها في نزهات في الجبال. في طهرانٍ بدت جديدة وحديثة وعلى حافة التميّز. كانوا يتجهون نحو التحديث، هكذا قال الشاه، كانوا يتقدمون، كانوا على وشك تحقيق شيء عظيم. في يوم من الأيام. تذكرت داريا الفرص التي ظهرت لها عند كل منعطف، فكان بارفيز آنذاك خياراً ثانوياً ليس إلا، بذراعيه النحيلتين، وندوب حبّ الشباب على خدّيه، وكان صوته الجهير هو الشيء الوحيد المميز فيه. وكذلك لطفه. لقد أمسكَ بيدها وساعدها أثناء تنزههما في الجبال. لم تعتقد أبداً أنها ستتزوجه، لكن والدتها أصرّت على ذلك.

راقبت داريا أنف زوجها وهو ينتفخ مع كل شخير، وسحبت اللحاف لتغطي بطنه الذي يهتز. لقد رأت والدتها شيئاً في بارفيز أثار إعجابها منذ البداية.

لقد حصل ما حصل، وما حصل لا يمكن الرجوع عنه.

وها هما الآن، بعد ثلاثة أولاد.

عندما كان ابناها صغيرين، كانت داريا في حَيْرَةٍ من طاقتهما الجنونية. وعندما كانا يتعاركان على أرضية غرفة المعيشة ويعبثان بصناديق **الختام** وأوعية المكسرات التي رتبتها بعناية، حلمت داريا بأن تكون لديها ابنة يوماً. فتخيلت نفسها امرأة أكبر سناً وأكثر حكمة، تأكل **التشيلو كباب** في مطعمٍ مع سيدة شابة هي ابنتها البالغة. كانتا ستتحدثان وتأكلان وتتبادلان الأخبار. وكانت داريا ستصغي إلى ابنتها وتقدّم لها النصيحة عندما تلجأ إليها، وكانتا ستنفجران بالضحك على أشياء سخيفة. وبعد الغداء، كانتا ستتسوقان معاً لشراء أثواب الحرير ومن ثمّ تعودان إلى المنزل وتتبادلان أنماط الملابس. كانت داريا ستوجّه يد ابنتها على طول شرائط القماش، وتعلّمها كيفية القص بشكل صحيح، وتزرع فيها الشعور بالقوة والثقة الداخلية الذي منحتها إياه أمها. وفي يوم زفافها، كانت داريا ستراقبها وهي ترقص، وتشعر بالفخر بالعمل الذي أنجزته على أكمل وجه. هكذا رسمت داريا وجه الحياة في خيالها عندما كانت أمّاً شابة لابنينِ يتعاركان عند قدميها. ثم حدث ذلك. بعد ساعاتٍ من ألمٍ شديد شعرت أنه يمكن أن يعميها، وُضع بين ذراعيها طفلٌ مبلل أرجواني اللون يشبه القطة. كان المولود بنتاً، فشعرت بالفرح الممزوج بالخوف الذي يأتي فقط عندما يتحقق أخيراً حلمٌ طال انتظاره.

وهي لا تزال تشعر أحياناً بذلك الفرح الممزوج بالخوف، والألم الذي يمكن أن يعميها.

بعض الأحلام تحققت، وبعضها الآخر لم يتحقق.

أغمضت داريا عينيها. كان عليها أن تترك بارفيز ينام، لكنها رمت يدها على وجهه وكأنها قامت بذلك عن طريق الخطأ، إلا أنها أرادت إيقاظه.

اهتز بارفيز مستيقظاً من جديد.

- «ماذا؟ ما هذا؟».

- «هل أيقظتكَ، يا بارفيز؟».

- «امممم... نعم، هل صفعتِني للتو؟»، قال وهو يفرك خده.

- «لا، أنا آسفة. انظر، أنا لا أستطيع النوم فحسب. أنا فقط...».

- «داريا، انسَي أمر الرجال. قلتُ لك أن تخلدي إلى النوم فحسب»، قال بارفيز وهو يعود إلى وسادته.

- «هل تعتقد أنني أخطأت في إدخال البيانات؟ هل هذا هو السبب في أن السيد دشتي لم يكن كما كان متوقعاً؟ ظننتُ أنني أقوم بكل شيء بشكلٍ صحيح، ولكن ربما أنا لا...».

انتصب بارفيز وجلس على السرير.

- «بالضبط! أنت بحاجة إلى تحسين مهاراتكِ! وأنا أعرف الأمر تماماً. لقد رأيت شيئاً قبل بضعة أيام...».

كان بارفيز مستيقظاً تماماً الآن، وفي غضون ثوانٍ، كان اللحاف قد رُمِي على الأرض، فقالت داريا في نفسها: «لقد فعلتُها». إنه في وضع لنحلّ هذه المشكلة بفعلِ شيءٍ الآن!

- «دعينا نمسك بالحياة من حلقها، يا داريا جون! دعينا نهتم بهذا الأمر الآن!».

ثم خطا إلى مكتب غرفة النوم وراح يبحث في كومةٍ من البريد والأوراق ورفع كُتيباً.

- «انظري، إنه عام 1996، حسناً؟ يمكن إيجاد حلٌّ لكل مشكلة. أعطيني دقيقة واحدة فقط، يا سيدتي، دقيقة واحدة فقط».

شاهدت داريا بارفيز وهو يُقلّب صفحات الكتيّب، وقد كان الآن في حالة نشاطٍ مُفرط، لكنها ما لبثت أن استلقت على وسادتها وسحبت الأغطية فوقها بيأس، فلم يكن هذا ما تبحث عنه.

- «آه-ها! ممتاز! انظري إلى ما وجدتُه لكِ، يا داريا جون! هيا، انظري! هاه؟ هيا! إنه توقيتٌ مثالي. تعالي وانظري إلى هذا فحسب».

رفعت داريا الأغطية عنها ونهضت من السرير، وذهبت ووقفت خلف بارفيز مرتديةً بيجامتها. كان يحمل كتّيب جمعية تعليم الكبار الذي وصل عبر البريد في وقتٍ سابق من الشهر، ثم قام بفتح صفحة مكتبة كوينز العامة، فحدقت داريا بعينيها لتقرأ النص الدقيق المكتوب بأحرف صغيرة.

- «هلّا تنظرين إلى ذلك! فصلٌ دراسي يا عزيزتي، إنه فصلٌ من شأنه أن يلبّي توقكِ إلى المزيد من العلم والمعرفة، وسيحسّن قدرتكِ على التعامل مع احتمالات النسبة المئوية. انظري إلى ذلك، يا داريا جون، إنه مصممٌ لك!».

تتبعت عينا داريا يدَ بارفيز على الصفحة التي عرضت «جدول الفصل الخريفي لتعليم الكبار في فورست هيلز»، ثم انزلقت سبابة بارفيز الضخمة إلى أسفل الصفحة إلى «مواصفات جداول البيانات. المستوى المتوسط والمستوى المتقدم في كل ما يتعلق بجداول البيانات».

- «أوه»، قالت داريا.

- «هذا ما أقوله! أوه! فعلاً. يبدو الأمر كما لو كان مقدّراً أن

يكون. ماذا تقولين؟ دعينا نقوم بذلك!»، قال بارفيز وبدا مثل مرشده المتحمس تماماً، فقام بنزع استمارة التسجيل من آخر الكتّيب وبدأ في مَلئها بقلم. وسرعان ما كتب اسمها، وعنوانهما، ورقم بطاقة الائتمان الخاصة بهما، وتاريخ انتهاء صلاحيتها. «سأرسلها في بريد صباح الغد، أعدكِ بذلك. وستبدأ حصتك الدراسية الأولى الأسبوع المقبل. هذا سيساعدكِ. لقد انتهيتُ! والآن، دعينا ننال قسطاً من النوم».

ومع إثارةٍ وحماسةٍ لا يمكن سوى لبارفيز أن يحشدها جراء القيام بعملٍ بسيط يتمثل في ملء استمارة تسجيل لفصلٍ لتعليم الكبار والذي لم تكن داريا ترغب حتى في الالتحاق به، عاد إلى السرير مجدداً، وغطى نفسه باللحاف، وسرعان ما كان يشخر من جديد.

وقفت داريا هناك تحدق في الاستمارة المملوءة، ولا تزال رائحة عطر أولد سبايس تفوح من حول المكتب. أعاقت تلك الرائحة تفكيرها. مواصفات جداول البيانات. هل قالت إنها تريد حضور فصلٍ دراسي؟ هل هذا ما قالته؟ لا، ولكن هذا ما اعتقد أنه سيريحها.

حسناً، كان الحل بسيطاً. كانت ستتخلص من الاستمارة قبل أن يتمكّن من إرسالها. لن تذهب إلى فصلٍ دراسي سخيف في مكتبةٍ ما، يقوم بتدريسه شخصٌ مجهولٌ ما.

الفصل الخامس

مواصفات جداول البيانات

سارت داريا إلى مكتبة كوينز العامة تحت أضواء المصابيح المزينة بلافتاتٍ لمهرجانٍ قادم في الحي. توقّفت مترددةً أمام المبنى من الطوب الأحمر. لقد جاءت رغم تحفظها على الأمر، لأنّ بارفيز كان مقتنعاً تماماً بأن تحسين مهاراتها في إكسل هو مفتاح سعادتها. في الحقيقة، هي جاءت لأن بارفيز استيقظ باكراً طبعاً، وأرسل استمارة التسجيل عبر البريد مع دفع كامل الرسوم قبل أن تتمكن داريا من التخلص من الاستمارة. ولدى اتصالها بعد بضعة أيام لإلغاء تسجيلها، قالوا إن الرسوم غير قابلة للاسترداد، فها هي الآن بحاجة إلى التحدث وجهاً لوجه مع المسؤول لاسترداد المبلغ.

تسبب نزولها على الدرج القديم في وخزٍ حادٍ في ركبتها اليُمنى، وهو ما يعني على الأرجح المراحل الأولى لنوعٍ ما من التهاب المفاصل. رائع، منتصف العمر بكلّ آلامه وأوجاعه الجديدة. اتبعت داريا لافتات صفراء ورقية رُسم عليها سهمٌ باليد

وكُتبت عبارة «مواصفات جداول البيانات لميراندا كاتيلا» حتى وصلت إلى خارج غرفةٍ ذات بابٍ زجاجي مغشى. أدارت مقبض الباب ودخلت. هل تأخرت؟ كانت المعلمة تتحدث وكان الناس جالسين على كراسي معدنية قابلة للطي ويدوّنون الملاحظات كما لو كان الأمر مهماً. تباً. لن تستطيع داريا الآن التحدث إلى المعلمة على انفراد إلا بعد انتهاء الدرس. تباً. تباً. لقد فات أوان العودة، فهي دخلت الفصل، وكل العيون عليها، كما أشارت لها المعلمة بالجلوس بابتسامة عريضة مرحبّة. تباً لذلك.

كانت ميراندا كاتيلا من النوع الحيوي الذي يستمد حيويته من القهوة الرديئة التي تحتوي على الكافيين على نحوٍ مفرط. نظرت داريا إلى كوب البلاستيك الصلب في يد ميراندا. يا للوقاحة. دائماً ما يأكل الناس هنا ويشربون أمام آخرين لا يأكلون ولا يشربون، وهو أمرٌ يُعتبر في الثقافة الفارسية فظاً للغاية. كانت داريا تكره أن تصدر الأحكام السريعة، إلا أنها كانت قد عاشت بما يكفي ورأت ما يكفي لتعرف بعض الأمور. فعلى سبيل المثال، عرفت داريا أن ميراندا من نوع النساء اللواتي لا يقمنَ بكيّ أي شيء أبداً.

كانت ميراندا كاتيلا تتحدث عن أهمية جداول البيانات في الحياة اليومية: «ليس فقط في العمل، وليس فقط في المحاسبة، بل في كل شيء: مشتريات البقالة، ميزانية المنزل، طريقة قياس السجلات والاحتفاظ بها، التوثيق، الجمع».

جلست داريا بشكلٍ أكثر استقامة، فقد أعجبها ما سمعته. ماذا لو تحضر هذا الدرس ثم تطلب استرداد أموالها؟ مسكينة ميراندا كاتيلا. هي تدرّس هذا الفصل ليلاً، بدلاً من أن تكون لديها وظيفة حقيقية. نعم، قررت داريا، ستكون **منفتحة الذهن** كما تقول مينا،

وتُعطي هذه الحمقاء فرصة، وتحاول ألا تصدر الأحكام القاطعة.

بحثت داريا عن قلم في حقيبة يدها.

- «تفضّلي»، قال لها صوت هامس.

كان رجلٌ يمدّ لها قلماً. كان في عمر داريا تقريباً، نحيفاً، بني الشعر، رسم الضحكُ خطوطاً عميقة حول فمه. كان يرتدي قميصاً بنقشة مربعات.

أخذت داريا منه القلم، وهمست له: «شكراً لك»، ثم أمسكت بقلم الحبر بيدها. من يأتي إلى صفٍّ عن جداول البيانات مع قلم حبر بحق السماء؟

كانت خُصل شعر ميراندا المجعدة (غير الطبيعية والتي تمّ تشكيلها بمواد كيماوية، كما تكهّنت داريا) تهتزّ متراقصةً، بينما كانت تواصل تمجيد مزايا إكسل بحماسٍ.

- «سام، أليس كذلك؟ سام، هل يمكنكَ أن تخبرني بشيء واحد تعتقد أن جداول البيانات يمكن أن تساعدكَ فيه؟ في حياتكَ؟».

نظر الرجل الجالس بجوار داريا إلى أعلى.

- «حسناً»، قال بصوتٍ أعمق بكثير مما كان عليه حين همس لداريا، «إنها تساعدني في الموسيقى الخاصة بي، وفي وضع خطط الدروس، وتنظيم أسماء الطلاب، والدرجات، خاصة الدرجات».

- «يحتاج المعلمون إلى جداول البيانات أكثر من أي أحدٍ آخر»، قالت ميراندا وقد بدا عليها الابتهاج. «والآن لنقم جميعاً بتشغيل برامجنا، فأودّ مراجعة بعض أساسيات إكسل، ومن ثم الانتقال بكم جميعاً إلى مستوى آخر».

كان بارفيز سيحبُّ ميراندا كاتيلا حقاً، فهي تتحدث بلغته:

«مستوى آخر» وما شابه ذلك. أدركت داريا أنه لم يكن بحوزتها حاسوب. بالطبع لا. فقد جاءت لتسترد دفعتها وتغادر فحسب.

أصبح كرسي سام أقرب إلى كرسيها فجأة.

- «هل ترغبين بالمشاركة؟»، قال لها وهو يفتح حاسوبه المحمول.

استغربت داريا مِنْ أنّ كرسيّ سام لم يصدر أي ضوضاء، فنظرت إلى أسفل ورأت أنّ الأرجل الأربعة للكرسي تنتهي بكرات تنس صفراء، ثم نظرت حولها ولاحظت أن جميع الكراسي بها كرات تنس متصلة أسفل أرجلها، ولهذا السبب انزلق كرسي سام بصمت بجوار كرسيها، ووجدت داريا نفسها مفتونة بخدعة كرات التنس هذه.

كانت تفوح من سام رائحة الصابون والشاي، ورائحة الليمون العطري، وليس رائحة أولد سبايس. كانت عيناه لطيفتين. سحب كرسيه وقرّبه منها أكثر وأمال الشاشة نحوها حتى تتمكن من الرؤية، فذكّرها لُطفه ببارفيز.

حين سألتهم ميراندا كاتيلا عمّا إذا كانوا حقاً يقدّرون الفرق بين الأعمدة والصفوف، وإذا كانوا يفهمون فعلاً كيف يُمكن لإتقانِ برنامجِ إكسل أن «يغيّر حياتهم مع جداول البيانات»، لم تتمكن داريا من حبس نفسها من التذمّر.

رفع لها سام حاجبيه وابتسم، ولم تكن ابتسامةَ زميلٍ في الفصل لزميلٍ آخر في الطابق السفلي لمكتبة كوينز العامة خلال فصلٍ دراسي مجتمعي لتعليم الكبار. لا، ابتسم لها كما كان يبتسم لها الشبان في صِباها عندما كانت تتنزه معهم في الجبال، في ذلك الوقت الذي كانت تتلقى عروضاً للزواج، قبل أن تلتزم بالهدية التي قدّمتها لها

أمُّها، وقبل أن تنخرط في صفوف حياة البالغين وأعمدتها الصارمة.

* * *

أثناء عودتها من المكتبة في تلك الليلة، شعرت داريا أنّ هواء المساء أكثر طراوةً مما كان عليه أثناء قدومها إلى الفصل الدراسي. وحين فتحت باب المنزل ورأت بارفيز جالساً على الأريكة يأكل الفستق فسألها: «كيف كان الأمر، يا داريا جون، كيف كان الدرس؟»، شعرت بشيءٍ من الذنب وهي تقول: «كان رائعاً جداً».

لم تطلب استرداد الأموال، فلا بأس في تطوير معرفتها بجداول البيانات. سيساعدها ذلك في العمل، أليس كذلك؟ وقد تحصل حتى على ترقية بفضل هذا التدريب.

- «هل كان الدرس مثيراً للاهتمام؟»، سأل بارفيز.

- «نعم»، ردّت داريا وشعرت بالذنب مجدداً لقولها هذا لبارفيز الذي كان جالساً يقشر الفستق. وضعت حقيبة يدها جانباً. كانت مجرد ابتسامة من رجلٍ في منتصف العمر في فصلٍ تُدرِّسه امرأة في الطابق السفلي للمكتبة العامة والتي لم تقم بكيّ أي شيء أبداً، لكن في غمرة تلك الابتسامة تقلص بطنها المستدير، ومُحيت تجاعيدها، وشُدت بشرتها، وصُقلت ساقاها، واختفى ألم ركبتيها، ولم تعد بحاجة إلى نظارة القراءة. لم تعد حركة ابنتها وهي تقلب عينيها تفطر قلبها، ولم تكن في حالة من الحزن المزمن على أمها التي فقدتها بسبب القنابل التي تسقط وتقتل بشكلٍ عشوائي. في تلك اللحظة الوجيزة، وبين جدران المكتبة العتيقة تلك، شعرت داريا دانشجو بنفسها طالبةً من جديد، شعرت بأنها عادت إلى ذاتها الشابة القديمة من جديد. تلك الذات التي وقفت على قمة جبال طهران وضحكت لأنها شعرت بالحرية. تلك الذات.

- «لقد أعجبك الدرس إذاً، يا داريا جون؟»، سألها بارفيز.
- «نعم»، أجابت.
- «ما هو أبرز ما أعجبكِ؟».
- «اممم؟».
- «الصف، المعلِّم، الطلاب. هل ثمة من شيء مميز؟».
مررت داريا يدها في شعرها، وقالت:
- «كانت هناك كرات تنس مثبتة في أرجل الكراسي».
- «كرات تنس؟».
- «كرات تنس».
حمل بارفيز حبة فستق ورماها في الجو، وبدا وكأنه يفكر. توقعت داريا المزيد من الأسئلة، فأوقفته قبل أن يتمكن من طرحها.
- «لمنع الكراسي من إصدرار صريرٍ عند تحريكها».
أومأ بارفيز برأسه وكأنه فهم الأمر، ثم رمى حبة فستق في فمه وصفّق بيديه.
- «إنها فكرة عبقرية! ماذا سيبتكرون في المرة القادمة؟».
ومع تصفيق يديه، عادت داريا. عادت إلى غرفة معيشتها في كوينز، ولم تعد في قمم جبال طهران. لم يعد هناك معلم موسيقى يستخدم قلم حبر ويرتدي قميصاً بنقشة مربعات وصوته عميق يبتسم لها. راحت ركبتها اليمنى تؤلمها من جديد.
سألت بارفيز إن كان يريد بعض الحليب الساخن قبل النوم.
- «مع العسل، يا عسلي»، صاح قائلاً.
لا يمكن أن يكون قال ذلك، فكرت داريا في سرها.
لكنه قال ذلك بالطبع. فهو لطالما يقول مثل هذه الأشياء.

الفصل السادس

سمبوسة وكيمباب

- «السمبوسة وصلصة المانجو لَكُنّ أيتها السيدات، من صنع يدَي»، قالت كافيتا وهي تقدم طبقاً مغطى بقطعة قماش لداريا. «أخبرتُ شينيل أنه إذا لم يتعلم تقدير فضائل إلهته المنزلية قريباً، فسيجد نفسه مع طيف زوجة تبحث عن كلارك غيبل وسيمٍ لقضاء أوقاتٍ رومنسية!».

رحّبت داريا بكافيتا وقادتها إلى غرفة الطعام. كان هذا منتدى الرياضيات الثالث لهنّ منذ أن بدأت داريا فصل جداول البيانات في المكتبة. في الفصل الدراسي، كانت داريا وسام يجلسان أحدهما بجانب الآخر ويتحدثان قليلاً، فقد علمت منه أنه يعيش بمفرده، وليس له أطفال، وأنه يحب صيد السمك بالذباب. إلا أنها لم تكن لديها أي فكرة عما قد يكون صيد السمك بالذباب. كان سام... أمريكياً بامتياز. كانا يتحادثان قبل الدرس وبعده أحياناً، وأثناء «الاستراحة» كانا يخرجان إلى الفناء، بينما كان الآخرون يدخنون أو يهرعون

للحصول على قهوة من ستاربكس. داريا وسام لم يتناولا القهوة أبداً. كانا يقفان معاً تحت سماء نيويورك الخالية من النجوم فحسب، ويخبرها سام عن طلابه الذين يعلّمهم الجيتار. ليس الكمان، وليس البيانو، وليس السيتار الفارسي الذي كان سيكون مثيراً للإعجاب حقاً. بل الجيتار، الذي لم يكن آلة موسيقية «راقية» في قاموس داريا.

- «أعتقدُ أنكِ هربتِ إلى المضائق!»، قالت كافيتا بصوتها العالي. «ما الذي أصابكِ؟ ما الذي يجعلكِ غارقة بالتفكير هكذا، يا عزيزتي؟».

- «أوه، لا شيء! أنا أحب السمبوسة من صنع يديكِ، أنتِ تعلمين ذلك!».

قطّبت كافيتا حواجبها المشذبة إلى حدٍّ مفرط وقالت:

- «أعتقدُ، يا عزيزتي داريا، أنّ بطل الجيتار الذي أنتِ معجبةٌ به أخذ عقلكِ، وجعلك مشوشة الذهن. يا لها من حماقة! من كان يتوقع أنّ داريا المهووسة بالرياضيات ستجد قلبها يطير إلى مدرّس موسيقى للأطفال؟! إنّ العالم لا يتوقف عن إذهالي!».

بينما كنّ يعملن على المعادلات والرياضيات ويتناولن السمبوسة والدلمه، كانت داريا قد حكت لهن عن فصل الجداول البيانية، أو بالأحري شاركتهما ذلك. أفلم يكن هذا التعبيرَ الشائع؟ تعبير أمريكي بامتياز، مثل سام تماماً. لقد سألتها كل من كافيتا ويونغ-جا عن فصلها الدراسي الجديد، فأجابتهما. لكن بعكس بارفيز الذي اعتقد أن افتتانها بالفصل يكمن في الدقة الرياضية وكرات التنس المثبتة بأرجل الكراسي، استنتجت كافيتا ويونغ-جا أنّ هناك شخصاً أحبّت داريا الجلوس إلى جانبه وقراءة الأوراق المطبوعة معه. ورغم أنّ داريا أصرّت على أنّ الأمر لم يكن أكثر من ذلك، إلا أن كافيتا

ويونغ-جا ضحكتا وشهقتا وخرخرتا وهسهستا، إذ كانتا مقتنعتين بأن داريا كانت «متيمة» بسام الأمريكي بحسب تعبير كافيتا.

حسناً، كانتا مخطئتين. لم يكن الأمر كذلك. هي تحب زوجها. كان سام مختلفاً فحسب، هذا كل ما في الأمر. فهو شخص هادئ وطيّع دائماً. ولم تكن داريا تعرف الكثير من الأشخاص الطيّعين في المجتمع الفارسي.

قُرِعَ جرسُ الباب. كانت هذه يانغ-جا، وفي يديها علبة تابروير مملوءة بالكيمباب، أو «السوشي الكوري» كما وصفته يونغ-جا. فعلى مر السنين، تحول منتدى الرياضيات إلى منتدى الرياضيات مع الطعام، وهو أمر لم تمانع به أي منهنّ، لأنهنَ جميعاً أحببْنَ التباهي بمطبخ أوطانهنّ، بل وأهمّ من ذلك، كنّ جميعهن يحببن الطعام.

- «إن البداية المبكّرة لانقطاع الطمث هي ما تجعلني متوترة»، قالت كافيتا. «يتوهّج وجهي نصف الوقت، وأشعر أحياناً كما لو أنّ الدّخان ينبعث من أذنيّ حقاً. حين يسخر مني شينيل، أرغب في أن أمد يدي وأصفعه على وجهه لا لسببٍ سوى ارتفاع الهرمونات الأنثوية الذي نبتلي به جميعاً في هذه المرحلة من التمثيلية الجامحة التي نسميها الحياة».

تنهدت داريا، وبدت يونغ-جا مرتبكة. فرغم سنواتٍ طويلة قضتها في الولايات المتحدة، لم تكن يونغ-جا تتقن اللغة الإنجليزية، ولم تكن تفهم كلام كافيتا في الكثير من الأحيان. أما داريا، فكانت معتادة على إسهاب كافيتا المفرط والفريد من نوعه، وعلى لغتها الإنجليزية البريطانية الممزوجة بالفرنسية، وإشاراتها المستمرة إلى زوجها كما لو أنه يمثّل تهديداً ما، في حين أنه كان في الواقع أستاذاً لعلم الأحياء لطيفاً ولبقاً، وقلّما يكون طائشاً. كانت

كافيتا تحبّ المزاح بشأن خيانتها لشينيل، إلا أن مرجعيّاتها كانت تقتصر على نجومٍ من الزمن الجميل أمثال كلارك غيبل، وغريغوري بيك، وسبنسر ترِيسي. أما الآن، فكان تركيز كافيتا على سام الأمريكي وعلى مَن كان يشبه.

- «هل يشبه همفري بوغارت؟»، سألت كافيتا بلهفة.

- «من يكون هذا؟»، قالت يونغ-جا.

- «لا، لا. ليس بوغارت».

- «هل يشبه جاك ليمون؟»، سألت كافيتا.

- «لا، لقد شاهدت يوماً فيلماً من متجر الفيديو، انتظرا، ماذا كان عنوانه؟ **جرائم القلب**. هو يشبه الرجل في ذلك الفيلم. أعتقد أن اسمه سام شيبارد»، قالت داريا.

- «من يكون هذا؟»، سألت يونغ-جا.

- «لا يهم، لنَقُمْ بالحسابات فجسب»، قالت داريا.

وهي تضع السمبوسة والكيمباب على الطاولة وتخرج دفاتر الرياضيات، تمنّت داريا لو أنها لم تخبر كافيتا ويونغ-جا عن سام أبداً، لأنهما كانتا تعطيان الأمر أبعاداً أكثر مما هو عليه، في حين أنه لم يكن هناك شيء من ذلك. لكن جزءاً منها استمتع أيضاً بوجود هاتين الصديقتين للحديث معهما عن شيء سخيف كهذا، إذ لم يكن بوسع داريا أن تخبر بارفيز طبعاً، لأنه قد يرتاب من الأمر، في حين أنه لم يكن هناك من شيء مريب، كما لم يكن بوسعها إخبار مينا أو ابنيها لأن هذا لن يكون صائباً. ولذا، فهي ممتنة لرفقة كافيتا ويونغ-جا، وممتنة للمعادلات التي كنَّ على وشك الانكباب عليها، ولرائحة السمبوسة الحادة والكيمباب الحلو.

* * *

قامت داريا ببري قلمها وطلبت من صديقَتَيْها الجلوس، ولمدة خمسٍ وأربعين دقيقة انغمسن في الرياضيات، فكانت هذه قاعدتهنّ: الالتزام بالمشروع المطروح لمدة خمس وأربعين دقيقة دون انحراف ودون انقطاع. كان يُسمح لهنّ بالتحدث، لكن فقط فيما يتعلّق بمسائل الرياضيات، دون الخروج عن الموضوع. وقد التزمن بهذه القاعدة بشكلٍ صارم لأن ثلاثتهنّ أحببْنَ القواعد، وثلاثتهنّ لم يحترمن الأشخاص الذين يخالفونها. كان هذا ما جمعهنّ معاً: قناعاتٌ قوية حول الرياضيات والحياة، وحبٌّ للأرقام، والحاجةُ إلى إيجاد الحلول. كنّ يخربشْنَ ويفكّرنَ ويفكّكْنَ المسائل ويعدن بناءها من جديد. يُظهرن حلولهنّ ويتجادلْنَ حول كيفية الوصول إلى الإجابة، حتى أنّ داريا استثمرت في شراء لوحٍ أبيض كبير قابل للمسح. لقد أحبّت صرير الأقلام على اللوح، وأحبّت مدى منطقية الحلول. وعندما ينتهينَ من عملهنّ لذلك اليوم، يَعُدن إلى العالم الحقيقي حولهنّ من جديد، كما لو كنّ يسبحْن تحت الماء وصعدْنَ الآن لاستنشاق الهواء.

كنّ يتضوّرْنَ جوعاً. كان للسمبوسة طعمٌ شهي، وكان الكيمباب لذيذاً، وكانت البقلاوة التي حضّرتها داريا هي المرافقة المثالية للشاي. فعندما تكون داريا المضيفة، ينتهي منتدى الرياضيات بالشاي دائماً، وحتى أنها نجحت في منع كافيتا من وضع الحليب في كوب الشاي الخاص بها.

وبعد الرياضيات، كان يُسمحُ لهنّ بالتحدث عن أي شيء، وكُنّ يتحدّثنَ عادةً عن أطفالهن وأزواجهن، ويتباحثن أحياناً في شؤون السياسة. ولطالما تنافست داريا ويونغ-جا حول مَن عانى أكثر من سواه في القرن العشرين: الإيرانيون أم الكوريون. فكلما تحدثت

داريا عن الديكتاتورية، والانقلاب العسكري، والتعذيب، والحرب، قالت يونغ-جا: «نعم، كان لدينا ذلك في كوريا»، فتقول كافيتا: «نعم، ولكن هل لديكما أيتها السيدتان بلدٌ تم التلاعب به بشكل مصطنع حيث تم تقسيمه إلى قسمين قائمين على أساس الدين المنظم وحكامٍ مخادعين يسعون وراء القوة والمكانة؟».

وهنا كانت يونغ-جا تصمت لأنها لم تكن تفهم ما قالته كافيتا للتوّ، وكانت داريا تهمّ بالنهوض لفتح النافذة، فعندما كانت كافيتا تناقش موضوع «التقسيم» كما كانت تسمي موضوع الهند وباكستان، كانت تبدي حماسة مفرطة وتتفاقم لديها أعراض انقطاع الطمث، فسرعان ما تبدأ تتصبَّبُ عرقاً وتطلب من داريا كوباً من الماء ومنشفة مبللة لجبهتها.

انتهى منتدى الرياضيات اليوم بمناقشة قصيرة حول عدم تقدير أطفالهنّ نعمة أمريكا حق تقدير، وكيف أنهم نشأوا جميعاً محميّين في نيويورك، فهم لم يعرفوا الحرب ولا القنابل ولا الفقر الحقيقي.

- «أطفالنا هؤلاء لا يعرفون ألم الانبطاح المطوّل في ظل القلة والنقص المفروضين من قبل سياسيين صعاليك تحولوا إلى أمراء»، قالت كافيتا.

وكان هذا شيئاً آخر، ففي بعض الأحيان، كان مزيجُ حساب التفاضل والتكامل وانقطاع الطمث عند كافيتا يجعلها أكثر استخداماً للمصطلحات الرنانة.

وفي نهاية منتدى الرياضيات، قمْن بغسل الأطباق سوياً. وبعد ذلك، استعرضت يونغ-جا، وهي أفضلهنّ في حساب التفاضل والتكامل، أحسن طريقة للإجابة على بعض المعادلات الصعبة ثم

أخذت علبة التابروير الخاصة بها، وأخذت كافيتا طبق السمبوسة الفارغ، ثم قبّلت داريا صديقَتَيْها وودّعتهما.

كلما انتهى منتدى الرياضيات، شعرت داريا بشيء من الفراغ، فقد أحبت فترات ما بعد الظهر هذه مع صديقتيها. أحبت أن تكون في غرفة طعامها مع امرأتين كانتا تعرفان - على عكس معظم الأمريكيين (بمن فيهم سام) - بعض الأمور عن الحرب والديكتاتورية و«ألم الانبطاح المطوّل».

الفصل السابع

الفعل، وليس التفكير

«أنتم في المكان المناسب وفي الوقت المناسب. أنتم الأفضل والألمع. مستقبلكم مفعم بالثراء والفرص».

بهذه العبارة بدأ العميد بيلي محاضرة «أسئلة وأجوبة خلال وجبة الغداء» التي كان يحاضرها على نحوٍ شهري، والتي تمّ الإعلان عنها في جميع أنحاء مباني كلية إدارة الأعمال.

كانت مينا تتناول شريحة من البيتزا الدهنية بينما كانت تجلس في قاعة كلية إدارة الأعمال وتصغي إلى المحاضرة، وهي تعلم أنّ العميد بيلي لا يستطيع الإجابة على أيٍّ من أسئلتها، على سبيل المثال، ما إذا كان ينبغي عليها ترك كلية إدارة الأعمال والتركيز على أن تصبح رسّامة. لكن البيتزا كانت مجانية!

«سوف تذهبون إلى وول ستريت وتجنون الثروات. فهذا الاقتصاد لن يتجه إلّا صعوداً. والنجاح المالي هو لكم لتأخذوه.

سيكون العقد الأول من القرن الواحد والعشرين استثنائياً، ولا يمكن إيقافه. وستكونون **أنتم** في مقعد القيادة».

انسكبت قطرةٌ من زيت البيتزا على قميص مينا الأبيض، فراقبتها وهي تتغلغل في النسيج القطني.

«سوف تذهبون أبعدَ من أيِّ جيلٍ سابق. ولكن تذكروا: هذه الكلية هي مكانٌ للفعل. وليس للتفكير. فالتفكير هو لطلاب الآداب والعلوم الاجتماعية».

وهنا ضحك بعض الطلاب، فيما كانت مينا تفكر في كل البيتزا التي تناولتها في مطعم «بي أند كيز بيتزا»، حيث كان والدها يعجن العجين في بداية قدومهم إلى أمريكا. وفكرت في غدائها مع السيد دشتي. **لم يعد الأمر يستحق العناء.** هذا ما قالته داريا أخيراً. **أنتِ تستحقين أحسن من ذلك**. أرادت مينا وضع حدٍّ للرسوم البيانية والمخططات التي تعدّها أمها، وحدٍّ لهذا الهرج والمرج من الرجال الذين يأتون لتناول الشاي والتعارف. لقد أرادت ذلك بكل تأكيد، لكن ماذا سيحدث الآن؟

وبينما كان العميد بيلي يتحدث عن الوعود الممتازة لسوق الأوراق المالية، تحسست مينا بأصابعها عقدها المرجاني الوردي الذي كان هديةً من صديقتها المقربة بيتا، والتي أهدتها إياه على عجلٍ بعد ظهر آخر يومٍ لها في إيران. أين هي بيتا الآن يا ترى؟.

بعد مغادرة مينا إيران مباشرةً، كانت بيتا قد كتبت لها كيف أنها وعائلتها كانوا يقشرون البازلاء في الملجأ، وعن وحشية صدّام الذي قام بقصفهم، وكيف أنها اضطرت إلى وضع واقٍ للفم ليلاً حيث اصطكت أضراسها أثناء القصف. وفي الرسالة الأخيرة التي تلقتها مينا من بيتا، أخبرتها بيتا كم ناسبتها تسريحة شعرها الجديدة، وذلك

داخل جدران المنزل بالطبع، إذ كان عليها ارتداء الحجاب في الخارج، مثلها مثل النساء الأخريات.

وبعد السنوات القليلة الأولى، انقطعت عنها رسائل بيتا.

«وتذكروا حين يأتي مسؤولو التوظيف إلى هنا، أن أسوأ شيء يمكنكم القيام به هو التراجع عن عرضٍ ما. نحن لا نتراجع. لا تفكير. لا تراجع»، قال العميد بيلي في المايكروفون.

وباليد التي لم تكن تمسك شريحة البيتزا، رسمت مينا الفراولة ونساءً محجبات في هامش دفترها.

* * *

في وقتٍ لاحق من ذلك اليوم، ألقى البروفسور فان هيوسن، أستاذ المالية، محاضرة على المنصة، حاملاً زجاجة ماءٍ في يده. لم تفهم مينا أبداً كيف لهذا البروفسور أن يعرف أيَّ طالبٍ يخاطب، فهو نادراً ما كان ينظر إليهم، مفضِّلاً التحديقَ في الأرض أثناء محاضراته. تمنت ألّا يخاطبها اليوم، إذ لم تكن مهيأة على الإطلاق.

«مَن يستطيع أن يراجع لي صيغة نموذج تسعير الأصول المالية CAPM، والقيمة المالية مقابل الدَّين؟».

رفع تشيب سنكلير، نجم التمويل والذي كان أحمق من الدرجة الأولى، يده، وأصغت إليه مينا وهو يراجع الصيغة أثناء قيامها بتوصيل بطاقة محوّل الإنترنت لجهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بها بأحد مقابس الاتصال بالإنترنت المزودة حديثاً. وبعد بضع دقائق، اتصلت بالويب عبر الاتصال الهاتفي فظهر موقع إلكتروني خاص باللوحات الزيتية على صفحتها الرئيسية. ثم أخرجت دفترها ونسخت صيغ البروفسور فان هيوسن عن السبورة البيضاء، والذي كانت كالتالي:

ما هو r؟

إنه تكلفة رأس المال، الخسارة المتضمّنة. إنه المتوسّط المرجّح لتكلفة رأس المال WACC.

:WACC

وزن تلك الشركة بحسب تكلفة دينها زائد تكلفة قيمتها المالية.

WACC   alphaKD + (1-alpha)KE

التدفق النقدي المخصوم:

$$PV = C1/(1+r1)^1 + C2/(1+r2)^2 + C3/(1+r3)^3 \ ....$$

لو كانت داريا هنا، كانت ستكون في الصفّ الأمامي، ويدها مرفوعة عالياً. «أوه، أوه، اخترني، يا أستاذ، اخترني». وكانت ستخبر الأستاذ فان هيوسن بقيمة alpha KD مئات المرات، كانت ستنقر على آلتها الحاسبة المالية وستكون الأسرع على الإطلاق. فكانت الآلة الحاسبة المالية آلة متخصّصة قالت عنها داريا بأنها تجعل الآلات الحاسبة العادية جميعها تبدو كأنها ألعاب.

«إذا تعرضتُ لضغط الفائدة، فهل سأنزلق من جرفٍ شديد الانحدار إلى حد الاندثار، أم أنه مجرد تعثر في الطريق؟ بمعنى آخر: هل هو سقوط كبير أم صغير؟»، قال البروفسور فان هيوسن وكأنه يخاطب زجاجة الماء الخاصة به.

وهنا أبهر تشيب سنكلير الحضور بإجابة متاهية، فيما قامت مينا بنسخ المزيد من الصيغ عن السبورة البيضاء.

«المنافسون: هل أنتم المهيمنون؟ هل هم المهيمنون؟».

أظهرت شاشةُ كمبيوتر مينا المحمول الأعمالَ الفنية لمعرضٍ حديث في ماربلهيد بولاية ماساتشوستس. وفي لوحةٍ فنية لفنجان

شاي صيني وحيد، امتزج اللونان الأبيض والأزرق بشكلٍ مثالي، فقامت مينا بتدوين العلامة التجارية للطلاء الزيتي الذي أوصى به الموقع الإلكتروني، رغم أنها لم ترسم لوحة بنفسها منذ أن كانت في الجامعة، وهو ما بدا لها دهراً الآن.

«هل مصادر الإمدادات هذه مرنة نسبياً؟ وإذا واجهتم المشاكل، فهل ستساعدكم أم أنها ستقضي عليكم؟».

تذكّرت مينا مزيج اللونين الأزرق والأبيض على قبة المسجد القريب من منزل جديها في طهران. وتساءلت كيف ستكون العودة إلى هناك، فكتبت كلمة «طهران» في شريط البحث، وظهرت صور الجامعات والمباني، والتي لم تتعرّف على أيٍّ منها. ما هي الجامعة التي التحقت بها بيتا؟ وهل التحقت بالجامعة حقاً؟ هل رُتِّبت لها اللقاءات هناك على غرار لقاء السيد دشتي؟ قد تكون متزوجة بالفعل ولها أطفال.

«هل وكلاؤكم مخلصون؟»، سأل البروفسور فان هيوسن. «هل سيتخلّون عنكم؟».

نقرت مينا على صورةٍ تلو الأخرى. هي لم تعُد إلى إيران منذ خمسة عشر عاماً، وكانت كثيراً ما تفكر فيما سيحدث لو عادت. هل سترى ما تركته وراءها؟ هل سيكون موجوداً هناك؟

كانت هناك فتاة على بعد بضعة صفوفٍ في أسفل المدرّج من مينا، ترتدي سترة من الكشمير البني الفاتح، تكتب كما لو أن حياتها تعتمد على ذلك. وكان هناك شاب طويل القامة ذو شعر أحمر بجوارها يكتب بجد في دفتر ملاحظاته.

كان قلم البروفسور فان هيوسن يصرّ وهو يكتب على السبورة البيضاء: «كلّما زادت التغطية المالية، زادت حساسيتكم للفائدة».

وهنا أومأ بعض الطلاب بالفهم، إذ كانوا قد حلّوا المسألة. خطرت لمينا برعم فكرة: إذا عادت إلى إيران، سيمكنها معرفة ما كانت عليه عائلتها، ما فقدوه وما اكتسبوه. سيمكنها طرد هذا الشعور بعدم الانتماء أبداً، والشعور بالتيه. سيمكنها أن «تجد نفسها» مثل كل شخصيةٍ في كل كتابٍ قرأته عن المهاجرين العائدين إلى الوطن.

ولكن الأهم من ذلك كلّه، سيمكنها العثور على بيتا.

تحمّست مينا لخطّتها الجديدة.

«ما هي النقطة التي يبدأ عندها الدَّين في التدخل في سير العمل؟»، سأل البروفسور فان هيوسن مخاطباً الأرضية، ثم عاد ليخص بسؤاله مينا: «آنسة رضائي، هل بإمكانكِ أن تخبرينا من فضلكِ؟».

تجمّدت مينا لدى سماع اسمها، واستدار الطلاب في المقدّمة ونظروا إليها. لم تكن لديها أي فكرة عمّا يعنيه السؤال، فبحثت في حقيبة ظهرها عن الآلة الحاسبة. أين هي بحق الجحيم؟ ثم التفتت إلى كمبيوترها المحمول فلم ترَ إلا شاشة التوقّف تحدّق بها. نظرت إلى دفترها الذي كان مليئاً بالصيغ التي نسختها، واسم العلامة التجارية للطلاء الذي استخدمه الفنان من ماربلهيد، وعدد لا يُحصى من الفراولة والنساء المحجّبات.

نفخ البروفسور فان هيوسن في زجاجة الماء، فأصدرت صوت صفير غائر.

احمر وجه مينا، وتصبب إبطاها عرقاً، وارتفعت يد تشيب سنكلير، وأيدي بعض الطلاب أيضاً.

- «آنسة رضائي؟».

تصبب جبين مينا عرقاً. لماذا لم تنتبه للدرس؟

- «نحن ننتظر، يا آنسة رضائي».

لكن لم تكن لدى مينا أي إجابة. ضغطت على لوحة المفاتيح، فاختفت شاشة التوقف لتحل محلها صورُ طهران. لا جدوى.

نقر البروفسور فان هيوسن بقدميه. «آنسة رضائي، لا يمكنني الانتظار حتى الألفية الجديدة. من المؤكّد أنّك كنتِ تعملين بجد للوصول إلى إجابتكِ!».

أومضت أيقونة صغيرة أسفل شاشة كمبيوتر مينا فجأة.

- «تحققّي من بريدك الإلكتروني»، همس الشاب ذو الشعر الأحمر بجوارها.

نقرت مينا بسرعة على صندوق البريد الخاص بها. كانت لديها ست رسائل جديدة، ويصلها المزيد. فتحت إحدى الرسائل، فظهرت أمامها الإجابة عن سؤال البروفسور فان هيوسن، بالإضافة إلى صيغةٍ لكيفية التوصّل إلى الحل. نقرت على البريد الإلكتروني التالي. كان المحتوى نفسه. كان زملاؤها يرسلون لها الجواب في محاولةٍ منهم لمساعدتها.

- «الآنسة رضائي؟». كان صوت البروفسور فان هيوسن عالياً هذه المرة. «هل لديك الحل؟».

تضببت الشاشة أمام مينا.

- «نعم»، أجابت مينا. «لديّ الحل هنا، وطريقة الوصول إلى الإجابة. كل شيء هنا أمامي».

تنفس الصبي ذو الشعر الأحمر الصعداء.

- «ولكنني لا أستطيع أن أشرحه لأنني لم أكن أعمل على حل المسألة، فأنا لم أقرأها حتى».

ساد صمتٌ مذهول، فلم يحدث أن اعترف طالبٌ بعدم قراءة مسألةٍ للبروفسور فان هيوسن، ولم يحدث أن اعترف طالبٌ بعدم المعرفة في فصله. بل تظاهر الطلاب بالمعرفة أو ظلّوا مستيقظين طوال الليل لبلوغ هذه المعرفة والحصول على درجاتٍ عالية بما يكفي ليَعرض عليهم بنكٌ استثماري رفيع أو شركةٌ استشارية وظيفةً، ويكون الراتب السنوي 100 ألف دولار كحدٍّ أدنى، بالإضافة إلى المكافئات والامتيازات. كانت مينا تعرف كلّ ذلك. وتحفظ محاضرات العميد بيلي عن ظهر قلب، فقد كانت هذه الكلية لمَن هم أفضل وألمع في مجال التمويل. وكانت هذه سنوات واعدة. كان عام 2000 قاب قوسين أو أدنى، ولا مجال للإخفاق. كانت المنافسة، والتفوق، والنجاح أسياد الموقف. كان الشك ضعفاً. وكان الفعل مهماً.

- «حسناً»، قال البروفسور فان هيوسن أخيراً.

- «بصراحة، أنا لا أعرف حقاً ما الذي أفعله هنا، فأنا لا أنتمي إلى هنا حقاً».

استدار المزيد من الطلاب للتحديق في مينا.

رفع البروفسور فان هيوسن نظره عن زجاجة الماء وحدّق باتجاهها أيضاً، وقد كان وجهه صغيراً على نحوٍ غريب عندما رفعه. كانت الساعة المعلّقة على الحائط المكسو بألواحٍ خشبيّة تتكّ بصوتٍ عالٍ.

- «حسناً، يا آنسة رضائي»، قال البروفسور فان هيوسن، «أنا لا أعرف إلى أين تنتمين، لكنني أفهم أنكِ لم تكوني معنا». تنحنح. «لكن في كلية إدارة الأعمال، كما هو الحال في الحياة، فإن الصّدق هو دائماً أفضل سياسة، وهذه رسالة لكم جميعاً. دعونا ندرس هذه

المسالة معاً، بحيث يتمكن الجميع من الوصول إلى الحل وهم يعلمون ما يفعلونه، فهلّا فعلنا؟».

تأوّه تشيب سنكلير، وقام بعض الطلاب الجريئين برفع أياديهم وطرح أسئلة جديدة، واستدارت الفتاة التي ترتدي سترة الكشمير وأعطت مينا إشارة الإبهام استحساناً. ومن ثم عاد الطلاب إلى العمل، فنقرت الأصابعُ على ألواح المفاتيح، وخربشت أقلامُ الرصاص، وطقطقت الآلاتُ الحاسبة.

ركّزت مينا على المسألة، وخربشت، وبذلت جهداً كبيراً للوصول إلى الحل، وشعرت فجأة بأنها أفضل حالاً مما كانت عليه منذ زمنٍ طويل، فجزءٌ منها لطالما حام في الجو فوق المكان الذي غادرته. ماذا لو كان البلد والتاريخ اللّذان أحبّهما والداها لا يزالان مدفونَين هناك؟ ماذا لو استطاعت العثور عليهما؟ هل تستطيع مينا العودة ورؤية ما عنته داريا عندما قالت إنها تريد لمينا أن تحصل على «كل ما كان لديها»؟ لطالما تمنت مينا أن تعرف الإيران التي نشأت فيها داريا بدلاً من الإيران التي هربت منها هي. فهل يمكنها العثور عليها وتجميعها معاً إذا عادت إلى هناك شخصاً بالغاً؟

«ستذهبون إلى وول ستريت»، قال العميد بيلي في محاضرته. إلا أنها ستذهب إلى شارع تاكيش رقم 23 في طهران بإيران أولاً. وسوف تطأ ذلك الشارع بخطى ثابتة، وتغزو ذلك العالم من جديد.

الفصل الثامن

الحياة على الواصلة

عَكَسَ النهر أضواء الشوارع، وكل ما استطاعت مينا سماعه هو حركة المرور على الطريق. وبينما كانت تركض في حديقة ريفرسايد، رأت يَدَي السيد دشتي البدينتين وهما تحملان الشّاي، ونظرة التردد في عينيه عندما التقت أعينهما. كان بالطبع مثل كل الرجال الآخرين: ذو تعليم عالٍ، ومهذّب، ومتحفظ. لكن كان هناك شيءٌ مختلف هذه المرة. ربما كان الارتياحَ الملموس الذي رأته على وجهه عندما لم يعجبا ببعضهما، الشعور بأنه تائه هو الآخر في فوضى وساطة الزواج هذه . فهو لم يكن يرغب في ذلك أيضاً. كان السيد دشتي المسكين عالقاً مثلها تماماً.

كانت مينا تركض على الطريق الإسفلتي، منتعلةً حذاءها الرياضي. كيف ستخبر والديها بقرارها العودة إلى إيران؟ سيكونان قلقَين جداً بشأن سلامتها، فهي لم تعد إلى هناك منذ خمسة عشر عاماً. وماذا لو اتهموها هناك بأنها جاسوسة أمريكية وتم اعتقالها؟

فلا يمكن التنبؤ بالوضع السياسي هناك، ويمكن لأيّ شيء أن يحدث. لكن كان عليها أن تذهب. أرادت أن تعرف كيف يقضي جدها آغا جان أيامه من دون ماماني التي كانت تُعدّ له الطعام، وتتحدث معه، وتُغني له أغاني كوكوش، وتقرأ له أشعار الرومي. وكانت بحاجة إلى معرفة أين بيتا، وماذا كانت تفعل. فعلى مرّ السنين، كانت مينا قد أخرجت هذا العالم من ذهنها، وغيّبته بعيداً، تماماً كما وضعت لوحاتها الزيتية في صناديق تخزين بلاستيكية وأخفتها تحت سريرها القديم في منزل والديها. فهي لم يكن لديها الوقت للتفكير، كما قال العميد. التفكير في المكان الذي ترعرعت فيه أمها، في بيئتها. لأن مينا كانت منشغلة بالتأسيس، والسعي، والإنجاز.

بعد الركض، قامت مينا بممارسة ركلات الكاراتيه التي علّمها إياها أخَواها عندما كانوا أطفالاً. ورغم مضي كل هذه السنوات، كانت لا تزال تحب ممارسة تلك الركلات. رفعت ساقها، وطوت ركبتها، وتراجعت إلى الوراء كما علّمها كايفون، ثم قامت بالركلة. «تخيلي إصابة بروس لي في الركبة، والفخذ، وفي "المكان الحسّاس"»، ردّد كايفون على مسمعها. «لا تخافي. اركلي!». فركلت مينا خصمها الوهمي مراراً وتكراراً، ثم قفزت لتعمل على ساقها الأخرى.

عندما عادت إلى شقّتها، استحمّت واستعدّت للنوم، إلا أنها لم تستطع ذلك. ربما كانت مجنونة لرغبتها في الذهاب. فماذا لو لم تستطع العودة إلى حياتها هنا أبداً؟! قامت بتشغيل التلفزيون، حيث كان برنامجٌ حواري ليلي تمايل فيه مقدمُ البرنامج ببدلته الأنيقة وسخر من الرئيس، مثيراً ضحك الجمهور. كانت مينا لا تزال تشعر بوخز

الخطر عندما كان الأمريكيون يقولون أشياء سلبية عن قادتهم ويوجهون النقد إليهم. لكن يمكنكَ أن تفلت من العقاب هنا، والآن هي ذاهبة إلى مكانٍ تختلف فيه القواعد تماماً. شعرت برغبة في الاتصال بأخيها.

- «كيف كان غداؤك مع آخر الخاطبين وأعظمهم؟»، سألها كايفون.

- «سخيفاً ومُحرِجاً، كما هو الحال دائماً. لا أستطيع الاستمرار في فعل ذلك»، قالت مينا.

- «لا تقلقي يا صغيرتي، ستجد ماما هواية جديدة قريباً، فأمر جداول البيانات هذا أصبح سخيفاً حقاً».

- «أعرف»، قالت مينا ثم تنهدت.

كان يريحها التحدث إلى كايفون. فلطالما كان أقرب إليها من هومان، ربما لأنها كانت أصغر من كايفون بثلاث سنوات فقط، وأصغر من هومان بست سنوات. وكان ذلك أيضاً بسبب شخصيتَي أخويها المختلفيتن، فقد كان كايفون أكثر استرخاءً وخفةً، بحيث يمكنه عادةً أن يجعل مينا أو أي شخصٍ آخر يرى الجوانب المشرقة للأمور. أما هومان، فكان أكثر جديّة. والآن وقد أصبحوا جميعاً بالغين، فإن جدول هومان كطبيبٍ لم يترك له الكثير من الوقت لإجراء المحادثات الشخصية، كما أن وقته ضاق أكثر بعد أن تزوج.

- «هي لم تفعل ذلك أبداً مع هومان أو معك أنت، صحيح؟ فهومان تزوج من أمريكية، وصديقتك من بروكلين، فلماذا يجب أن أُزوَّج إلى الرجل الفارسي المثالي؟ إنها معايير مزدوجة».

- «إنكِ المفضّلة لديها، هذا هو السبب. هي ترغب في رؤيتكِ مستقرة وسعيدة فحسب. إنها مهووسة بذلك».

- «ألا يكفي أنني في كلية إدارة الأعمال؟ أتعلم يا كايفون، قمت بالتفكير قليلاً، وخطرت لي فكرة. أنا حقاً أرغب في. . .».

- «أوه، لا، ليس هذا من جديد»، قال كايفون. «مينا، أنت تعلمين أنكِ لا تستطيعين أن تكوني رسّامة. لا تتعبي نفسك. لدينا جميعاً أحلام في الطفولة، ثم نكبر وننضج. كنت أرغب في أن أصبحَ لاعب كرة قدم محترفاً، لكنني أصبحت محامياً! هكذا هي الحياة. نتخذ جميعنا القرارات، لكن الأمور دوماً ما تسير للأفضل، سترين. أما الآن، فاخلدي إلى النوم واحصلي على قسطٍ من الراحة».

وقبل أن تتمكن مينا من إخبار كايفون عن خطّتها للذهاب إلى إيران، تمنى لها ليلة سعيدة وأنهى المكالمة.

تنهدت مينا، ثم فتحت ألبوم الصور الذي أخذته معها قبل هروبهم، وهو الشيء الوحيد الذي أحضروه معهم من إيران. وقد قامت داريا بإخفاء صورها خلف صور الأطفال حتى لا يقوم مفتشو الجمارك بمصادرة الصور التي كانت فيها بلا حجاب، فوضعت صورتها بالبكيني خلف صورة هومان وهو يجلس على كرسي مرتفع، وصورتها بشعرها الطويل المنسدل وبذراعها المتشابكة بذراع زوجها خلف صورة كايفون وهو يلعب كرة قدم، كما وضعت صورها عندما كانت طالبة في الجامعة وهي ترتدي بلوزتها القطنية وتنورتها الفضفاضة وتحتضن كتباً على صدرها خلف رسومات مينا المبكّرة.

كان هذا الألبوم الجسرَ الذي عبرت منه مينا إلى ماضٍ كاد يبدو براقاً. ها هي ذي الأم التي عرفتها ذات يوم. بشعرٍ أسود وليس أحمر، وبعينين عسليتين مشرقتين ومفعمتين بالأمل. كما بدت داريا سعيدة وواثقة، وليست متعبة وغريبة كما هي الآن. داريا التي ارتدت

سترات من طراز جاكي أُوْ وقبعات مستديرة كانت مختلفة تماماً عن داريا التي تسكن في كوينز. ها هي ذي واقفة بجانب نافورة في أصفهان، وشعرها الأسود يتطاير، وبجانبها هومان وكايفون الصغيران. وها هما جميعاً على متن حافلة ذات طابقين في لندن، يلوّحون بأياديهم. هم لم يكونوا بحاجة إلى تأشيرات سفر في ذلك الوقت، فالعالم لم يعتبرهم إرهابيين آنذاك. سحبت مينا صورة قديمة، حيث كانت داريا في سرير مسشفى تحمل مولوداً جديداً ملفوفاً في بطانية من صنع يدَي ماماني. كانت هذه أول صورة لهما معاً، وحين نظرت مينا إلى الصورة عن كثب، لاحظت أنّ داريا بدت مُبتهجةً وراضيةً تماماً.

في أمريكا، تلاشت شيئاً فشيئاً الأم والأب والأخوان والذات السابقة التي عرفتهم مينا قبل الثورة. لقد أصبحوا مثل شخصياتٍ قرأت عنها في كتابٍ، أناس عاشوا في أرضٍ مختلفة منذ زمن طويل.

- «أنتم تعلمون أننا سنعود يوماً»، ردّد الأب من حينٍ لآخر في السنوات الأولى وهو يكوي مئزر البيتزا الخاص به، «بمجرد أن تخمد هذه الثورة». فكان هومان يتمتم وهو يلتهم رقائق الذرة: «هذا ما قلتهُ قبل عام»، فيما كانت مينا تفكر في حقيبتها الزرقاء تحت سريرها، الجاهزة لكي تُملأ بملابسها ومجموعة الألوان حتى تتمكن من العودة في أي لحظة إلى الوطن حيث يعيش آغا جان وبيتا والخالة نيكي وباقي أفراد عائلتها وأصدقائها.

عندما ألقى المذيع طرفته الأخيرة، ضجّ الاستديو بالضحك فتيقّظت مينا من شرودها وعادت إلى الحاضر. صفّقت الشابات من الجمهور وقلبْنَ شعرهن إلى الوراء، فيما كان رجالٌ ضخام البنية

يرتدون قبعات البيسبول يقهقهون ويصرخون. ماذا فوّتت عليها؟ ما الذي كان مضحكاً إلى هذا الحد؟ وماذا فعلت تلك الفتيات في استديوهات كاليفورنيا المكيفة بعد العرض؟ هل ذهبنَ إلى إحدى الحانات وجلسنَ على مقاعد عالية وطلبنَ المشروبات؟ كانت مينا تعرف شُعراء الفرس القدماء - السعدي والرومي وحافظ - وكانت تعرف أيضاً القنابل التي وقعت في طهران في الثمانينيات، لكنها لم تستطع تسمية مشروباً كحولياً واحداً، فهي لم تستحسن الحانات قط، إذ اعتبر والداها ثقافة الحانات غير لائقة ولم يريداها أن تجلس على كرسي عالٍ عند المنضدة وتؤرجِح ساقيها. عرفت مينا كيف تدرس وكيف تعمل بجدّ. عرفت كيف تؤرجح ساقيها على تلك الواصلة التي تُعرِّف بهويتها وتنكرها: إنها إيرانية-أمريكية. فهي لا تنتمي للكلمة الأولى ولا للثانية، بل كان مكانها على الواصلة، وعلى الواصلة ستبقى، حاملةً ذكريات المكان الذي أتت منه والمكان الآخر الذي يجب عليها أن تنجح فيه. كانت هذه الواصلة لها - مساحة صغيرة، من المحتمل أن تكون محفوفة بالمخاطر. كانت ستجلس على الواصلة، وتقف على الواصلة، وكالبهلوان المخضرم ستتوازن هناك بشكلٍ مثالي، ولن تسقط أبداً، ولن تختار أبداً جانباً على الآخر، وستكتفي بالمشي على ذلك الخط الرفيع.

لكن القفز من الواصلة الآن والعودة إلى إيران يتطلب تخطي بعض العقبات. كان عليها أن تحضّر أوراقها وأن تثقَ أنه رغم بعض القصص المرعبة عن مغتربين إيرانيين عادوا إلى الوطن وتم اعتقالم، فإنها ستكون بخير. والأهم من ذلك، كان عليها أن تُقنع والديها بأن ذهاب ابنتهما إلى الجمهورية الإسلامية لقضاء عطلة الشتاء كانت فكرة رائعة جداً.

الفصل التاسع

ترّهات المقهى

- «ما رأيك بفنجان قهوة؟»، سأل سام.

- «المعذرة؟»، أجابت داريا وقد فوجئت بسؤاله.

- «ما رأيك بتناول القهوة؟ بعد الدرس؟»، قال سام وهو يهزّ كتفيه. «الآن، وقد... وقد... انتقلنا بمعرفتنا بجداول البيانات إلى مستوى آخر».

كان يحاول أن يبدو مرتاحاً، بدا ذلك واضحاً لداريا. هو يقلّد معلّمتهما ليُضحكها، كما راقه حين تنهدت في منتصف الفصل، عندما وجدت ميراندا كاتيلا سخيفة بعض الشيء. كانت تعلم أن سام يستمتع بردود أفعالها. شعرت وكأنهما مراهقان. بدا الأمر كأنه بدايةٌ لشيءٍ ما، لكن إذا فكرتْ في الأمر، فأيُّ بدايات كانت ممكنة بالنسبة إليها؟ بدايةُ قرحةٍ أو ورمٍ أو نقرسٍ ربما.

- «أعرف مقهى في الجوار...»، تابع سام.

- «لا تقل إنه يبدأ بحرف السين وينتهي بـ "باكس"، لأن هذا

المكان لا يروق لي على الإطلاق»، قالت داريا. لم تكن تقصد أن تكون فظّة، ولكن أمركة القهوة الإيطالية التقليدية وتحويلها إلى شيءٍ تجاري للغاية لطالما أزعجها.

- «أوه، هذا المكان لا يبدأ بحرف السين. إنه مقهى عائلي صغير، يقدّمون فيه مشروبات ساخنة أخرى أيضاً».

بارفيز كان ينتظرها. فماذا ستقول له؟ هل هذا ما وصلت إليه؟ أن تذهب مع أمثال سام من حصص الدرس إلى المقاهي؟

- «يجب أن أتصل بزوجي»، قالت داريا، «لأخبره بأنني سأتأخّر».

- «حسناً، يبدو هذا جيداً»، قال سام. سام الهادئ والوديع، ورجل الجيتار، الذي بدا أن لا شيء يغيظه.

كان كشك الهاتف العمومي في كوينز بوليفارد بارداً، ولم يكن بحوزة داريا ربع دولار، فكان على سام أن يدسّ يده عميقاً في جيب بنطاله الأمامي ليحصل على ربع دولار من أجل إجراء المكالمة. راقبت داريا يد سام، ثم أشاحت بنظرها، واحمرّت خجلاً عندما أخذت الربع دولار منه. قامت بطلب الرقم، فسمعت صوت بارفيز العالي: «**ألو!**».

- «بارفيز جون، هذه أنا. سوف أتأخر قليلاً في عودتي إلى المنزل الليلة. سأخرج مع بعض زملائي في الصف»، قالت بالفارسية.

كان سام ينتظر خارج كشك الهاتف العمومي وهو يفرك يديه معاً من شدة البرد.

- «أليس هذا رائعاً، يا داريا جون؟ إنكِ تكوّنين صداقات

جديدة. قلت لك إنكِ ستفعلين ذلك. هيا اذهبي، وسأصطحبكِ لاحقاً، فسيكون الوقت قد تأخر للعودة إلى المنزل مشياً».

- «لا، لا تأتي لاصطحابي إلى المنزل».

- «لن أترك زوجتي تعود إلى المنزل في وقتٍ متأخر وفي هذا البرد. سأصطحبكِ. كم من الوقت ستحتاجين أنتِ وأصدقاؤك؟ التاسعة والنصف؟ هل هذا جيد؟ سآتي في التاسعة والنصف. إلى أين أنتم ذاهبون؟ إلى ستاربكس، على الأرجح، أليس كذلك؟ هل آتي إلى ستاربكس عند التاسعة والنصف؟».

- «نعم»، قالت داريا، لأنها تعلم أن بارفيز شديد الحرص عليها وأنه سيقلق إذا قالت إنها ستعود إلى المنزل سيراً على الأقدام، ولأنّها شعرت بالدوار ولم تعرف ماذا تقول غير ذلك.

* * *

طلب سام قهوة تحمل حوالي ستة أسماء مستخدماً الكلمات الإيطالية التي بدت لازمة في هذا المكان البائس. قال «تمام» فحسب عندما أخبرته داريا بأن زوجها أصرّ على أن تذهب إلى ستاربكس، وأنه سيصطحبها من هناك عند التاسعة والنصف. طلب لداريا الشاي، وتظاهرت بأنها لا تشعر بالاشمئزاز من الكيس المليء بأوراق الشاي العائم في الماء الفاتر. كانا جالسين بجانب النافذة، وجزءٌ من داريا كان يشعر كما لو أنها في فيلم. «إنها مجرد قهوة. إنه مجرد شاي. إنه مجرد وقت بعد حصة الدرس مع زميل من الفصل الدراسي. وسيصطحبني بارفيز قريباً».

طرح عليها سام كثيراً من الأسئلة: عن أولادها، وعن إيران، وعن كيفية مغادرتهم، وحتى عن الشاه. وبدا أنه واسع الاطلاع، فمن الواضح أنه يقرأ كثيراً. لقد أخبرها بأنّ شاعره المفضل هو عمر

الخيام وأنه تناول طعاماً فارسياً عدة مرات، ووصفه بـ «اللذيذ جداً والأصيل جداً».

- «نعم، إنه أصيل جداً»، قالت داريا، وقد بدأ قميص سام بنقشة المربعات يُعجبها. جزءٌ من دماغها شعر بالذنب لأنها أُعجبَت بقميصه، وتساءل جزءٌ آخر متى سيظهر بارفيز فهو يميل إلى الحضور مبكراً، وتساءل جزءٌ آخر عن سبب قولها لبارفيز على الهاتف سابقاً إنها كانت مع «أصدقاء» وليس «صديق»، وأراد جزءٌ آخر أن يعرف ما سيقوله بارفيز عندما سيلاحظ أن ليس هناك من «أصدقاء» غير سام. وجزءٌ صغيرٌ من دماغها اعتقد أن الشاي كان لا بأس به.

هل هذا ما هو ممتع في الحياة؟ أنْ تجلس في واحد من سلسلة مقاهٍ شهيرة مع هذا الرجل، وتصغي إليه وهو يقول إنّ الطعام الفارسي أصيل؟ لماذا لم تفعل ذلك من قبل؟ لماذا لم تتناول الملايين من فناجين القهوة مع رجالٍ كسام؟ تبادر إلى ذهنها جدول بيانات. لا يمكنها التسكّع مع رجالٍ كسام وأن تكون زوجة بارفيز في آنٍ واحد. لا تجري الأمور على هذا النحو. الأمر غير منطقي فحسب.

عندما فُتح الباب، هبّت ريحٌ قوية في المكان. وقف بارفيز هناك وقد ارتدى وشاحه وقبعته المشغولين يدوياً، وكلاهما بلون اللفت. وكانت قد حاكتهما له والدة داريا.

- «مرحباً!»، قال بارفيز في شبه صرخة، ورأته داريا وهو يجوب بنظره الطاولات القريبة منها ومن سام، وبدا واضحاً أنه يبحث عن بقية أصدقائها.

استدار سام وتوقف عند رؤية الشخص الملفوف عند المدخل. لقد بدا بارفيز وكأنه خرج من ترنيمة عيد الميلاد، فشعرت داريا بالإحراج والتعاطف معاً. بارفيزها، عند المدخل، وتائه تماماً.

تقدّم بارفيز نحوهما ومدّ يده لسام، وعرّف عن نفسه:

- «بارفيز رضائي»، قال في شبه صرخة، وتساءلت داريا عمّا إذا كان قد جعل مصافحته أكثر حزماً، آخذاً بنصائح شريط تطوير الذات الخاص به.

- «وأنا سام»، قال سام بدوره، ثم أضاف بعد لحظة صمت: «سام كولينز».

نظر بارفيز إلى سام، ثم إلى داريا، ثم إلى سام مجدداً، ثم قال:

- «هل لي أن أجلس؟».

- «بالطبع»، قال سام، ثم نهض وأحضر كرسياً من طاولة قريبة.

لم تستطع داريا صياغة الكلمات. فكان بارفيز جالساً هنا، وسام جالساً هنا أيضاً. كما كان هناك كيس شاي في ماءٍ فاتر، وكان هناك الوشاح الذي حاكته أمها لصهرها الذي كانت تعشقه، والذي نادراً جداً ما كان يرتديه. فلماذا ارتداه الليلة؟

- «أعلم أنّي جئت مبكراً»، قال بارفيز، ثم نظر إلى داريا. «فكّرت أنني قد أقلّ أصدقاءك الآخرين أيضاً إذا احتاجوا ذلك».

نظرت داريا إلى زوجها لأكثر من ثلاثين سنة، وشعرت بالخجل.

- «أنا وسام وحدنا اللّيلة»، قالت أخيراً.

- «أستطيع أن أرى ذلك»، قال بارفير مع ابتسامة مصطنعة.

كانت قهوة فحسب. كان شاياً فحسب. لم يكن شيئاً، حقاً.

لكن في ذلك المكان المكتظ بالزبائن والذي انبعثت منه رائحةٌ كريهة، شعرت داريا بأنها انقطعت عن حبّ بارفيز للحظةٍ وجيزة

كانت كافية لأن تجعلها تتمنى العودة بالزمن إلى الوراء وعدم المجيء إلى هنا من الأساس.

أملت اللباقة الفارسية بقية التفاعل. لن يسمح بارفيز لنفسه أن يتصرف بخسة، حتى أنه ذهب إلى صف الانتظار وطلب لنفسه كوباً من السعرات الحرارية المحملة بالكريمة المخفوقة والتي يفترض بها أن تكون «قهوة». لم تعد داريا قادرة على ابتلاع شايها. أما سام، ورغم أنه تفاجأ في البداية، فسرعان ما استعاد استرخاءه وهدوءه المألوفين. فكيف يمكن لأحدٍ ألا يحب بارفيز؟ هذا ما جعل مرضاه يعشقونه، وهذا ما جعل حتى عمال البريد يبتسمون له. فبارفيز كان شخصاً طيباً حقاً، لا يُسيء الظن بالآخرين ويعامل الجميع باحترام، ولم يكن سلوكه تجاه سام مختلفاً عن ذلك. سأل بارفيز سام أسئلة، الكثير منها، أولاً عن فصل جداول البيانات، ثم عن عمله، ثم عن آلته الموسيقية.

كان الأمر كما لو أن سام أحد الرجال الذين أعدّت لهم داريا رسماً بيانياً من أجل مينا، فأدركت داريا أنّ بارفيز كان معتاداً على التحدث إلى الخطاب المحتملين لدرجة أنه كان مُرتاحاً تماماً في إجراء المحادثات مع رجالٍ غرباء. إلا أن هذا الرجل لم يكن خاطباً محتملاً لمينا، وكلاهما كان يعلم ذلك. كان الأمر مختلفاً. غطّى جوٌّ من الارتباك طاولتهم، وكراسيهم، تماماً كما غطّى الوشاح المَحوك باليد رقبة بارفيز. استطاعوا أن يدردشوا ويضحكوا ويشربوا معاً، وأن يتظاهروا بأن كل شيء طبيعي، إلا أنه لم يكن كذلك.

* * *

في طريق العودة إلى المنزل، كان بارفيز هادئاً على غير عادته، ولم يكن إيجابياً، ولم يكن متحمساً، أو متلهفاً، أو شغوفاً. كما أنه

لم يتفوه بعباراتِ معلم التنمية الذاتية مثل «الكون يتكشّف كما ينبغي له».

- «أنا متعبٌ، يا داريا». كان هذا كل ما قاله عندما وصلا إلى المنزل، ونظف أسنانه بالفرشاة وخلد إلى النوم. لم يكن هناك حليب بالعسل، ولا محاضرات طويلة، ولا توبيخ، ولا أسئلة.

وأدركت داريا حينها أن بارفيز الهادئ كان أسوأ بكثير من بارفيز الإيجابي والسخيف والمولع بالتطوير الذاتي.

وقد باغتها بارفيز الهادئ هذا.

الفصل العاشر

لا، كلا، البتة، إطلاقاً

- «لا، كلا، البتة، إطلاقاً. بكم طريقة تريدينني أن أقول لك لا؟».

مرّر الأب يده على رأسه الأصلع، فيما كان يحمل كوباً من الشاي في اليد الأخرى. كانت مينا تجلس في غرفة معيشة والديها، حيث خطا والدها ذهاباً وإياباً وأخذ أنفاساً عميقة. علمت مينا أنه كان يستخدم تقنيات «ابقَ هادئاً!» المستوحاة من شريط التطوير الذاتي الأخير. ابتسم ابتسامة عريضة لمينا وهو يقدم لداريا استكان من الشاي. جلست داريا على المقعد الوثير، ساكنة تماماً وقد وضعت ساقاً على أخرى.

- «اسمعيني الآن، يا مينا جون»، قال الأب كما لو أنه يتحدث إلى مريضٍ عقلي يمكن أن يهاجمه في أي لحظة. «اسمعيني الآن، يا جونم. ما تقترحينه مثيرٌ للسخرية لعدة أسباب. أولاً، أنتِ في الكلية. وثانياً، الوضع السياسي هناك لا يمكن التنبؤ به، وهذا في

أحسن الأحوال. وثالثاً، أعتقد أنك متعبة فحسب، لذلك دعينا نركز على الحاضر». توقف عن الحركة. «أنتِ تملكين اليوم»، قال لكن بصوتٍ مرتجف. «الماضي لا سلطة له عليكِ».

- «إنها زيارة فحسب، يا أبي. فالناس يعودون إلى هناك طوال الوقت الآن، وأنا بحاجة لرؤية البلد من جديد. بحاجة لأن أكون هناك...».

ضحك الأب ضحكة عالية وعصبية.

- «مينا جون، هل هذا متعلق بضغط برنامجك الدراسي؟ هل أنتِ قلقة بشأن الاختبارات النهائية؟ اسمعي، أملكِ...»، وأشار هنا إلى داريا التي كانت تشرب الشاي بهدوء، «أملكِ ستكلمكِ بالمنطق وتقنعكِ».

لماذا لم تنتفض داريا عند إعلان مينا رغبتها في العودة إلى إيران؟ لماذا كانت هادئة إلى هذا الحد؟

أخذ الأب نفساً عميقاً، ثم قال:

- «ركزي على المهمة الملقاة على عاتقكِ فحسب، ولا داعي لأي أفكار متهوّرة عن السفر».

كانت مينا قد تدربت طوال اليوم على محادثتها مع والديها، وحاولت أن تتوقع جميع أسباب رفضهما. ولكن حتى حين تخيّلت ثبطهما الحتمي لعزيمتها، ظلّت تشعر بحيوية غريبة، كما لو أنها انتهت للتو من التزلج في جبال دماوند، أو طاردت هومان وكايفون وهم يصرخون ويضحكون في حديقتهم القديمة، أو اشتمت رائحة أشجار الليمون في منزل ماماني وآغا جان. فمجرد فكرة العودة جسدياً إلى هناك كانت مبهجة، ولا يمكنها السماح لداريا ووالدها بثنيها عنها.

- «تفضلي، يا داريا جون، أخبريها»، قال الأب وهو يومىء برأسه.

- «أُخبرْها بماذا؟»، سألت داريا.

- «ماذا تقصدين؟». توقف الأب وراح يتأمل زوجته بتمعن. «داريا، ماذا حدث لكِ مؤخراً؟ ابنتكِ ترغب في زيارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية. هيه، مرحباً؟! **أخبريها**، يا داريا، لماذا هذا مشروع مضحك وسخيف!».

ارتشفت داريا الشاي وتنهدت.

- «قولي شيئاً، يا داريا جون!»، قال الأب وهو ينظر إلى داريا نظرة يائسة.

- «ماذا تريد مني أن أقول؟».

لم ترَ مينا أمَّها تستقيم في جلستها على هذا النحو منذ وقتٍ طويل.

- «عُذراً؟!». توقف الأب من جديد ونظر إلى السقف ورفع إصبعه كما لو كان يطلب من اللّه أن يجعله يتحلّى بالصبر ويمهل زوجته دقيقة لتدركَ خطورة الوضع، ثم التفت إلى داريا. «أنا حقاً لا أعرف ما الذي يحدث معكِ. داريا جون، حبيبتي، ابنتكِ تريد أن تنقطع عن كلية إدارة الأعمال لزيارة إيران. دعينا نتوقف لحظة ونرى ما الخطب في هذه الصورة...».

- «هذا ليس انقطاعاً»، قالت مينا بحذر، «فأنا لن أفوّت أياً من الفصول الدراسية. وسيكون ذلك تزامناً مع عطلة الشتاء التي تمتد على فترة أسبوعين على أيّة حال. لقد قمتُ بترتيب كل شيء لكي أذهب في ذلك التوقيت».

- «لقد قمتِ بترتيب كل شيءٍ إذاً، أليس كذلك؟»، قالت داريا وهي تدير رأسها المرفوع على نحوٍ مثالي في اتجاه مينا.

ابتلعت مينا ريقها وأومأت برأسها.

- «أوه، حسناً، أعتقدُ أنّ كل هذا يبدو منطقياً الآن! يا لغبائي!»، قال الأب ثم صفع رأسه. أخذ أنفاساً عميقة من جديد، ثم استخدم الصوت الذي يستخدمه مع المرضى عندما يخبرهم بأخبارٍ سيئة عن أوضاعهم الصحية. «مينا، أنتِ لم تعودي إلى هناك منذ خمس عشرة سنة، ولديكِ جواز سفر أمريكي، وهناك مخاطر في العودة بعد كل هذا الوقت، مخاطر لا يمكننا التنبؤ بها...».

- «لا يزال لديّ جواز سفري الإيراني...»، ذكّرته مينا.

وهنا تخلى الأب عن صوت الطبيب ونظر إلى صديقه الوهمي في السقف مجدداً. «لقد خطّطتْ لكل شيء»، قال ثم ضحك بعصبية وهو ينظر إلى السقف.

- «هي فعلت حقاً»، قالت داريا ولكنها على عكس زوجها، لم تبدُ منزعجة، بل منبهرة.

- «أخبريها أنّ كل هذا وهمٌ فحسب!»، قال الأب وقد بدا على وشك البكاء.

- «وهل لي أن أسأل ما الخطب في القليل من الوهم»، قالت داريا، وقد بدت متعبة الآن.

- «أرجو المعذرة، يا داريا؟»، قال الأب هامساً.

- «تبدو لي خطة رائعة حقاً».

نظر الأب إلى داريا كما لو كانت تنيناً تجسدَ من العدم وظهر في غرفة معيشته، وقال: «ماذا؟!».

- «سيكون ذلك خلال عطلة الفصل الدراسي، ولن تفوّت أي دروس، ثم إنها عائدة إلى الوطن»، قالت داريا وهي تعدّ الإيجابيات على أصابعها على نحوٍ تلقائي كما لو كانت تعدّ الخضروات في قائمة البقّالة.

حدّقت مينا ناقلةً نظرها من أحد والديها إلى الآخر. الآن، ومثل والدها، كانت أيضاً في حالة ذهول.

تسمّر الأب في مكانه في وسط الغرفة وعلى وجهه ابتسامة حائرة.

- «قد لا تكون فكرة غريبة إلى هذا الحد»، أكّدت داريا ثم توقفت لتربّت على تنورتها، ونظرت في عينَي مينا، وقالت: «ولكن بشرطٍ واحد فقط: إذا ذهبتِ في هذه الرحلة يجب أن تعدي بأنكِ عندما تعودين ستبذلين قصارى جهدكِ وتركزين بالكامل على كلية إدارة الأعمال. تخلصي كلياً من فكرة "إني ممزّقة لأنني أريد أن أصبح فنّانة" مرة واحدة وإلى الأبد. اتفقنا؟».

كانت مينا في حالة من الذهول بحيث إنها أومأت برأسها فحسب وقالت: «أكيد».

- «ماذا؟ لا يمكننا وضع الشروط، يا داريا. فالفكرة برمّتها مثيرة للسخرية!»، قال الأب. «لكن سيكون من الجيد، يا مينا جون، أن نتمكن من جعلكِ تركّزين على دراستكِ لإدارة الأعمال دون أن يُعذّبكِ وحشُ الشك. فالشك يقتل الإنجاز. إنه الإكسير الذي يُغذي السلبية، وهي الوحش الآخر...».

- «جيد إذاً! لقد تمّت تسوية الأمر!»، قاطعته داريا ثم نظرت من النافذة وتابعت بهدوء: «لقد مرّ وقت طويل جداً. والجواب نعم، يا مينا جون. الجواب نعم».

- «أوه، أنا لم أطلب الإذن. . . بالضبط»، قالت مينا، «كنتُ أُعلمكما بالأمر فحسب. . .».

- «لا، أعني الجواب نعم، وسآتي معك بالطبع»، قالت داريا وكأنها تعلن أمراً بديهياً.

غاص الأب في مقعده ووضع يده على قلبه، وقد انتفخ خداه من كثرة الاحتقان.

جلست مينا هناك، عاجزة عن الكلام.

- «على الرحب والسعة»، قالت داريا مبتسمةً، ثم رفعت كأس الشاي.

الفصل الحادي عشر

أحلام داريا

منذ ولادة أطفالها، كل ما أرادته داريا هو أن تقوم بواجبها تجاههم على أكمل وجه، وأن تنجز المهمة بنجاحٍ. لا يعني ذلك أنها لم تستمتع بتربيتهم، فهي استمتعت بها طبعاً. لَقد دفنت وجهها في بطونهم الصغيرة، وحملتهم بين يديها، وافتُتِنت بهم، وشبكت أصابعها في أصابعهم وهي تصطحبهم إلى المدرسة. لكنها لم تكن تعلم، ولم يكن بوسعها أن تخمّن مسبقاً، أن أطفالها سيستنزفونها إلى هذا الحد. فحين تشكَّل كلُّ جنينٍ بحجم حبة الفاصولياء في أحشائها، انقلب عالمها رأساً على عقب. وحين وُلدوا، أمضت لياليَ بلا نوم وهي تحتضنهم، وتهدهدهم، وتغنّي لهم بينما هم يبكون ملء قلوبهم. وتحولت تلك الليالي إلى سنوات.

كل ألمٍ في الأسنان، وكل سعالٍ، وكل التهابٍ في الأذن أصابهم، أصابها أيضاً. لم تكن تعلم أنها تستطيع تحمّل كل هذا الحب.

في تلك الأيام الأولى، تعثرت بألعابهم المتناثرة على أرضية غرفة المعيشة، غير مدركة أنها ستتعثر قريباً بأصدقائهم غير المعلن عنهم، وبخياراتهم السياسية، وحياتهم المهنية، ورفاقهم.

عندما سدّد هومان كرةَ سلةٍ في الشباك، امتد جسدها وكأنها هي مَن سددت. وعندما تقيأ كايفون في المطعم الجديد في كوينز بوليفارد، انقلبت معدتها هي. ومع كل خطوة خطتها مينا، وكل استدارة برأسها، وكل صورة رسمتها، حبست داريا أنفاسها، مفتونة.

لقد أتت داريا إلى أمريكا من أجلهم، وبقيت من أجلهم. ولكن لم يمرّ يومٌ واحد دون أن تفكر في المكان الذي غادرته.

وها هم أطفالها قد كبروا الآن، ولم يعودوا لها هي فقط. ورغم أنه صعُب عليها تقبُّل ذلك، كان عليها أن تسمحَ لهم بأن يعيشوا حياتهم الخاصة.

اقتصر الأمر عليها وعلى بارفيز الآن، إلى حدٍّ ما.

ومنذ أن ظهر بارفيز بقبعته الصوفية ووشاحه وجلس على ذلك الكرسي في المقهى معها ومع سام، ومنذ تلك العودة الصامتة إلى المنزل، بدا وكأن شيئاً صغيراً قد انكسر بينهما. هي لم تفعل شيئاً معيباً، وكانت تعلم أن بارفيز يعلم ذلك.

في تلك اللحظة التي جلست فيها في ذلك المقهى بين سام وبارفيز، كان الجو مشحوناً للغاية، بحيث إنها لم تستطع التصرف على سجيتها. وفي درس جداول البيانات الذي تلى حادثة المقهى، جلست بجوار سام رغم ذلك، وكانا لا يزالان يقفان معاً في الخارج أثناء الاستراحات. فكان الحديث مسموحاً، أليس كذلك؟

حيرة داريا هي ما جعل العودة إلى إيران أكثر إغراءً. ستبتعد

وتعود، رغم أنه كان من الصعب جداً القدوم إلى هنا في المقام الأول.

في تلك الأسابيع القليلة الأولى في أمريكا، ظلّت داريا تلتفت وتنظر إلى الوراء، متوقعةً أن ترى وراءها أفراد عائلتها الموسعة الذين أحبّتهم. لكن لا أحدَ كان هناك. كل مرةٍ رأت فيها داريا شابةً في عمرها مع امرأةٍ بدت أنها أمها، شعرت بالفراغ والحسرة. كم كانت تغار من أولئك النساء البالغات مع أمهاتن بجانبهن. لقد كانت إحدى هؤلاء النساء في يومٍ من الأيام. كانت لديها أم، وكان لديها كل شيء تقريباً.

ما حصل لا يمكن الرجوع عنه.

في تلك السنوات الأولى، انتظرت داريا في منزلها بكوينز أقاربَ لم يأتوا أبداً. حتى أنها صنعت الشاي، وخمّرت الأوراق ووضعتها في القِدر، وكانت أكواب الشاي نظيفة وجاهزة، ولكن لم يأتِ أحد.

كانت مستعدة لفعل أي شيء من أجل إقامة حفلات العشاء التي كانت تشتكي منها سابقاً، حيث تجرأت نفسُها الشابة الساذجة على القول: «ليس لدينا أي وقت لأنفسنا كعائلة أبداً». كم كانت حمقاء. لقد طافوا وحدهم لسنوات، كأسرة مكوّنة من خمسة أفراد، والآن ها قد تقلص عددهم إلى اثنين فقط: هي وبارفيز.

مارس الأمريكيون أعمالهم وكأن الحياة قصيرة وأنه يجب عليهم بذل كل طاقتهم وجهودهم اليوم. يندفعون بعربات التسوق الضخمة ويسارعون إلى المواعيد والمهمات وإلى الأمر التالي في جداولهم. يقابلون المعالجين النفسيين والأطباء باستمرار، ويشترون الأدوات لإصلاح منازلهم بأنفسهم، ويعتقدون أنّ تقدير الذات يمكن له أن

يحلّ المشاكل. يتصرفون كما لو أنّ كل فعلٍ يقومون به هو في سبيل القيام بفعلٍ فحسب. يتصرفون كما لو كان كل شيء عبارةً عن سباق. كما لو أنه كلما تحركتَ بشكلٍ أسرع، زاد الأمر أهميةً. كما لو أنك بمجرد أن تكرر شيئاً ما، يمكنك جعله حقيقةً. وكيف حدث أن زوجها بارفيز، **الطبيب**، تقبّل كل هذه الأمور وانخرط فيها، بحق السماء؟ كيف وقع في المصيدة وابتلع الطعم؟ لقد ردّد بارفيز التعويذات وكان في حالة من الفعل والنشاط طوال الوقت.

لكن ليست هذه الطريقة التي تسير فيها الأمور. ليست هذه الطريقة التي تُؤخذ بها الأمور. ولو للحظة.

هذا ما وصلت إليه داريا: الحياة قاسية. والجمال يتلاشى. والأطفال يكبرون. والدول تتحوّل بين عشية وضحاها. والأصوليون يقومون بتعذيب الشباب. والأمهات يمتن من القنابل. فلماذا التصرف كما لو أنّ أياً من هذا أمرٌ عادي؟

ولهذا السبب أحبت كافيتا ويونغ-جا. لأنهما لم تنخرطا في هذا النمط. ولهذا السبب كان هناك شيء مثير للاهتمام بشأن سام. لأنه، وعلى الرغم من كونه أمريكياً، بدا وكأنه نظر وراء الواجهة، وفهم الأمور على حقيقتها. هو لم يكن مثل الآخرين. لم يكن يندفع في نشاطٍ عديم الفائدة، بل كان مستعداً للجلوس بهدوء والإنصات. لقد بدا هادئاً ومتصالحاً مع نفسه ومع العالم من حوله.

كان جزءٌ من داريا لطالما شعر بالخجل من حنينها إلى وطنها إيران. فكيف يمكن لها أن تشعر بالحنين إلى مكانٍ مليء بالقوانين الصارمة والحزن العميق؟ لأنه مليء بأكثر من ذلك بكثير. لأن والدها كان لا يزال هناك. لأن أختها هناك أيضاً. لأن أشجار الليمون والرمان كانت لا تزال هناك. لأن الشِّعر كان لا يزال هناك.

لأن أسلافها كانوا قد كوَّنوا حياةً وإرثاً هناك. لأن ذلك المكان كان الوطن، وطنها. ربما ليس وطن مينا، ولا حتى وطن بارفيز. لكن وطنها.

لذا، وفيما جلست مينا هناك وأصرّت على حاجتها لزيارة إيران، عضّت داريا لسانها في البداية. فكيف تخبر ابنتها أنها هي أيضاً لم تكن تريد شيئاً طوال هذه السنوات أكثر من العودة؟ كيف لا تفطر قلب بارفيز، الذي أحبّ مكان عيشه كثيراً، بإخباره أنها لا تستطيع الانتظار حتى تعود؟ وكيف لها أن تترك مينا تذهب بمفردها؟

عودي. عودي. عودي.

الوطن.

كان ذلك منطقياً. وأمراً يُؤخَذ به.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الثاني عشر

تحليق فوق ميدان آزادي

تأكدت مينا مراراً من أنّ أوشحتها موضوعة بأمانٍ في حقيبتها. لقد أحضرت العديد منها في حال ضاع أحدها أو وُضع في غير مكانه. اقتربت منها داريا بينما كانتا واقفتين عند بوابة المغادرة، ومن حولهما حقائب مكتظة بالهدايا والأحجبة والمعاطف. كانت داريا تحمل في يدها حقيبة مستحضرات التجميل الجلدية ذاتها التي حملتها عندما غادروا إيران. لقد اختارتا هداياهما التذكارية **سوغاتي** بعناية: قمصان ومحافظ كُتِبَ عليها «أنا أحب نيويورك» لبنات وأبناء الإخوة، وكرات ثلج وقفازات بأصابع مختلفة الألوان، ونماذج صغيرة لتمثال الحرية، وكريمات أمريكية للوجه. شقتا طريقهما من بين عناصر الأمن، ولوّحتا لبارفيز وهومان وكايفون، فبعث لهما كايفون قبلةً بمرحٍ، فيما بدا هومان قَلِقاً حدّ المرض، ونفخ الأب صدره وأشار بعلامة الإبهام بشجاعة. كان قد قال أخيراً إنه سيترك

الكون يتكشّف كما ينبغي له، ولكن حتى من مسافة بعيدة، كان بإمكان مينا أن تراه يتصبّب عرقاً.

* * *

في أمستردام، أسرعتا عبر المطار للّحاق برحلتهما، فيما تناولت مجموعات من النسوة اللواتي يرتدين الحجاب والمعاطف شطائر النقانق وشربنَ المشروبات الغازية عند بوابة الرحلة المتجهة إلى طهران.

- «قد ترغبين في وضع حجابكِ»، قالت امرأةٌ ذات جسم ممتلئ جالسة عند البوابة وهي تبتسم لمينا. «فبمجرد صعودك على متن تلك الطائرة، تُعتبَرين موجودة على الأراضي الإيرانية».

أخرجت مينا معطفها الواقي من المطر وارتدته، فكان أقرب شيء لديها إلى روبوش، الزّي الإسلامي الرسمي، وأخرجت حجابها وربطته بإحكام، وتساءلت عن عدد الأشخاص الآخرين على متن الطائرة الذين يعودون للمرة الأولى. مغتربون مثلها لم يعودوا منذ أيام الحرب الأولى.

بعد أن ارتدت داريا حجابها ومعطفها، وقفتا في الصف للصعود إلى الطائرة، حيث اختلطت الأصوات الخافتة بالموسيقى الكلاسيكية المنبعثة من مكبرات الصوت، وابتسمت المضيفات المحجّبات بأدب.

- «حسناً، انظروا بجوار من سأجلس!»، قالت المرأة العجوز من بوابة الصعود وهي تشق طريقها متمايلةً إلى صف مينا وداريا. «لتجلس الشابة، أنتِ»، قالت مشيرة إلى مينا، «بجوار النافذة»، «واجلسي أنتِ»، قالت وهي تربّت على كتف داريا، «في الوسط،

وسأجلس أنا من جهة الممر، فقدماي متورّمتان. أوه، حقيبتي ثقيلة. بالمناسبة أنا بدري خانم».

قامت مينا بمساعدتها في وضع حقيبتها القماشية التي تشبه حقيبة ماري بوبينز في المقصورة العلوية.

- «كم تبدين شابة وجميلة»، هتفت بدري خانم عند مرور إحدى المضيفات. «هل تذكرون عندما كان من متطلبات الوظيفة أن يكنَّ جميعهن شابات وجميلات، حتى في الخطوط الجوية الأجنبية؟»، سألت بصوتٍ عالٍ كما لو كانت تستطلع آراء الركاب.

- «أذكر ذلك، يا خانم»، نادى صوتُ رجلٍ كبير السن.

ضحك بعض الركاب، وابتسمت إحدى المضيفات الشابات والجميلات التي كانت تحمل سلة مليئة بالسكاكر، فانحنت مينا واختارت حلوى عليها صورة ليمونة صغيرة على غلافها.

عَبَرَ مضيفُ طيران قصير القامة يرتدي زيّاً أنيقاً الممرَ، واقفاً على أصابع قدميه ليغلقَ الصناديق العلوية، وقد تدلّت جدائل ذهبية من كتفيه.

غطّت بدري خانم أذنيها مع كل خبطة، وقالت وهي تنظر إليه:

- «انظروا إليه. يظنّ نفسه جنرالاً!».

- «نعم، يا عمّي نابليون!»، نادى راكب آخر.

لمحت مينا داريا تبتسم.

- «ماذا هناك؟»، سألتها.

هزّت داريا رأسها.

- «لا شيء»، قالت، «لقد. . . لقد افتقدت ذلك فحسب».

- «هل افتقدتِ غرباء يتبادلون الشتائم؟»، سألتها مينا.

- «افتقدت»، قالت داريا ثم توقفت، «هذا المزاح. لا ليست هذه الكلمة. إنها المحادثة الجماعية. هذا ما افتقدته».

أخرجت داريا مجلة من جيب المقعد الذي أمامها وتصفّحتها، وفي غضون بضع دقائق، كانت تضحك.

- «ما المضحك؟»، سألتها مينا.

أرتْها داريا الرسم الكرتوني الذي كانت تقرأه وأشارت إلى فقاعة الأفكار. «أرأيتِ؟ السياسي هو الحمار! فهمتِ؟»، قالت ثم ضحكت ضحكة مكتومة ويدها على فمها.

تأملت مينا الرسم الكرتوني في المجلة الإيرانية، لكنها لم تفهمه.

أخذت بدري خانم المجلة من داريا ونظرت إلى الرسم الكرتوني، وانفجرت ضاحكة.

- «إنه الحمار! واي، يا إلهي».

وضحكت أكثر عندما أرتْها داريا التعليق تحته، وسرعان ما راحت تمسح عينيها بطرف حجابها. رأت مينا والدتها تلمس يد بدري خانم، والتي كانت في عمر ماماني تقريباً، أو بالأحرى العمر الذي كانت ستكون عليه الآن لو بقيت على قيد الحياة، قالت مينا في سرها.

وبينما كانت داريا وبدري خانم تقلّبان الصفحات، استرقت مينا النظر إلى الإعلانات. إعلانات للمنظفات، والقُشار، والعلكة. وكان أحد هذه الإعلانات لمعجون الأسنان، يُظهر أطفالاً يرتدون سترات من الصوف ويبتسمون بأسنانٍ بيضاء لامعة.

- «هناك الكثير من الإعلانات!»، قالت مينا بهدوء.

- «ماذا كنت تظنين؟ أنه ليست لدينا إعلانات في مجلاتنا؟ نحن دولة رأسمالية في الأخير، ألا تعلمين ذلك؟!»، ردّت بدري خانم.

- «لا، ما قصدته فقط...».

غيّرت داريا الموضوع بسرعة وراحت تسمّي كل الأماكن التي أرادت زيارتها خلال إقامتها، وأثار كل موقع ردوداً حادّة وأحكاماً قاطعة من بدري خانم.

نظرت مينا من النافذة. كيف ستكون العودة إلى هناك من دون ماماني؟ لا يمكن أن تكون الحكومة قد غيّرت كل شيء. لا بدّ أن تكون رائحة الصباح هي نفسها. لا يمكن أن يكونوا قد أزالوا الورد والياسمين. هل أمكنهم ذلك؟!

* * *

شخرت بدري خانم بصوتٍ عالٍ خلال الساعتين الأخيرتين من الرحلة. وحين كانت الطائرة على وشك الهبوط، أطلّت مينا من النافذة، ورأت وسط المدينة المتوهجة المضاءة الأعمدة العاجية المتقوسة الشبيهة بالأجنحة لبرج شهياد، والمعروف الآن ببرج آزادي. غمرتها الذكريات فجأة: الرقص مع بيتا حول غرفتها وهما تستمعان إلى الموسيقى، ملمس مقاعد الفينيل الحمراء والإطارات المعدنية لكراسي مطبخ ماماني، رنين القدور وأواني الطهي بينما كانت ماماني تنتقل من الموقد إلى الحوض، رائحة البصل المقلي وهو يُطهى مع الكركم والملح والفلفل، إيقاع الموسيقى المنبعثة من جهاز الاستريو في غرفة المعيشة، والضيوف الذين يتدفقون إلى المنزل ليلة حفل عيد ميلادها العاشر. كانت زوجة بائع الخضار ترتدي **تشادور** أبيض عليه زهور خضراء وصفراء صغيرة، وكان وعاء مياه البستنة الخاص بهم ذا لون نحاسي لامع، وتحولت السماء بعد

قبلة داريا المسائية من اللون الأحمر الرّماني إلى لون الفحم الداكن. شكّلت هذه الأعمدة البيضاء خلفية طفولتهم. لقد نزف الآلاف وماتوا في الشوارع، وتحوّلت ألوان ملابسهم إلى الأسود والرمادي في حركة واحدة سريعة.

هبطت الطائرة وبدا أنها تحوم للحظة فوق ميدان آزادي. انقلبت معدة مينا.

- «في هذا المكان كنّا نعيش ذات يوم»، همست داريا وهي تنحني فوق كتف مينا فراحت كلاهما تنظران إلى المدينة المتلألئة بالأسفل.

الجزء الثاني

1978

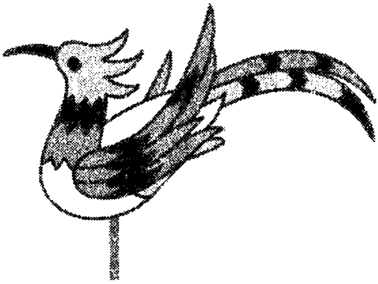

الفصل الثالث عشر

رسومات ومظاهرات

- «إن شعره يتجعّد في الاتجاه الآخر، يا حمقاء»، قالت بيتا ثم انحنت مقتربةً من مينا. «واو. هذا رائع حقاً».

حرّكت مينا قلم الرصاص على الصفحة. كانت فترة الاستراحة أكثر متعة حين كانت ترسم في دفترها.

- «آفرين! أحسنتِ!»، قالت بيتا مع ابتسامة عريضة. «**بجه ها!** يا أطفال! انظروا كيف يمكنها الرسم!».

ركض بعض الأطفال إلى حيث جلست مينا وتحلّقوا حولها، وما كان من فاروق، الصبي ذي الحاجبين الكثيفين والكتفين العريضتين إلّا أن صفعها على ظهرها كتعبيرٍ على المديح، فاندفعت مينا إلى الأمام.

- «لقد أخبرتكم!»، قالت بيتا بفخر.

- «ما الذي يحدث هنا؟»، سألت السيدة شوغي وهي تسير نحوهم.

رفعت بيتا رسم مينا.

ضاقت عينا السيدة شوغي. «هممم. به به! جه قشنك! كم هو جميل! لقد رسمتِ ولي عهد بلادنا. مينا، لم أكن أعلم أن لديكِ هذه الموهبة، يا له من رسمٍ بديع لطفلة لم تبلغ الثامنة بعد!».

وضعت بيتا ذراعها حول مينا وقالت بفخر:

- «إنها فنانة».

صفقت السيدة شوغي ولمعت أظافرها المطلية في ضوء الشمس.

-«اصطفوا، يا أطفال، اصطفوا في الصف. لقد انتهت الاستراحة!»، صاحت، وبينما كانت تجمعُ الأطفال معاً، لمست يدها كتف مينا وبقيت هناك للحظة، ثم قالت لها: «باهنر هستي. أنتِ فنانة، يا صغيرتي».

في فصلهم الدراسي الثاني، كانت صورة الشاه معلّقة على الحائط وقد أطلّت عليهم وهم يعملون في دفاترهم، ويمرّرون الملاحظات السرّية، ويكافحون لحفظ المسائل الحسابية والأشعار الفارسية القديمة وأهمية أعظم الموارد الطبيعية في بلادهم: النفط. كان الشاه في الصورة أنيقاً وصارماً في زيّه العسكري الأبيض مع صفوف من الأشرطة الملونة على كتفيه. ذكّرت الأشرطة الصغيرة مينا بعلكة شيكليت، فأرادت أن تصل إليها وتلتقط واحدة وتتذوقها، ولكن لم يكن من الممكن الوصول إليها، وهي تتلألأ تحت الزجاج وتغيظها.

* * *

- «سأتزوجه»، همست مينا لبيتا وهما تغمسان فرشاتيهما في الحبر أثناء درس الخط. قامت مينا طوال الأسبوع الماضي برسم

ولي العهد كل يوم تقريباً وعرضت الرسومات على بيتا. ربما لم يكن ينبغي أن ترسمه كثيراً، فقد كان من العائلة المالكة، ولم ترغب في أن تجلب له الحسد والأذى.

- «بل أنا من سأتزوجه!»، قالت بيتا بتهجم.

حدّقت إحداهما في الأخرى في اختبار للإرادة، وعضّت بيتا شفتها مصمّمةً.

ودون أن تنبس ببنت شفة، غمست مينا فرشاة الخط في الحبر ورسمت طيفاً منقطاً لنفسها بجوار طيف الأمير، وقالت:

- «انظري! أرأيت؟ هذه أنا!».

تبخّرت عزيمة بيتا عندما رأت الحبر على الصفحة، فالفتاة ذات الشعر الداكن والفك العريض والتعبير المتغطرس التي ظهرت على الورق ببضعة خطوط ماهرة جسّدت مينا بشكلٍ مثالي. حدّقت بيتا بمينا مرة أخيرة، لكنّ انحناء كتفيها كان اعترافاً واضحاً بالهزيمة.

التقطتا فرشاتيهما من جديد وكتبتا كلمات البيت المكلّفتين به من قصيدة السعدي. وللحظة، حملت مينا فرشاتها في الهواء ونظرت إليها وكأنها تراها للمرة الأولى. لقد جعلت هذه الشّعيرات الرقيقة المغموسة بالحبر بيتا تستسلم، وجعلت السيدة شوغي تصفها بالفنّانة. نظرت إلى أصابعها الملطخة بالحبر كما لو أنها تخص شخصاً آخر.

* * *

- «لا بأس»، قال هومان في تلك الليلة بعد رؤيته رسم مينا. «أعني، بالنسبة إلى طفلة في الثامنة من العمر!».

- «إنه رائع، يا مينا»، قال كايفون مبتسماً. «يجب أن تري كيف يرسم هومان! صدقاً يا مينا، قد تصبحين فنانة عظيمة يوماً.

وقد نرى أعمالكِ معلقة في صالات العرض يوماً»، تابع مشجعاً ثم وضع ذراعه حول مينا واحتضنها. «أختي الصغيرة: رسّامة مشهورة عالمياً!».

وعندما رأى الأب أحد رسومات مينا، تظاهر بالترنّح إلى الخلف في رهبة مطلقة وقال:

- «به به! إنه رائع حقاً!».

وهنا لم يكن بوسع مينا سوى أن تهز رأسها لردّ فعل والدها. فقد فعل الشيء نفسه عندما قلّد كايفون صوت الأنف لبائع الخضار، أو عندما أبرز هومان صفحات من واجباته العلمية. وقد أظهر الأب التقدير المبالغ فيه نفسه عندما أحضرت داريا طبق **التهديج** إلى مائدة العشاء أو عندما ارتدت ملابسَ أنيقة لحضور حفلٍ ما. فقد بدا الأب مسروراً طوال الوقت بكل الهدايا غير المتوقّعة من عائلته.

أما داريا، فكانت أقل تعبيراً وانفعالاً. التقطت ورقة الرسم بلطفٍ بين إبهامها وسبابتها ورفعتها إلى الثريا كما لو كانت تدرس فيلم كاميرا سلبياً.

- «أرى»، قالت باقتضاب، ثم توجهت إلى غرفة نومها وعادت ومعها ملف ورقي، وباستخدام أحد أقلام مينا، كتبت بعناية «مينا - عمر الثمانية تقريباً» على شريط التبويب ووضعت العمل الفني المسائي داخله.

بعد بضعة أسابيع، امتلأ الملف وأعدّت داريا ملفاً جديداً، ثم قامت بتجميع كل الملفات بشكلٍ مرتّب في درج غرفة نومها ونوم زوجها.

أحبّت مينا معرفة أن الملفات موجودة هناك، آمنة ومنظّمة.

فعلى الأقل، لم تستخدم أمها أعماله الفنية كورق مسودة لتخربش «حليب، باذنجان، خيار» على ظهرها وتضعها مجعدةً في حقيبة يدها وهي تعبر الشارع وصولاً إلى بائع الخضار مرتديةً نعالها المنزلي كما فعلت والدة بيتا.

* * *

- «من يكون هذا الشخص في كل الرسومات؟»، سألت داريا بعد الإفطار ذات يوم.

- «إنه ولي العهد، وأنا سأتزوجه»، أجابت مينا.

كان هومان وكايفون قد غادرا إلى المدرسة، وكان الأب في عيادته، وكانت صُغرى، مدبرة المنزل، مشغولة بكنس الرصيف بمكنستها المبللة.

- «عندما تكبرين، عليكِ أن تتزوجي بمن تقعين في حبّه، هذا هو المهم. ولا يمكنكِ التخطيط لذلك. إنه أمر يحدث فحسب»، قالت داريا وهي ترتشف الشاي الأسود المحلّى.

أومأت مينا برأسها، وقد ذكّرتها عينا والدتها العسليتان باللون الأخضر الفاتح في مجموعة الطلاء الجديدة خاصتها.

- «والآن، أسرعي حتى لا تتأخري عن المدرسة»، قالت داريا وهي تنهض فجأة.

دخلت صُغرى حينها والمكنسة في يدها، وقالت:

- «خانم، هذا الألم الشديد في ظهري سوف يتسبب في موتي ذات يوم. يداي ملتويتان، وغبار المدينة لا يناسب رئتيّ. **فاي**، نَفَسي محبوس. إلهي الرحيم، ما هذا القدر الذي ابتليتني به! لو لم يفقد أجدادي كل ثرواتهم، لما وصلت بي الحال إلى هذه العبودية. إنّه القدر القبيح! العدو الذي يمنعني من أن أكون سيّدة وقورة!».

- «اسكبي لنفسك بعض الشاي، يا صُغرى جون، وأريحي ساقيكِ»، قالت داريا بهدوء، فقد كانوا جميعاً معتادين على دراما صُغرى، ثم توجهت بالكلام إلى مينا: «مينا، هيّا اذهبي! وبعد المدرسة اليوم، سنذهب إلى مدينة الكتب».

عانقت مينا صُغرى مودّعةً إياها، وقد بدت صُغرى الآن في حالٍ جيدة بعدما جلست وراحت تمصّ قطعةً من السكر. أمسكت مينا بحقيبة ظهرها وتبعت داريا خارج الباب. مدينة الكتب! كان لديهم أفضل الكتب، وأفضل القرطاسية، وأفضل تشكيلة من أقلام التلوين، وأقلام التخطيط، والدهانات. لم تستطع مينا الانتظار لتذهب وتنظر إلى المجموعات الكبيرة من أقلام التلوين من سويسرا، وأنابيب الدهانات الزيتية المكدّسة في صفوف، فالألوان كلُّها مذهلة ومغرية في ذلك المتجر.

* * *

تبين أن ذلك اليوم سيكون آخر رحلة لمينا إلى مدينة الكتب. فبعد مرور أسبوعين، لم يعُد بإمكانهم الذهاب إلى وسط المدينة.

- «أرجوكِ»، توسّلت مينا إلى داريا في يوم جمعةٍ ممطر، حاملةً حقيبة سنوبي بِيدٍ ومفاتيح السيارة باليد الأخرى.

- «لا».

- «لماذا؟».

- «لأن هناك مظاهرات، يا مينا، والوضع ليس آمناً».

عَبَرَ هومان وكايفون غرفة المعيشة، رافعين قبضتيهما عالياً، وهما يهتفان:

- «الموت للشاه! لا ملوك بعد اليوم!».

شعرت مينا بانقباضٍ غريب في معدتها.

- «أيها الولدان، هل أنهيتما واجباتكما المدرسية؟ توقّفا عن هذا الهراء وركّزا»، قال الأب.

- «لن نتحدث عن الملوك أو السياسة في هذا المنزل»، قالت داريا.

توقف أخواها على مضض، وجلس والدها على كرسي وقد بدا عليه الإرهاق، فيما نظرت داريا من النافذة بعينين لامعتين وشاردتين.

* * *

استمرت المظاهرات في الشوارع لعدة أشهر. كان الأب يعود إلى المنزل مذهولاً فيذكر أن دار سينما أو بنك قد أُضرمت فيه النيران، فتتلقّى داريا الخبر بصمتٍ، ويهتف هومان وكايفون بحماسٍ أحياناً. وشيئاً فشيئاً، أصبحوا سجناء في منزلهم، غير قادرين على المغامرة في الخارج بعيداً.

كانت داريا هي من قالت الكلمة أولاً. قالتها على العشاء، بعد أن مرّرت طبقاً من الباذنجان المقلي والبندورة المهروسة إلى مينا: «إنها ثورةٌ. **انقلاب**». لم تكن مينا قد سمعت هذه الكلمة من قبل. **انقلاب**. بدا الأمر قوياً، واضطر هومان أن يشرح لها ما يعنيه ذلك: تغيير قد يقلب العالَم رأساً على عقب. كانت هذه «الثورة» تجري خارج أسوار منزلهم، ومع ذلك، ولخيبة أمل مينا، لم يفعل والداها شيئاً لإيقافها. في الواقع، اعتقدت مينا أحياناً أنهما أحبّا ذلك. فقد كان والدها يستمع إلى هيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي عبر الراديو طوال الوقت، فيما اتصلت داريا بشقيقتها وسألتها عن مكان المظاهرات وعن عدد الأشخاص الذين حضروا. بدت داريا ممزقة،

وكأنها لا تعرف ما إذا كانت المظاهرات ستؤدي إلى شيء رائع أم إلى شيء مروّع.

في وقتٍ لاحق من تلك الليلة، وبّخت مينا هومان وكايفون لإطلاقهما عبارات مسيئة عن الشاه. كرهت أنهما أحبّا تقليد المتظاهرين، لكنهما تجاهلاها واستمرا في ترديد الشعارات وكأنهما في عرضٍ وهمي في غرفة المعيشة، فأخذت مينا تضربهما وسرعان ما أصبحوا هم الثلاثة على الأرض يتصارعون، فيما وقف الأب وداريا بلا حراك يراقبان الأطفال الثلاثة وهم يتشاجرون على الأرض.

- «كفى!»، صرخ والدهم.

- «إنهم يقولون أشياء سيّئة عن الشاه»، قالت مينا بصوتٍ خافت.

- «انظروا إلى ذلك!»، قال هومان وهو ينهض ببطء. «انظروا كيف قاموا بغسل دماغها!».

مسح كايفون أنفه، الذي سالت منه قطيراتٌ من الدم لطّخت شفتيه وأسفل ذقنه.

- «إلى الحمام، الآن! كلاكما، **الآن!**»، قال الأب.

ومن غرفة المعيشة، سمعت مينا صنبور الحمام يُفتح، واستطاعت تمييز بعضٍ من محاضرة والدها الغاضبة، إذ سمعته يقول: «إخوة»، و«قتال»، و«سخيف»، و«سادة محترمون»، كما سمعت هومان يتمتم، وكان بإمكانها أن تتخيل والدها وهو يمسح الدم من أنف كايفون بمنشفة داريا الصفراء.

التفتت داريا إلى مينا وقالت: «لا داعي...»، ثم فكرت للحظة وتابعت: «أن تقلقي بشأن... هذا الأمر على الإطلاق».

- «تقول بيتا إنّ الشباب سيطردون الشاه. سيطردونه من البلاد وسيحضرون زعيماً جديداً للشعب»، قالت مينا، غير متأكدة ما الذي يعنيه زعيم جديد، لكنها افترضت أنه يعني ملكاً شريراً.

- «لا تهتمّي، يا مينا»، قالت داريا، «فهذا الملك بعيدٌ عن الكمال. لقد فعل بعض الأشياء الفظيعة».

تجمّدت مينا. بدت أمها وكأنها واحدة من أولئك المتظاهرين في الشوارع. إذا سمعتها السلطات، فستتّهمها بأنها امرأة مجرمة. شعرت مينا بيديها تتعرقان وهي تتذكّر كل الأمور التي تحدث للأشخاص الذين يتكلمون ضد الملك، من تعذيب وإعدام. لقد تعلموا في المدرسة كلَّ ما فعله من أجل البلاد: لقد جلب لهم ثروات، وقام بإصلاحات، وجعل منهم مواطنين عصريين وغربيين. لقد امتلأت الكتب المدرسية بإنجازاته، ولا يجوز لأحد أن يتكلم ضده. ولكن داريا فعلت.

عاد والدها وخلفه هومان وكايفون، وقد بدت عليهما الكآبة.

- «لقد قالت أشياء سيّئة للغاية عن الشاه»، همست مينا وقد شعرت بالحاجة لأن يعرف والدُها حقيقةَ أمها.

- «إنها محقّة»، قال الأب وهو يهزّ كتفيه.

وتُركت مينا تشعر بالوحدة فجأة.

الفصل الرابع عشر

يخنة اليقطين

لم يكن من السهل عليهم مغادرة إيران. لقد انتظروا أطول مما انتظر معظم الناس. فبعض العائلات غادرت عندما دخلت دبابات الشاه وسط طهران، إلا أن والدَي مينا قالا إنّ الثورة قد تأتي بأمور جيدة. قد تأتي بالديمقراطية. وبالحرية. استشعرت مينا في والديها رغبةً فعلية في إنهاء النظام الملكي، وهو ما اعتبرته هرطقةً. فلطالما أحبت مينا مشاهدة المسيرات على شاشة التلفزيون احتفالاً بالشاه وزوجته فرح، حيث بدا الملك والملكة رائعين وهما يرتديان عباءات مخملية باللون العنّابي فوق معاطف فضية مطرزة بأشكال مبتكرة، ويضعان تيجاناً ذهبية مرصّعة بالألماس والياقوت متوازنة على رأسيهما. تلألأت جواهرهما، وتصاعد صوت موسيقى مهيبة. وعلى صوت الأبواق أدّى مئات الرجال التّحية، وكانت مينا تقفز مِن على البساط الفارسي لتحيّي الشاه مع الجماهير، غير قادرة عن منع نفسها من ذلك.

اشترى هومان ملصقات للقادة الثّوريين الجدد. استمع إلى خطبهم، وحاول أن يُطلق لحية. كما أنه خلع قمصان البولو الفاخرة وارتدى قمصاناً قطنية بسيطة وسراويل فضفاضة على غرار الفلاحين. أما الفتيات اللاتي اعتادت مينا رؤيتهن عائدات من الجامعة بأحذيتهن ذات النعل السميك وتنانيرهن القصيرة، وشعرهن الطويل يتمايل بشكل مغرٍ على ظهورهن، فبدأْنَ في ارتداء الحجاب وتوقّفْنَ عن وضع المكياج. كان الإسلام حاضراً في كل مكانٍ نظرت إليه مينا، واعتُبر أي شيء يُذكّر الناس بالشاه أو بطرقه الغربية قديماً وعفا عليه الزمن، وغير محبّب على الإطلاق.

وذات يومٍ، رحل الشاه وتغيّر العالم. تولّى القادة الدينيّون الجدد للثورة زمامَ الأمور، وقام الناس بكتابة كلمات: «الحرية» و«الثورة» و«الجمهورية الإسلامية» على جدران الشوارع. وأصبح الناس الذين لم ترهم مينا يُمارسون الطقوس الإسلامية أبداً من قبل متديّنين فجأة، على غرار مريم، ابنة الخالة نيكي، التي أفرغت دُرْجها من المكياج وأحمر الشفاه، وملأته بالمسابح وأحجار الصلاة بدلاً من ذلك. كما أنها رمت فساتينها القصيرة وقمصانها الضيقة وذهبت إلى البازار واشترت أحجبة بسيطة وزيّاً إسلامياً.

كان من الصعب مسايرة مَن كان في أيّ صف: ثورياً أم مناهضاً للثورة؟ وعندما ذهبت مينا وعائلتها إلى بيوت الناس، كان يُقدَّم النبيذ تارة، وتُلقى الخطب عن شرور الكحول تارة أخرى. وفي بعض الأحيان، كان أحد الزوجين يقدم النبيذ بينما كان الآخر يستنكره بغضب أثناء سكبه. كانت العائلات منقسمة.

بعد ظهر كل يوم، كان والد مينا يستخدم سلّماً لإزالة صور القائد الجديد التي وضعها هومان في المنزل. وبحماسة متزايدة،

كان هومان يتسلق أعلى رفوف الكتب والأثاث ليثبّت الصور أعلى.

- «لقد تخلّصنا من الديكتاتور»، قال هومان بصوته المتغير، «لقد حرّرنا البلاد من فساده».

* * *

كانت الخالة نيكي تهمس لداريا في المطبخ بينما تسترق مينا السمع.

- «ولَداي يبتعدان مني. يقولان لي بأنّي على خطأ، ومن الطراز القديم، وغريبة للغاية. أشعر أحياناً أن ولدَيّ لم يعودا لي، يبدو الأمر وكأنهما أصبحا **ولدَيْهم**، ولدَي الدّعايةِ **الخاصّة بهم**».

انحنت داريا على طاولة المطبخ وهي تفكر، ثم أشرق وجهها وقالت:

- «ادعيهما إلى هنا. لا يمكنهما مقاومة يخنة اليقطين التي أصنعها. سأتحدث أنا مع مريم، وسيتحدث بارفيز مع رضا. سنخاطب بطريقةٍ منطقية عقليهما المراهِقين المتعصّبين».

تجهّمت الخالة نيكي بدايةً، لكنها شكرت أختها الصغرى بعد ذلك. تمّ تحديد وقت للعشاء، ولأول مرة منذ أسابيع، رأت مينا الخالة نيكي تسترخي بعض الشيء. قالت داريا إنه لا داعي لشكرها وإنهما سيبذلان قصارى جهدهما.

تظاهرت مينا بأن الخالة نيكي كانت محقّةً في أن تكون متفائلة، متغافلةً حقيقة أنّ داريا نفسها لم تكن قادرة على عقلنة هومان المتهور.

* * *

ركضت مينا وكايفون لفتح الباب فوجدا العم حامد واقفاً هناك، حاملاً قبعته في يده، ووجهه مُرهق. أما الخالة نيكي، فكانت لا

تزال بجوار السيارة تتحدث إلى النوافذ المغلقة بصوتٍ أرادته مُقنعاً. وبعد بضع دقائق، خرج ابن خالتهم رضا من السيارة، وقد بدا أطول مما كان عليه عندما رأته مينا آخر مرة. وعلى الرغم من أنه كان في السادسة عشرة من عمره فقط، إلا أنّ لحيةً خفيفة نبتت على ذقنه.

- «تعالَ، دعني أراك!»، سارعت داريا لترحّب بابن أختها وتقبّله، لكنه ابتعد منها، وتبعته امرأة ترتدي شادوراً أسود إلى المنزل. مكتبة سُر مَن قرأ

- «قولي مرحباً، يا مريم»، قالت الخالة نيكي.

وَكَزَ كايفون ومينا أحدهما الآخر. هل كانت هذه ابنةَ خالتهم الجذابة البالغة من العمر ثمانية عشر عاماً والتي كانت تضحك وتمازح ابن بائع الخضار قبل بضعة أشهر فحسب؟ هل هذه مريم التي كانت ترتدي كعباً عالياً وبنطال جينز أزرق ضيّقاً، وعنياها مزينتان بأخضر برّاق؟ حدّقت مينا في ابنة خالتها الجديدة الواقفة أمامها.

- «هل نشرب الشاي؟»، قالت داريا وكادت تصرخ وكأن مريم كانت ضعيفة السمع بسبب حجابها.

سارعت مينا وكايفون للمساعدة في المطبخ. وحين عادت مينا وهي توازن صينية من أكواب **استكان** الصغيرة على شكل ساعات رملية مملوءة بالشاي الداكن، رأت أن داريا جلست بجوار مريم وكانت تتحدث وتضحك وتحرك يديها بحماس، فيما كانت مريم تومئ برأسها بأدب، كما يومئ المرء لشخصٍ كبير في السن فَقَدَ صوابه.

سأل والد مينا رضا عن دراسته بشكلٍ منهجي.

- «أتذكّر»، قال الأب، «حين كنتَ في الرابعة من عمركَ وكنتَ

تتوسل إليّ أن أحملك على كتفَي. هل تتذكّر ذلك؟ هل تتذكّر أننا كنّا نلعب لعبة الغميضة في الخارج؟».

تجهّم رضا.

وعلى العشاء، تناولت مريم الطعام بيد واحدة، ممسكةً بشادورها بإحكام باليد الأخرى.

- «مريم جون، كما سبق أن قلت لك، أنا أحترم أنكِ الآن متدينة وملتزمة، إلا أننا جميعاً هنا عائلة واحدة، وأنتِ حقاً لست بحاجة إلى تغطية شعرك أمام العائلة. أنتِ تعرفين ذلك، أليس كذلك؟»، قالت داريا وقد تلاشت تعابير البهجة المصطنعة عن وجهها.

بدت الخالة نيكي وكأنها على وشك البكاء. أرخت مريم شادورها قليلاً، فيما تذمّر رضا بشأن الوفيات التي سببها الشاه في السجون. استمع هومان إلى كلامه باهتمام، فراح الوريد في جبين داريا يخفق بقوة.

وحين حان وقت توديع الضيوف، احتضنتهم مريم جميعاً، لكن رضا لم يرغب في أن يلمسه أحد.

- «نحن **عائلة!**»، قالت داريا بإصرار، لكن رضا ودّعها بجفاء ثم سار باتجاه السيارة.

ومن خلف ستائر غرفة المعيشة، رأت مينا مريم وهي تسير نحو باب السيارة وترفع طرف الشادور قليلاً قبل أن تصعد إلى السيارة، مثل سندريلا في فستان سهرة.

لوّح العم حامد والخالة نيكي من المقعدين الأماميين بابتساماتِ اعتذار، وانطلقا بالسيارة ومعهما مريم ورضا في المقعد الخلفي

بوجهين لا يُفسّران، ووقفت مينا وعائلتها عند المدخل، يلوحون لهم بينما كانت السيارة تبتعد.

- «كانت هذه... يخنة يقطين لن أنساها أبداً»، قال الأب متنهداً.

واصل هومان النظر إلى الشارع بذهول.

- «قال رضا إنه إذا ثابرنا على مطالبنا، فسيمكننا الانتقام...»، قال هومان بإعجاب، فأمسكت داريا وجهه فجأة بكلتا يديها وقالت له:

- «**خوب كوش كون**. اسمع. اسمع جيداً. أنا أمكَ، أتفهم ذلك؟ وستصغي إليّ أنا. أَنْزِل الصورة. بسه! كفى! اذهب ونظّفْ أسنانك. اذهب وارتدِ ملابس النوم. هيا، اذهب!».

ظل هومان هادئاً، ففكّرت مينا أنه قد يكون خائفاً.

- «اذهب!».

مشى هومان نحو غرفة نومه، فصرخت داريا:

- «ارتدِ ملابس النوم ونظّفْ أسنانك!».

خلع هومان سترته وهو يمشي، واستمرت داريا في الصراخ:

- «هذا صحيح! اذهب واستعد للنوم! أنا أمكَ! لقد سئمتُ من هذا الهراء!».

سمعت مينا صنبور الماء يُفتح في الحمام.

التفتت داريا إلى مينا وكايفون.

- «أنتما أيضاً، هيّا! استعدا للنوم. لا أحد يقول لكما ما يجب عليكما فعله إلا أنا ووالدكما، مفهوم؟».

- «داريا جون، حان الوقت لنرتاح جميعاً»، قال الأب وهو يسحب داريا بعيداً.

نفضت داريا يده عنها، وواصلت الصراخ على مينا وكايفون:

- «أنا أمكما. يجب عليكما ألّا تتبعا غباء أي أحد، **أبداً!**».

- «هيا، يا داريا جون، هيا»، واصل الأب وهو يسحبها بعيداً.

- «لن يأخذوهم منا، يا بارفيز، فهم مجرّد أطفال»، قالت داريا.

في تلك الليلة، استلقت مينا على سريرها تفكر في مريم ورضا. ابنا خالتها اللذان عرفتهما يوماً لم يعودا موجودين. فقد تصرفت مريم ورضا على نحوٍ مختلف تماماً الآن. وفي حين أنه كان من المزعج التفكير في كيفية تغيرهما، إلا أنّ ما أخافها أكثر هو رؤية أمها وهي تصرخ بهذه الطريقة؛ تنفعل، وتهتاج، ويخفق الوريد على جبينها، وتتحول شيئاً فشيئاً إلى أمٍّ جديدة وغريبة تماماً.

* * *

ومما بعث على ارتياح الجميع أنّ حماسة هومان الثورية كانت في الواقع مجرد مرحلة عابرة. فبحلول ذلك الوقت، كانت حماسة المراهقين والنساء والرجال الآخرين الذين ساروا في الشوارع لإنهاء ديكتاتورية الشاه قد أدّت إلى تغيير النظام. وبدأت أصغر الزوايا في حياة داريا ومينا تشعر بثقل هذا التغيير.

الفصل الخامس عشر

ماماني والرومي

كان الجو بارداً عندما استيقظت مينا. كان الثلج في الخارج يشبه المثلجات التي تضفي عليها داريا نكهة ماء الورد. كانت داريا هادئة في السيارة في الطريق إلى المدرسة، فهي الآن تصطحب مينا وأخويها، إذ لم يعد المشي آمناً. كان القتال قد توقّف، وساد الصمت في الشوارع. لم تعد هناك هتافات أو سفك للدماء. كان الشاه يحاول الوصول إلى مكان اسمه أمريكا. فكرت مينا فيه وهو هناك. هل سيعاملونه كملك؟ هل سيذهب إلى ديزني لاند؟ لقد أراها كايفون ذات مرة صوراً لتلك الأرض الساحرة، حيث كان الناس يجلسون في مقاعد على شكل فناجين شاي. فناجين شاي ضخمة لونها أزرق باستيل، ووردي شاحب، وأخضر فاتح. وفي الصور كان الأمريكيون يضحكون. «إنها أرض فناجين الشاي»، قالت مينا متعجبة، فابتسمت داريا، ومنذ ذلك الحين كانوا يطلقون على أمريكا في عائلتها اسم «أرض فناجين الشاي».

بدأ الناس يختفون. فذات ليلة، كان جارهم نائماً عندما طرقت السلطات الحكومية الجديدة باب منزله واقتحمته واعتقلته واقتادته بعيداً. باتت بناته يرتدين الأسود الآن. نظرت إليهن مينا في الشارع وتساءلت عن شعورهن بعد أن أُخذ منهن والدهنّ. قلقت مينا على والدها. لم تكن تُريده أن يُظهر أي علامات على كونه مناهضاً للثورة.

* * *

بعد مرور أكثر من عام على نجاح الثورة، وقفت مينا أمام المرآة في غرفة نومها وفي يدها حجاب. كانت ماماني وداريا جالستين خلفها على السرير، فسألتهما:

- «هل هذه هي الطريقة التي أفعل بها ذلك؟».

- «دعيني أُريك»، قالت ماماني ثم أخذت قطعة القماش المربّعة من مينا ووضعتها على السرير وطوتها على شكل مثلث، ثم وضعت القماش المثلث الشكل على رأس مينا وربطت عقدة ضيقة على رقبتها. نظرت مينا إلى نفسها في المرآة. بدت شبيهة بدماها الروسية.

سحبت داريا بعصبية رداءً رمادياً فضفاضاً، كان موضوعاً على سرير مينا. كان الرداءُ طويلاً وذا أكمام طويلة ومنتفخة، وأزرار ممتدة على طول الصدر.

- «هذا زيّكِ الجديد، يا مينا، **روبوش**»، قالت داريا بهدوء.

- «زيّي الرسمي للمدرسة؟»، سألت مينا.

- «نعم»، قالت ماماني.

- «تذكرا كلامي، قريباً سوف يغيّرون القانون بحيث يكون هذا

هو الزّي المفروض في كل مكان. إنهم يريدون جعل الحجاب إلزامياً بموجب القانون»، قالت داريا.

- «لا نعرف ما إذا كانوا سينجحون في ذلك»، قالت ماماني بلطفٍ.

- «أوه، سوف يصلون إلى مبتغاهم، ولو بالقوة. انتظري وسترين».

التقطت مينا **الروبوش** الثقيل. مع اقتراب عيد ميلادها العاشر، كانت تقترب من عتبة المراهقة الخطيرة. نظرت إلى نفسها. كل هذا - الشعر الطويل تحت الحجاب، ومؤخرتها المستديرة، وأول علامات ظهور الثديين - كان يعتبر تهديداً الآن. كان عليها أن تتستر عند الذهاب إلى المدرسة بموجب القانون، فجسدها أصبح مسؤولية.

اقتربت ماماني من خلفها ومررت ذراعَي مينا في **الروبوش**، وبينما كانت تعقد الأزرار، جلست داريا على السرير متشابكة الذراعين ومتجمدة.

- «لا تقلقي»، قالت ماماني مع ضحكة مصطنعة أمام تعابير الاستياء على وجه ابنتها، «فتاريخنا مليء بهذه التطرّفات، بحيث تتم الأمور بالقوة. فأثناء فترة حكم رضا شاه، حين أرادت أمي السير في الشارع بشادورها، هاجمتها الشرطة ونزعته عن رأسها. هذا ما أرادوا فعله حينها: جَعْلُنا غربيين ومحوُ أي أثر للدين. أما الآن، فقد قرروا أننا غربيون أكثر من اللازم وينبغي بنا أن نعود إلى الدين. البندول يتأرجح من تطرف إلى آخر». تنهدت ماماني وتراجعت عن مينا. «دائماً ما يعبّر الرجال عن برنامجهم من خلال النساء. فالآن، على النساء أن يتستّرنَ حتى يشعر الرجال أنّهم أقوياء ويتمتعون بالسلطة».

كان «هُم» مصطلحاً مألوفاً لدى مينا الآن، فكلّ شيءٍ كان «هُم» منذ الثورة. وهم كانوا القادة الذين حلّوا محل الشاه. النظام الجديد. السلطات الجديدة. هُم كانوا الأشخاص الذين يخشاهم الناس الآن.

أرادت مينا أن تُخبر أمها بأنّ اللباس الرمادي الذي يغطّي رأسها وجسمها بدا غريباً، ولكن لا بأس، يمكنها التعامل معه، لا داعي لتزيد من قلق أمها. بدا كما لو أنّ داريا كانت تقاوم الغضب طوال الوقت الآن. تخاطب هومان بغضب، وتحرق قاع الأرز بحيث يخرج **التهديج** أسود ومتفحّماً بدل أن يكون بنّياً ذهبياً وطرياً.

* * *

في اليوم التالي، وجدت مينا أمها جالسةً إلى طاولة غرفة الطعام تقلّب أوراقاً صفراء.

- «ما هذا، يا أمي؟».

كل ما رأته مينا على الصفحة كان أرقاماً، أرقاماً لا نهاية لها مكتوبة بقلم الرصاص، تربط بينها علامات ورموز مجهولة. لماذا لم تكن أمها تحضّر العشاء؟ لماذا لم تكن تعدّ الكفتة في أشكال بيضاوية من أجل طبق **الكتلت** الذي يتناولونه في ليالي الأربعاء؟

لم تبدِ داريا أي ردّ فعل، وكأنها لم تسمعها.

- «ما هذا، يا أمي؟»، سألت مينا مجدداً.

- «لا شيء»، قالت داريا أخيراً وهي تجمع الأوراق، «لا شيء على الإطلاق».

في أعلى إحدى الصفحات، رأت مينا كلمتَي «داريا دانيشجو»، وهو اسم والدتها قبل الزواج. بدت الأرقام وكأنها شيء كتبته داريا منذ زمنٍ طويل. شيء للمدرسة ربما.

- «لقد قمتِ بالكثير من المسائل الرياضية من قبل»، تجرّأت مينا بالقول.

- «لقد قمتُ بالكثير من الأشياء من قبل»، قالت داريا. «سيعود والدكِ وأخواتكِ إلى المنزل قريباً. علينا تحضير العشاء».

حضّرتا العشاء معاً في صمت، ودسّتا أيديهما في مزيج **الكتلت** المكوّن من اللحم المفروم، والكركم، والملح، والفلفل، وفتات الخبز، والبطاطا المسلوقة، والبيض النيء. كانت مينا تكوّر الكفتة إلى كرات صغيرة وتمرّرها إلى أمها، فتضغط داريا الكرة بين راحتيها وتربّت عليها لتأخذ شكلاً بيضاوياً رقيقاً مثالياً، ثم تسقطها في الزيت الساخن. كرّرتا ذلك مراراً وتكراراً في صمت، وتساءلت مينا عمّا إذا كان ذهن داريا منشغلاً بتلك الصفحات المليئة بالأرقام، وعمّا إذا كانت لا تزال تحاول حل تلك المعادلات القديمة.

حدّقت مينا في اللحم المفروم الوردي أمامها وفتحت فمها لتقول شيئاً، لكن كانت وقفة داريا جامدة جداً فمدّت لها مينا قطعةً من اللحم الطازج بدلاً من ذلك، وراقبت داريا وهي تصنع قطع **الكتلت** من الحجم والشكل نفسيهما، كما لو صُنعت بواسطة آلة، وتضعها في الزيت كي تُقلى.

لم يكن بإمكان مينا رؤية منزل ماماني من نافذة المطبخ، لكنها كانت تعلم أنه هناك، على الجانب الآخر من الشارع، خلف بائع الخضار، وراء أسطح المنازل الصغيرة ذات البوابات الحديدية المشغولة، على بعد ثلاثة شوارع إلى الأسفل وإلى اليسار. كان من المريح أن تعلم بوجود ذلك المنزل من الطوب الأحمر الذي عاش فيه جداها منذ ما يقرب من نصف قرن، حيث الورود المزروعة بعناية خلف أبوابه، والحَمَام يتنافس على فتات الخبز خارج نوافذه،

والشجيرات تتلألأ بقطرات الماء من خرطوم الحديقة. وبينما كانت قطع الكتلت تتحول إلى اللون البني الواحدة تلو الأخرى، تخيّلت مينا جدتها أمام موقدها، تقلي البصل وتغني مع أشرطة المغنية غوغوش. وتصوّرت جدّها مستلقياً على جنبه على الوسائد العنّابية اللون على أرضية غرفة المعيشة، متكئاً على مرفقه، ورأسه مستندٌ على يده، يقرأ صحيفة المساء ويرتشف من كأس الشاي الصغير.

أقبلَ المساء. ذابت الشمس وتلاشت في السّماء العقيقيّة، وألقت لوناً محمرّاً على السقف القصديري لبائع الخضار. عرفت مينا أنّ ماماني ستُطفئ الموقد في هذه اللحظة بالذات، وتضع البصل المقلي أو أياً كان ما تطبخه (يخنة البذنجان؟ حساء الآش؟) جانباً ثم تذهب إلى حوض الحمام، فترشُّ وجهها بالماء وتغسل ساعديها وأصابع قدميها بيديها المبللتين، وتمسح شعرها بالماء، لإتمام الوضوء من أجل صلاة المغرب. وفي غضون دقائق، ستكون ماماني واقفة على سجادة الصلاة، وفي يدها مسبحة التسبيح، غارقةً في التأمل. تخيّلت مينا وجه جدتها: أبيض، بشرة رقيقة كالرّيش، عينان نصف مغمضتين، شفتان تتحركان. كانت أصابع قدمَي ماماني تبرز دائماً من تحت شادور الصلاة، وسرعان ما تركع متجهةً نحو مكة. وفي اليوم التالي وفي الوقت نفسه، ستركع في الوضعية نفسها بعد أن تقوم بالوضوء نفسه وتجلس بالسلام التام نفسه.

شاهدت مينا داريا وهي تزيل بضع قطع من الكتلت من المقلاة وتضعها على منشفة ورقية لامتصاص الزيت. حاولت تكوين صورة ذهنية لداريا وهي تصلّي، لكنها لم تستطع ذلك، إذ جسد أمها المستقيم لن ينحني حتى في الوضعيات الصحيحة. هي لن ترغب في قضاء وقتها في الوقوف، والركوع، والجلوس، والتمتمة بالكلمات

لكيان غير مرئي، فهي من النوع الذي يرغب في التحرك، والفعل، وإنجاز الأمور. «إنّها عكاز»، كانت داريا تقول لأولادها، «الدّين والروحانيات هي عكاز للضعفاء».

ولكن كان هناك جمالٌ ما في شيءٍ ثابت يمكنك الاعتماد عليه مثل الدّين. هكذا فكّرت مينا وهي تشكّل الكرات الأخيرة من خليط اللحم على نحوٍ غير متناسق وتسلّمها إلى أمها. فأنت على الأقل تعرف ماذا تفعل، مثل ماماني. فقد يكون الجو مشمساً أو تتساقط الثلوج، وقد يكونون في حفلة ضخمة أو يتناولون البطيخ على الشاطئ، وقد تكون هناك ثورة في الشوارع والناس يتساقطون في برِكٍ من الدماء، وقد يكون هناك موكب من أجل الذكرى المئوية الثانية للملكية - وشيء واحد سيكون ثابتاً وحقيقةً في خضم كل ذلك: عند الشروق، والظهيرة، والعصر، والغروب، والليل، ستكون جدتها حتماً على سجادة الصلاة، تصلّي في اتجاه مكة. وهذا لم يبدُ لمينا شيئاً سيئاً على الإطلاق.

في اليوم السابق ليوم الجمعة المبارك، زارت مينا ماماني. شقّت طريقها عبر الشوارع الضيقة دون أن تركض تماماً، وتبعت خنادق الماء حتى وصلت إلى منزل جديها، حيث كان بإمكانها وهي خارج الباب شم رائحة حساء الآش التي أعدته ماماني.

كانت يدا ماماني حمراوين من نزع حبات الرمان حين استقبلتها بالعناق والقبلات. وكان آغا جان مستلقياً على السجادة الفارسية الحريرية، مرتدياً بيجامته، ويقرأ كتاباً، فذهبت إليه مينا وقبّلته على خده.

- «كم رمّانة تريدين، **عزيزم**، يا عزيزتي؟»، سألت ماماني بينما كانت مينا تتبعها إلى المطبخ.

- «أعطِها العدد الذي تريده. لا تسأليها. هي كلّها من أجلكِ، يا مينا جون»، صرخ آغا جان من غرفة المعيشة.

لاحظت مينا الصندوق الخشبي الموجود خارج حافة نافذة المطبخ، والذي كان يحوي فتات الخبز للحمَام.

حرّكت ماماني حساء **الآش**.

- «لقد أضفتُ المزيد من **الرشته**، الشعيرية، يا مينا جون»، قالت دون أن ترفع عينيها عن الموقد، ثم صرخت: «آغا جان! **بلند شو!** انهض! وأحضر اللبن!». ابتسمت لمينا وصرخت مجدداً: **بيا!** هيا! هذه الطفلة المسكينة جائعة.

دخل آغا جان وأخرج من الثلاجة اللبنَ الذي كان قد صنعه، إذ كان صُنْعُ اللبن مساهمتَه الوحيدة في الطبخ المنزلي، بحيث قامت ماماني بالباقي. كان هناك مذاقٌ مميّزٌ لطبخ نساء آل دانيشجو أحبته مينا كثيراً. توابل ووصفات وأسرار تتناقلها الآن الخالة نيكي وداريا. وتساءلت مينا عمّا إذا كانت طبخاتها ستحمل يوماً المزيج الدقيق نفسه من الكركم والبهارات. هل ستكون قادرة على قلي البصل حتى يصبح شفّافاً تماماً؟ هل ستقطّع اللحم على شكل معيّنات باستخدام السكين بهذه الطريقة الاحترافية السريعة؟ راقبت مينا ماماني وهي تضيف مسحوق الكمون إلى حساء **الآش**، وأدركت فجأة أن أخويها لن يقوما بالضرورة بلف **الدلمه**. كان عليها أن تتعلم كيف تقوم بأعمال فنية باستخدام مجموعة من التوابل تماماً مثل النساء من قبلها.

وبعد العشاء، أكلوا الرمّان مع رشّة من مسحوق زهرة القمح، وفيما كانت مينا تمضغ حبات الرمان، تدفقت الحموضة في فمها باندفاعٍ لذيذ.

- «هل تحبين هذا الرمان؟»، سألتها ماماني.

- «كثيراً»، قالت مينا.

- «سأحضر لك المزيد، إذاً».

- «مثل هذه؟».

- «أفضلُها موجودٌ في **ميوه فروشي**، متجر الفواكه في وسط المدينة. سأُحضر لمينا جون الرمان الذي تحبّه في المرة القادمة. في المرة القادمة، سأذهب إلى المتجر في وسط المدينة».

- «شكراً، يا ماماني. شكراً لكِ».

* * *

كانت الأخبار هذه الأيام كلها عن الموت. ليس موتَ الناس في الشوارع، فقد انتهت الثورة الدموية. جاءت الآن أنباء عن عمليات إعدام. قتلٌ خلف أبواب مغلقة. إعدام كل أولئك الذين كانوا مقربين جداً من الشاه، ومقربين جداً من الغرب، ومشابهين جداً لِما قد يبدو عليه الجواسيس، وطاغوتيين جداً ومتعلقين بالملكية، وقصاراً جداً، وطوالاً جداً، وسمينين جداً، وأغنياء جداً، وصاخبين جداً - لم يعُد يهم. لم يتوقف القتل. عرفت مينا كل هذا، وعرفت أن بلدها انقلب رأساً على عقب، وأن الثورة تتحول إلى شيء آخر. لقد أُخبرت بذلك، إذ كانت المحادثات في المنزل تدور حول وجهات نظر أخويها السياسية المتغيرة وإحباط والديها نتيجة اليأس من كل ذلك.

لكن بدا جدّاها محصّنين ضد الدراما التي تحدث خارج أسوار منزلهما. لم يكترثا لأي شيء. رغبت مينا في بعضٍ من هدوئهما. كيف التزما بنمط حياتهما اليومي باجتهاد بينما كانت بقية البلاد في حالة من الفوضى والارتباك؟ في المطبخ، شاهدت مينا ماماني وهي

تضع ما تبقّى من سلطة البصل والخيار والبندورة في طبق من السيراميك للتخزين، وكان آغا جان يمتص ليمونة بسكون. ربما كان هدوؤهما مكافأة كبر السن، ربما كان المقابل للبقاء في العالم لفترة طويلة.

- «كيف حال المدرسة؟»، سألتها ماماني.

- حسناً، الجميع بنات الآن، باستثناء عمّال النظافة. ولدينا الكثير من القواعد الجديدة، ومن بينها الحجاب، كما تعلمين. وقالت معلمتنا الجديدة إنه لا ينبغي لنا أن ننظر إلى الصبيان أبداً باستثناء أزواجنا حين نتزوج.

غمز آغا جان ماماني وقرصها، وقال ممازحاً:

- «أسمعتِ ذلك؟ ينبغي بك أن تنظري إليّ!».

أبعدت ماماني يده.

- «بسه! لقد نظرتُ إليك بما فيه الكفاية. لقد نظرت إليك على مدى خمسة وأربعين عاماً»!

- «السيدة أميري تعطي الأوامر طوال الوقت: غطّين أجسادكن. ردّدن شعارات الموت. لا تكنّ غير خلوقات. ولا تكنّ مناهضات للثورة. موتنّ من أجل القضية إذا اقتضى الأمر. صديقتي بيتا تظن أن السيدة أميري حمارة».

- «لطالما أحببت بيتا تلك»، قالت ماماني.

- «ما هذا الهراء الذي يعلّمونكم إيّاه هذه الأيام! ما هذا الهراء... ماذا سمّتهم صديقتكِ؟»، قال آغا جان رافعاً حاجبيه.

- «حمير»، قالت مينا بخجل.

- «صديقتك هذه ظريفة، يا مينا جون»، قال آغا جان.

على الأقل، يمكن المزاح معهما حول الموضوع. فلو أخبرت

مينا داريا بذلك، كانت ستتوتر وسيخفق الوريد في جبينها، لكن ماماني وآغا جان لم يوليا الأمرَ أهمية.

نهضت ماماني وغادرت الغرفة، ثم عادت بعد لحظة ومعها كتاب.

- «هذا، يا مينا جون، هو ترياقي لكل الهراء».

عرفت مينا هذا الكتاب جيداً. كان صغيراً ومهترئاً، وكان الغلاف الجلدي الأزرق قد كُتِبَت عليه حروفٌ ذهبية باهتة. وكانت الصفحات مصفرّة وناعمة. إنه كتاب شعر ماماني الذي يحتوي على أبيات الشعر المفضلة لديها، للشعراء الفرس القدماء. كانت هذه كلمات نسختها بخطها وبالحبر الأسود، بحروف كبيرة مائلة.

- «تعالي وانظري»، قالت ماماني وأشارت إلى مينا لتأتي وتجلس بجانبها على الوسائد المصنوعة من السجاد على أرضية غرفة المعيشة. «تعالي وانظري إلى هذه الكلمات الجميلة لأجدادكِ».

اقتربت مينا واستقرت بجانب ماماني وأسندت رأسها على كتفها، فراحت ماماني تقرأ باسترسال، وبصوتٍ عالٍ ومفعم بالتعبير. كان آغا جان يصغي بصمت. ومع صوت ماماني، شعرت مينا بضغط المدرسة وقواعدها الجديدة تتلاشى. استمتعت بالإصغاء إلى ماماني وهي تقرأ النص ذا الحروف السوداء المتصلة للرومي وسعدي والشعراء الفرس القدماء الآخرين في الصفحات المجعدة من الكتاب. أرادت مينا أن يبقى الأمر على هذا النحو: رأسها على كتف ماماني، ورائحة البصل المقلي والنعناع على فستانها، والغرغرة الصادرة عن السماور حيث يتم تحضير الشاي، والشمس تغرب بلطفٍ في السماء القرمزية.

الفصل السادس عشر

المدرسة وصدّام

سارعت داريا عبر غرفة المعيشة، وفي يدها لفافةٌ من رقائق الألومنيوم تومض كالسيف. بسطتها في الهواء فأصدرت صوتَ قرقعة عالية، ثم راحت تضغط هذه الرقائق وتثبتها على نوافذ غرفة المعيشة.

- «ماذا تفعلين؟»، سألتها مينا.

لكن داريا لم تُجب.

لقد اختفت العائلات من حولهم. غادرت الواحدة تلو الأخرى. معظمها إلى أمريكا وأوروبا. وقد غادر بعض عمّات وأعمام مينا حتى دون وداعٍ، وانتهى بهم الأمر في ألمانيا، وفرنسا، وإنجلترا، وكندا، والسويد، وأرض فناجين الشاي. لوس أنجلوس ونيويورك. سمعت مينا هذه الأسماء تُهمَس على مائدة العشاء حيث زبادي اللبن بالخيار والنعناع. كل أسبوعٍ، كانت عائلة جديدة تختفي من طهران. ثم فجأة توقّفت الحكومةً الجديدة عن السماح لهم بالمغادرة، وعندها، أراد الجميع المغادرة.

انفتح باب المنزل الأمامي ودخل الأب. بعد التّحية، غسل يديه سريعاً وساعد داريا في تغطية زجاج النوافذ بالأوراق الفضية. وعندما تمّت تغطية غرفة المعيشة بالكامل، انتقلا إلى غرف النوم، وهرولت مينا خلف والديها من غرفة إلى أخرى، تراقب هذا الإجراء الغريب، لكن المهم على ما يبدو.

انبعثت أغنية «أنا بصراحة أحبك» لأوليفيا نيوتن جون من مشغّل الكاسيت في غرفة المعيشة. كانت مينا برفقة هومان عندما اشتراها من بين مجموعةٍ من الأشرطة المقرصنة لبائعٍ متجول، والتي عُرضت على سجّادة قديمة على جانب الشارع. كان البائع المتجول قد نظر من حوله بتوتّر ليتأكد من عدم وجود حرّاس يراقبونه، ثم قبض النقود من هومان ووضعها في جيبه.

كانوا الآن هم الثلاثة في غرفة نوم هومان، حيث وقفت داريا والأب أمام ملصقٍ لفرقة بينك فلويد المثبت على جدار الغرفة. بدت داريا على وشك أن تقول شيئاً، إلا أنها لم تفعل. قبل بضعة أشهر، كان الملصق لـ «آية اللّه». والآن كان لبينك فلويد. فتحت داريا ذراعيها واسعاً وهي تمدّ ورقة لامعة أخرى من ورق الألومنيوم، ضغطها الأب على نافذة هومان وثبتها بشريطٍ لاصق.

- «لماذا تفعلان ذلك؟»، سألت مينا.

- «بسبب صدّام»، قالت داريا بعفوية، «وبسبب قنابله».

تنحنح الأب.

- «ينتقل الضوء إلى...»، راح الأب يشرح بنبرةٍ علمية، «انظري الآن، هناك مسافة يمكن فيها...».

- «نحن نغطي النوافذ حتى لا تتمكن طائرات صدّام من رؤية

أضوائنا، حتى لا تتمكن من العثور على المدينة وقصفنا»، قاطعته داريا. «هذا هو السبب».

تسمّر الأب في مكانه.

- «نعم، حسناً. . . هذه طريقة أخرى لصياغة الأمور»، قال ثمّ لوّح بلفافة الألومنيوم في الهواء مثل العصا، وحاول أن يصفر مع أغنية أوليفيا نيوتن لبعض الوقت، ثم ابتسم لمينا ابتسامة مُطَمئِنة وقال: «من منا جائع؟ دعونا نتناول العشاء!».

* * *

سرعان ما أصبح صدّام جزءاً من الحياة. كان في كل مكان. رأت مينا صورة شاربه في السّحاب، وفي لمعان مياه المدينة الزيتية، حيث رأت أيضاً أصابعه السمينة تطفو على سطحها. وظهرت خصلات من شعره في صحنها من الأرز بالعدس. وفي الليل، كان صوت طائراته يُرعب مينا. ظهر اسمه على الصّحف، وكُتب بالطّلاء في الشوارع بجوار كلمة «الموت»، ودُمج في أناشيد المدرسة وأغاني الاستراحة. ودائماً ما كان اسمه يُنطق باشمئزاز. لقد هاجم صدّام إيران في أحد أيام سبتمبر من عام 1980، ورغم أن ذلك لم يبدُ ممكناً، إلاّ أنّ الأمور بلغت مستوى جديداً من التغيير.

كانوا الآن في حربٍ مع إيران.

أصبحت المدرسة موجهة نحو التدريب. تدرّبن على الجري للاحتماء، وعلى الانحناء، وعلى تغطية رؤوسهن بأذرعهن. وكانت بيتا أسرع عدّاءة. كانت تُطقطق علكتها أثناء الانحناء، رغم عدم السماح لهنّ بمضغ العلكة.

كانت المدينة بأكملها قد غطّت نوافذها بورق الألومنيوم. لكن هذا لم يمنع طائرات صدّام من التحليق فوقها. تخيّلت مينا الطيار

وهو يبحث عن المكان المناسب لإسقاط قنبلة. عن المكان المثالي.

في منتصف الليل، وفي منتصف أحلى الأحلام، وكزَت داريا مينا برفق فتبعت عائلتها إلى الطابق السفلي، مترنحةً في بيجامتها وبيدها دمية، حيث انتظروا هناك حتى انتهى القصف.

ستتذكر مينا لاحقاً تعثّرها على الدرج أثناء ذهابها إلى الملجأ. وستتذكر اصطكاك أسنانها بينما كانوا ينتظرون بقلوبٍ مرعوبة أن تتوقف القنابل، فيما كانت الأرض تهتز من تحتهم. وستتذكر أعداد القتلى المُعلن عنهم كل يوم، والتي طُبعت في الصحف، وتابعها السكان بقلق.

وهناك في الطابق السفلي، قرر كايفون أن يعلّم مينا حركات الكاراتيه. فقام بتدريبها بحرصٍ واهتمام أثناء احتمائهم تحت الأرض لساعات طويلة. وكانت ركلة كايفون المفضلة هي ما أسماه «ركلة دفع الكعب الجانبية» والتي تعلّمها من مشاهدة أفلام بروس لي، وقال إنه أتقنها.

- «انظري. عليكِ أن تقفي وأصابع قدميك متوازية، في وضعية قتالية».

حاولت مينا تقليد وضعية كايفون.

- «اجعلي قدميكِ متباعدتين بمقدار عرض الكتفين، أديري إصبع قدمكِ الأيسر، والآن ارفعي ساقكِ مطوياً إلى أعلى واركلي بقوة».

حاولت مينا مراراً وتكراراً، لكنها لم تتقن الركلة تماماً.

- «أنت قريبة من إتقان الحركة»، قال هومان الذي كان يراقبها طوال الوقت، «ستتقنينها مع التمرين، يا مينا، لكن عليكِ التركيز».

* * *

وجدت الحكومة استخداماً جديداً للأبيض والبرتقالي والأحمر، وهي ألوان لطالما استخدمتها مينا لرسم السّحب الحليبية، والشمس المشرقة، والقلوب الكبيرة.

فعندما كانت الطائرات تحلّق في السماء، كانت مكبرات الصوت العالية المنتشرة في شوارع طهران، وفوق لافتات السوبر ماركت، وفي أكشاك الفاصوليا، وفوق سيارات الشرطة تبدأ بإحداث الضوضاء. كانت هناك ثلاثة أنواع من الإشارات، نُسب إلى كلٍّ منها لونٌ واختلفت في نغمة صفارة الإنذار، وذلك للتحذير عن ثلاث مستويات من حالات الطوارئ. كان الأبيض يعني كُن حذراً ولكنك لن تموت، والبرتقالي يعني أنّه يُفضّل الذهاب إلى الطابق السفلي، والأحمر يعني اذهب إلى الطابق السفلي الآن، واستلقِ على بطنكَ، وضع يديكَ فوق رأسكَ وصلِّ.

احتفظت داريا بمجموعةٍ من أوراق اللعب في الطابق السفلي. كانوا يلعبون لعبة ورق الرامي بعصبية، لمعرفتهم أن لعب الورق أصبح محظوراً الآن أيضاً، إذ أي شيء يتعلق بالقمار كان إثماً. وكانت داريا تلعب لعبة السوليتير أحياناً، وتطرح سؤالاً بصمتٍ قبل أن تبدأ كل لعبة، دون أن يسمعها أحد، ثم تقول لهم: «ستحدد البطاقات الإجابة»، وكانوا جميعهم يعرفون السؤال: «**هل سننجو؟**».

انتهت ألعاب السوليتير بالفشل أكثر من مرة. وعندما كان يحدث ذلك، كانت داريا تقوم بجمع الأوراق بسرعة وخلطها في كومة مرتبة، فيستولي عليها الأولاد ويصنعون منزلاً من أوراق اللعب. كانوا يضعون بطاقة فوق الأخرى كما لو أنّ حياتهم تعتمد على ذلك، وفي حال انهار المنزل الورقي، كما كان يحدث غالباً، كانت وجوههم تذبل ويخمد تفاؤلهم جميعاً. لكنهم كانوا يعودون

إلى الطابق العلوي رغم ذلك. وفي كل مرة دخلوا فيها منزلهم من جديد، بدا لهم وكأنهم يدخلونه للمرة الأولى، وفي كل مرة كانوا يدركون أنها قد تكون الأخيرة.

* * *

في الصباح، كانت مينا تأكل ببطء شديد البيض المسلوق الذي أعدّته لها أمها. فإذا أمكنها تأخير موعد ذهابها إلى المدرسة، لفعلت. كانت داريا تعدّ الشاي بعناية في أوعية مثالية، إذ كانت تغطّي إبريق الشاي الصيني بغطاء مخصص له حاكته ماماني، حفاظاً على سخونة الشاي. وقبل مغادرة المنزل، كانت مينا تقوم بفحصٍ أخير أمام مرآة المدخل، فتدسّ كل خصل شعرها تحت حجابها وتزرّر رداءها **روبوش** حتى الزر الأخير.

ظهرت من العدم معلمةُ دروسِ الدين الجديدة، السيدة أميري، لتدريس هذه المادة الجديدة تماماً. وأُمرت السيدة شوغي والمعلمات الأخريات بارتداء الحجاب، وطُلب من المديرة القديمة المغادَرة لأنها كانت من مناصرات الشاه، وجاءت مديرة جديدة تحمل مكبّرَ صوتٍ في يدٍ وقائمة من القواعد الجديدة في اليد الأخرى. وكان يُبلَّغ عن أي فتاةٍ تظهر بحجاب غير لائق، كما أُرسلت بيتا باستمرار إلى مكتب الناظرة لأنها أظهرت علاماتِ «انحراف».

تم استبدال الكتب المدرسية القديمة والتي تحمل صورة الشاه في الصفحة الأولى بكتبٍ مدرسية جديدة تحمل بداخلها صورة للقائد الجديد. وكانت الرسومات في كتبهن القديمة لفتيات يُطعمن الديوك ويذهبن إلى السوق هي نفسها تقريباً، عدا أنه تمّت إضافة الحجاب **والروبوش** إلى صور الفتيات.

وفي الكتب الجديدة، لم يعد ملوك الفرس فعّالين ومدهشين،

بل كانوا فاسدين ووحشيين. وكان على مينا أن تتعلم «الحقائق» من جديد، فرأت أن تعاريف أشياء مثل «التاريخ» و«الخير» و«الشر» تتغير بحسب مَن هو في السلطة. فأدركت أنّ من يتحكّم بتوزيع المعلومات هو مَن يرسم العالم ويلوّنه.

- «لا تخضعي لغسيل الدماغ، يا مينا»، قالت داريا على طاولة العشاء. «لا تدعيهم يؤثرون فيك. لا يجوز لأحدٍ أن يملي عليك تفكيرك. لا يجوز لأحدٍ أن يقول لك ماذا يجب أن تفعلي. عداي. وعدا بابا. ولكن لا تتورطي في المشاكل أيضاً، فهم لا يرحمون. التزمي الصمت فحسب، وابقي مطأطئة الرأس. حاولي ألّا تردّي، فالأمر لا يستحق العناء».

في طريقها إلى المدرسة، كانت مينا تتجنب النظر في أعين الحرّاس الذين وقفوا يراقبون. «إنّ الفتيات الصالحات لا ينظرن في عيون الرجال»، قالت السيدة أميري. «الفتيات الصالحات لا يرفعن أصواتهن. لا داعي للابتسام دون سببٍ. الفتيات الصالحات لا يثرن الانتباه. لا يدعن ضحكتهن تُسمع». قام أحد الحراس الملتحين بتغيير موقعه بينما كانت مينا تسير بجواره، فخفضت رأسها، وكل ما استطاعت رؤيته هو جلد حذائه الأسود السميك.

في المدرسة، وبعد صلاة الصبح وخمسة وعشرين قفزة، اصطففن للتجمع في صفوفٍ حسب طول قامتهن، وكان من الصعب التخيل أنه منذ فترة قصيرة فقط، كان الصبيان والبنات يذهبون إلى المدرسة نفسها. «إن وجود الجنسين معاً»، قالت السيدة أميري، «يسبب آثاراً نفسية، وروحية، وجسدية، لا ينبغي الشعور بها إلا بعد الزواج». افتقدت مينا لعب كرة المناورة في المدرسة مع فروخ وأصدقائه.

كان فروخ لا يزال يأتي إلى منزلها أحياناً، وكانا يركلان الكرة في الفناء المُحاط بجدران عالية، دون أن يراهما أحد. ثم يأكلان التفاح والتوت المجفف اللذين تحضرهما لهما داريا ويضايقان ويمازحان أحدهما الآخر بلطفٍ.

* * *

أرادت السلطات الجديدة من الأطفال أن يكرهوا أمريكا. لكن معظم الأطفال الذين عرفتهم مينا كانوا يحبون أمريكا. كانوا يحبون موسيقاها، وعلكتها النعناعية، وحريتها.

قالت السيدة أميري إن أمريكا مُبتذلة وجشعة، وإنها دعمت ديكتاتورية الشاه بلا ضمير، وساندتْ ديكتاتوراً شريراً. «لكن من يجعل حياتنا جحيماً؟»، سألت بيتا مينا. «إنه هذا النظام الجديد، وليس أمريكا!».

ذات يوم، خلال فترة استراحة شديدة الحرارة مدتها نصف ساعة، وبينما كانت ناظرة المدرسة مشغولة بالجدال مع أحد عمّال النظافة وكانت السيدة أميري جالسة في الظل تمضغ تفاحة خضراء، أشارت بيتا إلى الفتيات أن يتجمّعن حولها. وعندما جلست كلٌّ من مينا، وجالا، وسبيده على الأرضية الإسمنتية بشكلٍ مريح، ابتسمت لهن بيتا ابتسامةً تآمرية وأخرجت شريط كاسيت صغيراً من تحت روبوشها. كانت على الغلاف صورةٌ بالأبيض والأسود لرجلٍ مبتسم ذي شعرٍ داكن وغمّازة على ذقنه وامرأة جميلة تواجهه ويداها على كتفيه.

رفعت بيتا الكاسيت ونظرت إلى الفتيات الأخريات بتعبيرٍ يستدعي الإعجاب المذهول. انحنت الفتيات مقتربات أكثر، فتعرّفت مينا إلى الصورة على الكاسيت على الفور وأخذتها من بيتا.

- «هذه أوليفيا نيوتن جون»، قالت مينا، «هومان يريد الزواج منها».

- «نعم، وأنت تريدين الزواج من ولي العهد الذي لم يعد وليَ العهد، بل أصبح صبياً لاجئاً فقيراً في مكانٍ ما في أمريكا»، قالت جالا بحدة. «ما هذا الهوس لدى عائلتك بالزواج من المشاهير؟ ستتزوجين من يختاره والداكِ. تقبّلي ذلك فحسب».

رغبت مينا في أن تشدّ شعر جالا، لكنّه كان محمياً تحت حجابها.

- «لعلمك، والداي لا يؤمنان بهذا الهراء البالي!»، قالت مينا.

- «هل يمكننا التوقف عن هذا الحديث السخيف وإلقاء نظرة على الشريط؟»، قاطعتهما سبيده، ثم أخذت الشريط من مينا وقالت: «هل يمكنني استعارته؟ رجاءً؟ رجاءً؟».

صرخَت الفتيات الأخريات احتجاجاً، وذكّرت جالا بيتا بملمّع الشفاه فائق اللمعان الذي أعارتها إياه قبل ثلاثة أسابيع والذي استهلكته بيتا بالكامل تقريباً. وقالت سبيده لبيتا إنها ستعطيها ثلاثة أشرطة من علكة النعناع التي أرسلها عمّها من أمريكا.

أما مينا، فكان «أنا أعز صديقاتكِ» كل ما استطاعت التحجج به.

وبعد عدة جولات من لعبة «حجر، ورق، مقص» (حيث اتّهمت جالا سبيده بالغش، وأكدّت سبيده على أنها لم تغش فهكذا تشكّل يدُها قبضةً، وإذا بدت مثل الورق، لم يكن من اللائق السخرية من مفاصلها المزدوجة، وقالت جالا إنّ المفاصل المزدوجة لا تعني أنه عليك الغش في كيفية صنع شكل الحجر بيدكِ، فبدت سبيده على

وشك البكاء) حسمت بيتا الجدال أخيراً بقولها: «مينا مَن سيتستعير الشريط أولاً، فهي أعزّ صديقاتي!».

ركضت مينا إلى المنزل بعد المدرسة مباشرةً ووضعت الشريط في المشغّل، وراحت ترقص على الأريكة وتقفز وتشعر بالتحرّر من الهموم. كانت هذه موسيقى مُبهجة فأطلقتها بصوتٍ عالٍ قدر الإمكان.

في تلك الليلة، أخرجت الورقة من علبة الكاسيت البلاستيكية، ووجدت بداخلها، مكتوب بأحرف فارسية، اسم المغني الذي كان يواجه أوليفيا نيوتن جون على غلاف الشريط: السيد جون ترافولتا، من نيوجيرسي.

وبحلول نهاية الأسبوع، كان وقتها مع الشريط - والذي علمت أنه الموسيقى التصورية لفيلمٍ اسمه **غريس** - قد انتهى، فكان عليها أن تمرّره لجالا «أثناء الاستراحة، ومغطّىً بمنديل، ومتظاهرةً بأنه سندويتش من الزبدة والدجاج». وبحلول ذلك الوقت، كانت مينا قد حفظت معظم كلمات الأغاني: «الحب الصيفي» و«مخلصة لك بلا أمل» و«أنتَ الشخص الذي أريده»، وفوجئت بالأغاني تتبادر إلى ذهنها في لحظات غير مناسبة - أثناء وقت الصلاة، أو وقت الأناشيد، أو الأسوأ من ذلك عندما كان جسد السيدة أميري المغطّى بعباءته الثقيلة يتجول في الفصل ويتحقق من محتويات دفاتر الواجبات. فكانت تعلم أنه إذا سمعت السيدة أميري نصف السطور التي تتراقص في رأسها، فسترسلها إلى الاحتجاز بعد المدرسة مباشرةً. همهمت مينا بالكلمات الإنجليزية الجديدة وهي تمشي عائدة إلى المنزل تحت أنظار الحرس الثوري. هي لم تكن تعرف معنى كل الكلمات، بل الكلمات الأسهل فقط مثل «love»

و«summer» و«want» التي حفظتها في فصل تعليم اللغة الإنجليزية الخاص الذي قامت أمها بتسجيلها فيه كنشاطٍ خارج عن المنهج.

- «بيتا»، همست مينا في صباح اليوم التالي وهي واقفة في الصف أثناء جلسة الأناشيد.

- «ماذا؟»، قالت بيتا وهي ترتفع حاجبيها الكثيفين.

- «لا أعتقد أنني أستطيع تغيير خطط زواجي»، همست لها مينا فيما كانت الناظرة الجديدة تهتف بالأناشيد، «لكن إذا لم يتم الأمر بيني وبين ولي العهد لسببٍ ما، فأعتقد أن هذا الرجل جون ترافولتا قد يكون زوجاً صالحاً».

- «أتمنى لكما سنوات عديدة وسعيدة معاً، يا مينا»، قالت بيتا وغمزتها.

حاولتا ألا تضحكا، وعندما جاءت بيتا إلى منزل مينا بعد المدرسة ومعها نسخة جديدة من الشريط أعدّها شقيقها خصيصاً لمينا، أمسكتا إحداهما بيدَي الأخرى ورقصتا في جميع أنحاء الغرفة.

- «بالطبع لن أتزوجه»، قالت مينا لاحقاً وهما تقومان بواجباتهما المدرسية.

- «بالطبع لن تفعلي»، قالت بيتا دون أن ترفع نظرها عن دفترها.

- «ولي العهد»، قالت مينا.

- «اعتقدتُ أنك تقصدين جون ترافولتا».

- «لا أعتقد أني سأتزوجه أيضاً».

- «لا، لا أعتقدُ أنكِ ستفعلين»، قالت بيتا بهدوء، «كلاهما في أمريكا وأنتِ في إيران».

وواصلتا عملهما دون أن تنبسا بكلمة أخرى.

* * *

في تلك الليلة، حلمت مينا بأنها تجلس على الشاطئ مع جون ترافولتا، يحتسيان كوباً من الشاي. وكان ولي العهد يلوّح لها وسط الأمواج محاولاً لفت انتباهها، لكن مينا كانت مشغولة بالدردشة مع السيد ترافولتا. كان بإمكانها سماع صراخ ولي العهد طالباً المساعدة، صراخ بشأن أسماك القرش، لكنها وجدت نفسها عاجزة عن مساعدته. «دعيه يغرق. إنه عديم الفائدة، وأناني، وجشع أيضاً»، قال جون ترافولتا، ولم يكن بوسع مينا سوى أن تومئ برأسها. «كوني لطيفة وأحضري لي كوباً آخر من الشاي»، قال جون ترافولتا، فنهضت مينا وسكبت له كوباً ساخناً طازجاً من السماور الذي كان موضوعاً على سجادةٍ فارسية على الرمال. جلسا معاً، هي وجون، ينظران إلى الأفق ويحتسيان الشاي من خلال قطع سميكة من السكر كانا قد وضعاها بين أسنانهما.

وبين الحين والآخر، كان جون ترافولتا يميل برأسه إلى الخلف ويغمض عينيه، ويصرخ بسطرٍ من إحدى أغانيه من فيلم غريس. وكانت مينا تنظر في وجهه مباشرة وتقرأ له أشعار حافظ بهدوء. واستمرّا على هذا المنوال حتى سمعت مينا صوت داريا يدعوها للاستيقاظ والاستعداد للمدرسة.

الفصل السابع عشر

لاهثون من رقصهم الديسكو

بمناسبة عيد ميلاد مينا العاشر، قامت داريا بقياس وغسل أرز بسمتي طوال الصباح. طحنت خيوطاً من الزعفران، ثم نقعت الأرز المطبوخ في مسحوق الزعفران المُذاب، وابتهجت بكل حبة برتقالية صفراء. خرج الأب من تحت طاولة غرفة الطعام بعد أن خبّأ المشروبات في سلة النزهة تحت مفرش المائدة. جاءت ماماني مبكراً لتقلي البصل. جلست صُغرى في المطبخ وربتت على جبهتها بمنديلٍ مبلل بماء الورد وهي تتأوه من كل العمل المتبقي. قام هومان وكايفون بتنظيف وشطف السلالم الأمامية. ونزعت مينا حبات الرمان من أجل يخنة الجوز التي تعدّها أمها. تشنجت معدة مينا لفكرة حفلة عيد ميلادها العاشر، فيمكن للحرس الثوري الإسلامي أن يقتحم المكان في أية لحظة، ويصادر المشروبات الكحولية المحرمة، ويعتقل والديها بسبب الموسيقى والرقص المحظورين، ويحتجز الجميع. ستكبَّل يدا والدها، وسيُغمى على داريا وتسقط

أرضاً، وسيجلد الحرّاس هومان وكايفون، وسينتهي الأمر بمينا منكمشةً على نفسها في الزاوية، كتلةً من التعاسة. دعت مينا ألا يكتشف الحراس حفلتها. ودعت بعينين مغمضتين ألّا يختار صدّام ليلة عيد ميلادها ليقصف المدينة.

الجميع قدّم المساعدة. الأقارب والجيران أعطوا داريا قسائمهم التموينية من اللحم والبيض، وجاءت الخالة فيروزه في روبوشها المنتفخ، وقالت لداريا:

- «خذي قسائمي من الكيروسين، يا داريا جون. حافظي على دفء منزلكِ. عمكِ جعفر كما تعلمين يعيش مثل الحصان ولا يستطيع تحمّل الكثير من الحرارة. وهو ما انفك يطلب مني الأرز بالحليب منذ ثلاثة أسابيع، فأظلُّ أقول له إنه ليس لدينا ما يكفي من الحليب. إنه يوتّرني بحيث إنني أرغب في ضربه على رأسه أحياناً...».

- «لا داعي لقول المزيد، يا خالة فيروزه! خذي قسائمي من الحليب، رجاءً»، قالت داريا وهي تبحث عن دفتر القسائم التموينية خاصتها.

- «لا، لا، لم أكن لأحلم بذلك! لقد ذكرتُ ذلك فقط لأنه... حسناً، لا يمكنني أن آخذ قسائم حليب منكِ، وأنتِ لديكِ صبيّان في مرحلة النمو، هومان وكايفون! وابنتكِ مينا هذه التي أصبحت في العاشرة من عمرها! لا، أنا لا أنتظر أي شيء مقابل كل كميّتنا من الكيروسين!».

- «خالة فيروزه، أرجوك، أتوسل إليكِ! خذيها، فأنا لن أنام الليل حتى تفعلي!».

سمعتهما مينا وهما تصرّان بأدبٍ مبالغ فيه على طريقة التعارف

الفارسية التقليدية، وتذكّرت أنها أحرجت داريا قبل بضع سنوات في تجمّعٍ عائلي حين سألتها المضيفةُ إذا كانت ترغب بقطعة من الكعك، فأجابت بنعم على الفور.

- «لا تقبلي أي شيء عند السؤال الأول أبداً»، همست داريا في أذن مينا بعد أن سحبتها جانباً. «انتظري».

نظرت إليها مينا نظرة خالية من تعبير، والكعكة الإسفنجية لا تزال تملأ خديها، وبعض الفتات على شفتيها، غير قادرة على الكلام أو المضغ أو البلع. أومأت برأسها فحسب، ثم راقبت وتعلّمت إتقان الأسلوب غير المباشر. وبمساعدة داريا، تعلّمت مينا كيفية استخدام القدر المناسب من الإصرار والرفض، ومن ضبط النفس والإطراء. وفي المرة التالية التي كانوا فيها في منزل أحدهم، تذكرت مينا فن التعارف.

- «هل ترغبين بقطعة من الكعك؟».

- «أوه، لا، شكراً لكِ. أنا متخمة. لا يمكنني أكل الكعك».

ثم سألتها المضيفة من جديد: «رجاءً، أفضّل أن أغمر رأسي بالتراب على ألّا تأكلي من كعكي».

- «أوه، لا. لا يمكنني ذلك. أنت لطيفة جداً».

- «يجب أن تتناولي الكعك. وقطعة كبيرة منه».

- «إنها كبيرة جداً. أنت تحرجينني!».

- «كُليها، أرجوكِ. انظري إلى نفسكِ. أنت نحيفة جداً، ثم إنك صغيرة ولا ينبغي أن تتبعي حمية غذائية».

- «بسم اللّه، لا . . .».

- «بالصحة والعافية. لعلها تغذّي روحك».

- «أطال اللّه عمركِ. شكراً لكِ».

أخذت مينا الكعكة وأكلتها ثم قُدّمت لها قطعةٌ ثانية، فبدأت جولةٌ جديدة من **التعارف**.

* * *

طُلبَ من الضيوف أن يأتوا في الساعة السابعة، فعلمت داريا أنهم سيأتون في الساعة التاسعة. فهكذا كان الأمر في مدينة الحرب، حيث كان الجميع يأتون في وقتٍ متأخر عن المعتاد. كان الاستعداد يستغرق وقتاً: وقت لترتدي النساء الرداء الإسلامي والحجاب اللذين أصبحا إلزاميين الآن، ووقت ليرتب الرجال المصابيح الكهربائية، وأجهزة الراديو التي تعمل بالبطاريات، وزجاجات المياه في المقاعد الخلفية لسياراتهم، ووقت ليتوقف الجميع وسط حركة السير ويترجّلوا من سياراتهم، وينحنوا في الخنادق بجانب الشارع إذا قرر صدّام تفجير إحدى قنابله.

وصل السيد جونسون المسكين في الساعة السابعة وست دقائق. فتحت داريا له الباب متظاهرةً بأنه كان من الصائب أن يصل في الوقت المحدد، وأن الجميع تأخروا على نحوٍ محرج وغريب. أرادت داريا أن يشعر السيد جونسون، الصديق القديم لزوجها والذي كان مراسلاً للبي بي سي، بالراحة وكأنه في بيته. وعلى الرغم من الشعارات المناهضة للأجانب التي رُسمت في شوارع طهران باللون الأحمر الدموي، لم يغادر السيد جونسون البلاد. لكن مينا سمعت ماماني تقول إنه سيغادر قريباً ويعود إلى عالم إنجلترا المنظم، فتساءلت مينا عمّا إذا كان سيتناول السمك ورقائق البطاطا في ليلته الأولى هناك. فالسيدة إيزوبيل، المعلمة الإيرانية-الأرمنية التي عيّنتها داريا لتعليم الأطفال اللغة الإنجليزية بعد المدرسة أستفاضت في الحديث عن السمك ورقائق البطاطا والشاي والفطائر الصغيرة أثناء الدرس.

قام السيد جونسون بلعق أطراف نظارته وابتسم لداريا.

لقد احتفظت ماماني بصورة ليلى، حفيدة أختها الكبرى، في حقيبتها الحمراء المجعدة، وفي حفلة سابقة، حرصت ماماني على أن يرى السيد جونسون تلك الصورة، والتي أسقطتها في حضنه على نحوٍ يُفترض أن يكون عفوياً. كانت ليلى في التاسعة عشرة من عمرها جميلة، وكان السيد جونسون ذو الشعر الأشقر المفروق من النصف والقامة الطويلة الرشيقة والذي يتحدث الفارسية بطلاقة، أعزبَ. كانت مينا جالسة في حضن ماماني بينما كانت تهمس في الهاتف: «لا تقلقي يا أختي، لقد وجدتُ شخصاً لليلى. إذا سارت الأمور على ما يرام، فسيمكنها مغادرة إيران قبل أن تبلغ العشرين من عمرها، وإكمال دراستها في إنجلترا».

* * *

أحاطت القبلات والعناق ورائحة مثبّت الشعر بالضيوف عند وصولهم. كان لمنزلهم أحد أكثر التصاميم المرغوبة في إيران ما بعد الثورة: ردهة كبيرة. فعند وصولهن، كان بإمكان النساء التوقف هنا وإزالة روبوشهنّ الثقيل وإطلاق شعرهن من حجابهنّ، وشيئاً فشيئاً تحويل أنفسهنّ إلى النساء اللواتي كنّ من قبل - النساء اللواتي كنّ قبل قوانين الثورة الجديدة. كانت الأحذية المسطحة الإجبارية التي فرضتها الدولة تُخلع وتُستبدل بكعوب عالية تُسحب من أكياسٍ بلاستيكية. وكان الشعر المجموع يُطلق ويتم تصفيفه من جديد. وكانت الفساتين الحمراء الضيّقة، والقمصان اللامعة، والتنانير القصيرة، والفساتين الطويلة ذات الأشرطة الرفيعة تظهر من تحت الروبوشات. كانت النساء يمزحن ويتذمرن من الحجاب بينما يضعن أقلام أحمر الشفاء على أفواههن ويطلين ظلال العيون فوق

أجفانهنّ. كما تقاسمْنَ عطر شانيل رقم 5 فيما بينهن والذي قمْنَ بشرائه من السوق السوداء، ورششنه بين صدورهنّ وعلى معاصمهنّ.

وهناك في الردهة، تدلّت الروبوشات المهملة في صفٍ واحدٍ، على خطاطيف خاصة كانت قد ثبتتها داريا على الجدار بعد الثورة، حيث بدت بلا لون وبلا حياة، ولا سيما الآن في غياب صاحباتها.

بعد التحية ومشروب الكوكتيل، وبعد **الدلمه** والفستق، أعلن الأب أن الوقت قد حان لقليلٍ من الموسيقى، فأسدل الستائر وتأكد من أن جميع الأبواب مقفلة، وأسدلت داريا ستائر سميكة فوق تلك الستائر كإجراءٍ احترازي إضافي، وقام أعمام مينا بتكديس الكراسي أمام باب المدخل، بحيث إذا قرر الحرس الثوري اقتحام المكان فإن ذلك الحاجز سيمنحهم جميعاً وقتاً ثميناً.

- «لا تقلقوا، هم ليسوا في هذا الحي الليلة»، قال الأب مطمئناً ضيوفه. «هناك حفل زفاف كبير في حي يوسف آباد. كلّهم في وسط المدينة، أو معظمهم على أية حال».

- «حسناً، في نهاية الأسبوع الماضي، اقتحموا حفل زفاف عائلة هوناري»، قالت الخالة فيروزه وهي تلتهم زيتونة من عود أسنان. «سمعوا موسيقى البوب واقتحموا المكان، وفرض عشرة من الحرس الثوري غرامة على المضيف، وأبقوا الضيوف في الحجز. وقالت نيلوفر المسكينة إنه لم يكن عليها أن تقيم حفلاً أبداً».

- «فيروزه جون، ها أنت سلبية من جديد»، قال زوجها، العم جعفر، الذي جلس محشوراً على كرسي بذراعين. «لا تخيفي هؤلاء الناس الطيبين. لا ينبغي للمرء أن يُصاب بالوسواس. ألا ينبغي أن تفكري قليلاً قبل أن تتفوهي بأشياء تخيف الأطفال؟».

حدّقت الخالة فيروزه به وهي تحتسي مشروبها. كانت مينا قد

شاهدتهما يتجادلان طوال حياتها. «أرحني يا اللّه من هذا الرجل ومن انتقاداته!»، تمتمت الخالة فيروزه ثم توجهت إلى المطبخ فيما واصل العم جعفر حديثه دون أن يوجهه إلى أحدٍ على وجه الخصوص. «هل سمعتم عن فيكتور فرانكل؟ هل قرأتم كتبه؟ هو خبير بقوة التفكير الإيجابي». سعل ثم فرك عينيه وتابع: «وهناك امرأة أمريكية أيضاً اسمها غلوريا غينور، غنت أغنية راقت لي كثيراً، اسمها "سوف أحيا". هل سمعتموها؟».

أومأ بعض الرجال برؤوسهم بأدب وتظاهروا بالاهتمام كون العم جعفر يكبرهم سناً، فيما ابتسم ضيوف آخرون ونظروا إلى أسفل، وعندها أعطتْ داريا مينا صينيةً فضية مليئة بزباديّ من المكسّرات المشكلة، فهرولتْ مينا في جميع أنحاء الغرفة موازنةً الصينية في يديها.

- «هل ترغبْن ببعض المكسرات؟»، سألت الخالاتِ العجائز اللواتي جلسْنَ مع ماماني على الأريكة.

- «أوه لا، شكراً لكِ، سلمت يداكِ».

- «خذْنَ بعض المكسرات، رجاءً»، أصرّت مينا.

- «لا، لا»، رفضت السّيدات بأدب.

- «حباً باللّه، خذن المكسرات»، قالت مينا.

- «حسناً، حسناً إذاً، ربما واحدة فقط»، قالت ماماني ثم أخذت بعض المكسرات من الوعاء.

- «بالصحة والعافية. لعلها تغذّي روحك»، قالت مينا وهي تحني رأسها.

لطالما قالت داريا ذلك قبل أن يأكل الناس.

- «شكراً لك، يا روحي»، قالت ماماني.

وتابعت مينا جولتها من حول الغرفة.

* * *

عند الساعة التاسعة، وصلت ابنة خالتهم ليلى مع والدها البروفيسور أغاسي ووالدتها الدكتورة أغاسي. كانت ليلى طويلةً ونحيفة وترتدي بنطال جينز أزرق غامقاً وبلوزة بيضاء، وكانت المرأةَ الإيرانية الوحيدة التي عرفتها مينا والتي لا ترتدي ملابسَ فاخرة كما لو كانت ذاهبة إلى الأوبرا كلما حضرت حفلةً عائلية في منزل أحدهم. هي لم تضع أي مكياج، لكنها بدت مع ذلك أجمل من الآخريات، بعينيها الكبيرتين الداكنتين وشعرها الأسود الطويل الذي يتمايل دائماً ويؤطّر بشرتها الفاتحة. احتضنت ليلى مينا وسط الضحك والهتافات العالية التي استُقبل بها وصول عائلتها.

- «**تولدت مبارك**، عيد ميلاد سعيداً».

كانت ليلى الشخص الوحيد الذي تذكّر المناسبة الحقيقية لهذه الحفلة. فقد تراكمت الهدايا عالياً في غرفة المعيشة، إلا أنّ ضيوفاً قلائل فقط تمنوا لها عيد ميلاد سعيداً.

- «كيف تسير الأمور؟»، سألت ليلى.

- «إنها تسير. لقد تجادلت الخالة فيروزه والعم جعفر كالعادة، وأصرّ بابا على تشغيل الموسيقى، وأعدّت أمي أطباقي المفضّلة، وماماني تريدك أن تتزوجي من السيد جونسون».

لم تبدُ ليلى متفاجئة من أيٍّ من ذلك.

- «هيا»، قالت وهي تمسك بيد مينا، «لقد اشتريتُ لكِ كتاباً، باللغة الإنجليزية».

كانت ليلى تتحدث الإنجليزية بطلاقة وتقوم بتعليم الأطفال في

منازلهم، وكانت داريا دائماً ما تشجع مينا على تعزيز دروس السيدة إيزوبيل من خلال التحدث باللغة الإنجليزية مع ليلى، إذ كانت تقول: «من أجلِ مستقبلك، يا مينا جون. ستكون لغة العالم يوماً». وهكذا، كل يوم أربعاء بعد المدرسة، كانت داريا تأخذ مينا وهومان وكايفون إلى دروس السيدة إيزوبيل، وقد أضافت حصةً يوم الاثنين بعد ابتداء الحرب، وبعدما سمعت من شقيق زوجها الذي يسكن الآن في شيكاغو أنّ عدم معرفته باللغة الإنجليزية جعله يشعر وكأنه أعمى.

ذهبت مينا وليلى إلى غرفة النوم، وتصفّحتا الكتاب: كان كتاباً من سلسلة ميشيل. وكانت ميشيل هذه تعيش في مكانٍ اسمه بورتلاند بولاية أوريغون. كانت لديها صديقة مقربة تُدعى ساندي، وكانت تتعلم كيفية مجالسة الأطفال. أحبّت كلٌّ من ساندي وميشيل صبياً يُدعى بريت، لكن بريت أحبّ المشجعة الرياضية مارسيا. وكانت مارسيا تبتسم على غلاف الكتاب، ممسكةً بكراتٍ ريشية وردية اللون، وكانت ترفع ساقيها العاريتين في الهواء.

- «هل بإمكان مكتبة اللغة الإنجليزية بيع ذلك؟»، سألت مينا وقد اتسعت عيناها عند رؤية ساقَي مارسيا العاريتين.

- «لقد قام بائعو الكتب بتلوين ساقَي مارسيا بالقلم الأسود الآن»، قالت ليلى، «لكني اشتريتُ هذا الكتاب قبل ذلك».

لم يكن هناك حاجة لأن تقول قبل ماذا، فقد انقسم عالمهم إلى قبل وبعد. قبل الثورة. قبل القوانين الجديدة. قبل أن تنقلب الأمور رأساً على عقب.

- «لقد تكبدتِ العناء، شكراً لكِ»، قالت مينا.

قرأت ليلى بصوتٍ عالٍ خطّة ميشيل وساندي لمنع بريت من

اصطحاب ماريا إلى حفلة المدرسة. جلست مينا على سريرها وحاولت متابعة مشاكلهم، لكنها لم تستطع منع نفسها من القلق بخصوص حرس الثورة. فإذا اقتحموا المكان واعتقلوا والديها بسبب حفلتها، فسيكون هذا خطأها.

- «العشاء جاهز!»، قالت داريا وقد ظهرت في الغرفة فجأة.

* * *

ملأ الضيوف أطباقهم بالأرز و**الغورمه سبزي**، والأرز بالبرباريس، وسكبوا صلصة داريا بالجوز والرمان فوق الأرز بالزعفران، وشربوا ما أحضره الأب من مشروبات، وأصرّوا على أنّ كلّ شيء كان ألذ ما تناولوه على الإطلاق. وهذه المرة، عرفت مينا أنّ الأمر لم يكن مجرد **تعارف**، فطبخُ والدتها كان رائعاً حقاً. قطّعتْ مينا بعض خبز **النان** الطازج وغمسته في اللبن بالخيار والنعناع.

- «إلى الشيف، إلى السيدة الجميلة على رأس الطاولة»، قال الأب رافعاً كأسه.

احمرّ وجه داريا خجلاً وقالت:

- «بالصحة والعافية، لعله يغذي روحكم».

- «إلى السيدة رضائي!».

- «شكراً، رضائي خانم!».

- «سلمت يداك!».

- «نتمنى لكَ العمر الطويل!».

أشرق وجه داريا ولمعت عيناها.

- «أسأل اللّه أن يحفظنا من الحرس الثوري، ومن الجواسيس

مكتبة
t.me/soramnqraa

البريطانيين!»، قالت الخالة فيروزه، فيما كاد العم جعفر يختنق بورقة عنب محشوة.

* * *

رتّبت صُغرى البقلاوة على شكل معيّنات صغيرة على أطباق زفاف داريا وتأكدت من نثر خيوط الزعفران على المثلجات بنكهة ماء الورد، ثم سكبت الشاي الداكن في أكوابٍ صغيرة على شكل ساعة رملية. أسندت مينا رأسها بين يديها على طاولة الطعام واستنشقت بخار الشاي. حتى الساعة، سارت الأمور على ما يرام: فلا حرس ثوري ولا صدّام. وربما يمكنهم أن يفتحوا الهدايا حين ينتهون من الحلوى.

مضغت الخالة فيروزه البقلاوة، ونظرت جانباً إلى السيد جونسون. ففي وقتٍ سابقٍ في المطبخ، سمعت مينا الخالة فيروزه تقول لداريا: «إنه عميلٌ للبريطانيين. هم لديهم يد في كل شيء خلف الكواليس، ألا تعلمين ذلك؟ تماماً كما حدث حين ساعدوا وكالة المخابرات المركزية الأمريكية على الإطاحة بحكومتنا الديمقراطية الوحيدة عام 1953. هم يتمنون رؤية هذا البلد مدمراً، حتى يتمكنوا من الحصول على نفطنا، فهذا ما يريدونه!». لوحت بقطعة خيار في وجه داريا وهي تقول ذلك، لكن داريا أبعدت الخيار ونظرية الخالة فيروزه.

– «ما هذه الأشياء التي تقولينها، يا خالة! السيد جونسون صديقنا!».

كان السيد جونسون منهمكاً في محادثةٍ مع ماماني فلم يلاحظ نظرات الخالة فيروزه. تظاهرت ماماني بأنها تشمّ رائحة شيءٍ ما في يديها المصابتين بالتهاب المفاصل وسمعتها مينا تقول «foody good»

بالإنجليزية. فهل كانت ماماني تحاول التعبير عن الكمون؟ عن الهال؟ عن بتلات الورد؟ أومأ السيد جونسون برأسه ثم تظاهر بشم رائحة توابل غير مرئية في يده ببهجة مبالغ فيها ورفع حاجبيه.

ورغم هذا الدرس الرائع في التمثيل الصامت، شعرت مينا برغبة ملحّة في الوصول إلى الهدايا قبل أن يتأخر الوقت. شدّت بلوزة داريا. كانت تتحدث مع والدة ليلى بصوتٍ ناعم، حيث كان رأساهما متقاربين وذراعاهما متلامستين.

- «المسؤولون الجدد»، قالت والدة ليلى، «يريدون إصدار قانون يمنع طبيبات الأسنان من علاج الرجال. لن يمكنني علاج الرجال والنظر في أفواههم. لماذا؟ لأنهم اعتبروا ذلك فجأةً عملاً منافياً للدين، فهم يقولون إنه قرب كبير بين الجنسين. ماذا، هل يعتقدون أن نزيف اللثث والأسنان يثيرني؟».

- «إنهم مرضى»، قالت داريا، «كل شيء يتعلق بالجنس بالنسبة إليهم. علينا التستّر حتى لا يُثاروا هم. ففي زمن الشاه، كنّا نرتدي التنانير القصيرة ورؤوسنا مكشوفة، ولم يكن الجميع مهووساً بالجنس».

- «لا»، قالت أم ليلى، «لكن عليكِ أن تعترفي، يا داريا، أن عامنا الأخير في الجامعة...»، ضحكت ثم تابعت حديثها: «هل تتذكرين تلك الرحلات مع بهزاد وبهرام؟».

انفجرت داريا ووالدة ليلى بالضحك فوق أطباقهما من المثلجات وصرختا بشكلٍ مضحك. لاحظت مينا التجاعيد الصغيرة التي تشكلت حول أعينهما وهما تضغطان عليها من كثرة الضحك، وشعرت فجأة بغضبٍ لا يُفسَّر. لقد ارتدت داريا ووالدة ليلى التنانير القصيرة في الجامعة في عهد الشاه وتنزهتا في الجبال مع الفتيان.

فبالنسبة إليها، كان كل هذا محرماً، إذ كانت نبوءةُ داريا قد تحققت، فبعد نقاشٍ طويل داخل الحكومة ورغم احتجاجات النساء وبعض الرجال، أصبح الحجاب إلزامياً بموجب القانون. لن تشعر مينا أبداً بالشمس على ساقيها من جديد، ولن تجلس أبداً بجوار صبي في الفصل كما فعلت أمها، ولن يعرف شعرها ملمس الريح أو أشعة الشمس أبداً.

استأذنت مينا وذهبت إلى الحمّام. كانت بحاجة للهروب من الجدالات السياسية وضحكة أمها الصاخبة. أغلقت الباب وصعدت على حافة الحوض وفتحت النافذة الصغيرة، فغمرها هواء الليل البارد، وقد فاحت منه رائحة الياسمين والغبار. كان بإمكانها سماع موسيقى والدها الذي شغّل أغنيةً لغوغوش، أكثر المغنيات الإيرانيات شعبيةً، والتي تمّ حظرها الآن باعتبارها صوتاً للخطيئة.

راحت مينا تتلفّظ بالكلمات، ثم سمعت ضجيجاً. اعتقدت في البداية أنه حادث سير، لكنها أدركت بعد ذلك أنه انفجار. بالطبع. ومن النافذة المفتوحة رأت سماء الليل تتلوّن بنيرانٍ برتقالية وصفراء. إنه صدّام.

* * *

عندما عادت مينا، كانت داريا تنظّف أطباق الحلوى ولا تزال تتحدث مع والدة ليلى. وكانت الخالة فيروزه تجلس إلى الطاولة وتنظف أسنانها بقطعة ورق مطوية. واستندت ليلى إلى الحائط وهي تتحدث مع السيد جونسون الذي كان يعض على أطراف نظارته، ثم قال شيئاً أضحك ليلى. وفي وسط الغرفة، تدرّب هومان وكايفون على حركات الكاراتيه، ووقف والدها أمام مشغّل الكاسيت وهو يتجادل مع العم جعفر الذي ظلّ يُظهر له شريطاً مكتوباً عليه الكلمات

الإنجليزية «I Will Survive» بالخط العريض، وقد قال العم جعفر شيئاً عن رسالته الباعثة على الفرح.

- «لا، دعنا نشغّل ''Dancing Queen''»، قال الأب وهو يحمل شريطاً لفرقة ABBA الذي اشتراه من السوق السوداء، ثم أشار إلى مينا وقال: «أترى؟ الملكة الراقصة».

قام أخوا مينا بسحبها إلى مجموعة من الأشخاص الذين بدأوا يرقصون في وسط الغرفة، إلا أن صفارات الإنذار سوف تنطلق بعد ثوانٍ قليلة في جميع أنحاء المدينة لتنبيه المواطنين إلى سقوط القنابل في الخارج، فسيتعين عليهم ترك كل شيء، والاصطفاف في طابور، والذهاب إلى الطابق السفلي بحثاً عن مأوى. وسيُرجأ فتح الهدايا إلى وقتٍ لاحق، وبعد ذلك بوقتٍ طويل.

لكن في الوقت الحالي، تمايلت مينا مع الضيوف، ورقصت على أنغام الموسيقى المحظورة، وألقت رأسها إلى الوراء، وأشارت بإصبعها في الهواء وتحركت بسلاسة مع المجموعة. لقد فازت أغنية العم جعفر، فقد غنّى بعض الضيوف معه أغنية «سوف أحيا». ومن الجهة الأخرى من الغرفة، ألقت مينا نظرة على أمها التي كانت تتمايل وتضع يديها على خصرها، وتشكل خلفها قطارٌ من الضيوف الراقصين. ومع انطلاق صفارة الإنذار من مكبرات الصوت المصطفة على طول الشارع، والذي طغى صوتُها على صوت الموسيقى، انضمت مينا وأخواها إلى الطابور، والتحق والد مينا بآخر الصف، وتبعوا جميعاً داريا، لاهثين من رقصهم الديسكو، وهي ترشدهم بعناية إلى الطابق السفلي.

الفصل الثامن عشر

الساعة 11:17 صباحاً

في صباح اليوم التالي، اتصلت ماماني لتعرب عن مدى سعادتها لأن حفلة مينا سارت على ما يُرام. لم يُصب أحد أو يُقتل أو يُعتقل. طلبت من مينا أن تخبر داريا أنها ستأتي عند الظهيرة لتساعد في التنظيف، لكنها ستتوقف أولاً عند بائع الخضار والفواكه في وسط المدينة، والذي لديه أفضل أنواع الرمان، لتحضر بعضاً منه لصغيرتها مينا جون - انتظري لحظة، اجعلي ذلك لكبيرتها مينا جون البالغة من العمر عشر سنوات! وتذكرت مينا أن تستخدم أسلوب **التعارف** بحيث قالت أشياء مثل: «أوه، لا، يا ماماني، لا تذهبي إلى هناك من أجلي فقط، سوف تتعبين نفسك، فالطريق طويل...»،

لكن ماماني أصرّت، واستسلمت مينا بسرعة قائلة: «حسناً، شكراً لكِ، ماماني جون».

* * *

أخبر الأب داريا في اليوم التالي أنّ أشلاء الجسم تعود لماماني

بكل تأكيد، فقد تعرّف على ملابسها. وأظهر هومان مقالاً في الجريدة يُشير إلى أن القنبلة أُلقيتْ في الساعة 17 : 11 صباحاً، وهو وقت جريء لإلقاء القنابل، حتى بالنسبة إلى صدّام. تركت داريا أرز ذلك اليوم غير مغسول وغير مطبوخ، كما أنها لم تنقع شيئاً في الزعفران. بكى هومان وكايفون لأسابيع وتوقّفا عن ممارسة الكاراتيه. ارتدوا جميعاً اللون الأسود لمدة أربعين يوماً. نظرت مينا حولها فرأت أن شخصاً ما، ألا وهو صدّام، وجد طريقة لإغلاق الحياة تماماً. شيء ما جلب حزناً لا يُطاق. أدركت أن هذا الشيء هو الحرب. تعهدت بأن توقف كل الحروب عندما تكبر. بأن تحرص على ألّا تنشب حربٌ أخرى مع إيران أبداً. فلطالما عرفت أنّ الحرب تجلب الأسى والدمار. إلّا أنها لم تكن تعرف قدر هذا الأسى والدمار.

الفصل التاسع عشر

قطعت ذيولها بسكين نحت

«خبز، وجبن، ومعجون أعشاب! صدّام، لِمَ أنت خائف؟ إيران لن تؤذيك بشدة! فهي تلهو لتصيبك بالجنون فحسب!».

التصقت الأيدي المتعرّقة للفتيات الأخريات بيدَي مينا بعد المرّة السابعة التي غنّين فيها هذه الأغنية، التي سرعان ما أصبحت مُرهقة ولم تعد ممتعة كجزء من الاستراحة. في هذا الوقت المتأخر من الصباح، كانت الشمس ذات صبغة برتقالية-صفراء، وقد أحرقت أشعتها حجاب مينا. أرادت أن تحرر يدها حتى تتمكن من حكّ عينيها، لكنّ الفتيات الأخريات أمسكْنَ بأصابعها بإحكام بينما كنّ يَسرْنَ في دائرة ويُغنّين تلك الأغنية للمّرة الثامنة. صوّتت مينا لصالح لعبة الحجلة، لكن بيتا بأسلوبها المتسلّط المعتاد، أصرّت على أن يغنّين أغنية صدّام اليوم، كتعويذةٍ لاتّقاء شروره. وكيف كان لمينا أن ترفض وقد أسقط صدّام قبل بضعة أسابيع فحسب قنبلةً على كشك

بائع الخضار والفواكه وجعل من جدّتها ضحية جديدة أضيفت إلى الإحصائيات المفجعة. كانت مينا قد خطت من حول الأطحلة والقلوب المسطّحة على الطريق الفوضوي في أحلامها عشرات المرات، وهي تحاول التعرف على أشلاء جدتها. كان من الواضح أن صدّام لم يفكر ولو للحظة فيما سيحدث لجسد جدتها عندما أسقط القنبلة. شدت مينا قبضتها على يد بيتا.

بعد الاستراحة كان درس الدين، وعندما دخلت السيدة أميري الغرفة، نهضت مينا على قدميها هي والفتيات الأخريات، إذ مجرد النظر إلى ذقن السيدة أميري المبقع بالبثور وشفتيها المزمومتين جعل مينا تتمنى لو أنها بعيدة عن المدرسة وفي مطبخ والدتها تحتسي الشاي المحلّى. كتبت السيدة أميري كلماتٍ على السبورة، وحاولت مينا نسخ الكلمات في دفترها بشكلٍ متقن، لكنها وجدت نفسها بدلاً من ذلك ترسم مراراً وتكراراً ألواح كشك البقال المائلة حيث كانت جدتها تتسوق. وفجأة أصبحت السيدة أميري خلفها، وضربت السيدة أميري مرفق مينا فسقطت دواة الحبر وتدفق الحبر على الدفتر.

- «في المرة القادمة، قبل أن ترسمي، فكري قليلاً في العواقب»، قالت السيدة أميري.

اخترقت البقعُ السوداء الملاحظاتِ التي دوّنتها مينا على مدى نصف سنة.

ابتعدت السيدة أميري عن حبر مينا المتقطّر، وقالت: «ولا تعيشي كثيراً في عالم أحلام اليقظة، بل انتبهي إلى هذا العالم».

حاولت مينا مسح الحبر المسكوب بمنديلها، لكنه لم يكن كافياً لتنشيف كل تلك الفوضى، فانحنت بيتا وأعطتها منديلها، وشيئاً فشيئاً وطوال الحصة الدراسية، أخذت الفتيات يمرّرن مناديلهنّ من

تحت الطاولات إلى مينا، على أمل مساعدتها في مسح ذلك السواد، وسرعان ما ظهرت كومة من المناديل المطرّزة المجعّدة في حضن مينا، والتي كانت عبارة عن قطعٍ صغيرة من القماش قامت الجدّات بتطريزها وتوقيعها بالأحرف الأولى، وبكرزات وورود صغيرة أطلّت من الزوايا. أما منديل مينا الذي كانت قد طرزت عليه ماماني ليمونتين صغيرتين، فأصبح الآن مبللاً بالكامل بالحبر الأسود. رفعت مينا ذراعها وتنحنحت قائلة:

- «عفواً خانم، هل يمكنني الاستئذان للذهاب إلى الحمّام؟».

ودون أن تستدير عن اللوح، أومأت السيدة أميري برأسها نحو الباب.

وبمنديلها المكوّر بإحكامٍ في يدها، نهضت مينا وكانت حريصة على عدم بعثرة كومة مناديلِ الفتيات الأخريات الموجودة تحت طاولتها، فهي لم تستخدمها لأنها لم تُرِد تلطيخها، وغادرت بأسرع ما استطاعت دون أن تبدو وقحة، فقبل بضعة أسابيع أخبرتهن السيدة أميري أن الفتيات اللواتي يمشيْن بسرعة يكنّ فاجرات.

في الحمّام، غسلت مينا منديلها في الحوض ودعكته بقوّة، وانهمرت دموعها كما هي الحال دائماً هذه الأيام، من تلقاء نفسها، كما لو أن مخزوناً لانهائياً كان مخزّناً بداخلها. فركت مينا منديلها تحت الصنبور وعصرته، ثم فركته بالمزيد من القطع المكسورة من الصابون، لكن المنديل بقي رمادي اللون، فعصرته مينا وطوته على شكل مثلث، ثم وضعته في الجيب الأمامي لروبوشها، حيث أطلّت الليمونتان في الأعلى. رنّ صوت السيدة أميري في رأس مينا: «الفتاة المحتشمة لا تفعل شيئاً لجذب الانتباه إلى نفسها»، فدسّت بقيّة المنديل في جيبها وعادت إلى حجرة الدراسة.

عندما فتحت الباب، نظرت إليها بيتا بقلق، لكن مينا أومأت برأسها لتخبرها أنها بخير. كانت الأغنية من فترة الاستراحة تتردد الآن في رأس مينا وقد اختلطت مع أغاني الأطفال الإنجليزية التي تعلمتها في دروس السيدة إيزوبيل.

- «في هذا العالم، يا فتياتي العزيزات، يوجد الشر ويوجد الخير، وواجبكن هو أن تتبعن طريق الخير»، قالت السيدة أميري وهي تفتش في حقيبتها السوداء، لتخرج منها زجاجة مملوءة بسائل بنّي. تعرفت مينا على الرجل الصغير الذي يرتدي القبعة العالية وهو يقفز بفرح على الملصق، ممسكاً بعكاز في يده: جوني ووكر بلاك. فقد تم تداول زجاجات مثل هذه في حفلات والديها، وبعد الثورة مباشرة، أفرغ والداها معظم تلك الزجاجات في المرحاض، ثم دفنا الزجاجات الفارغة تحت الشجيرات في الفناء.

- «ماذا أحمل؟»، سألت السيدة أميري.

وهنا تململت الفتيات في مقاعدهنّ، وقد بدت آثار التعرف على بعض الوجوه، سرعان ما غطّتها نظرات بريئة.

- «مَن تعرف الجواب؟».

خيم الصمت على المكان.

- «خانم، هل تسمحين لي؟ إنها زجاجة ويسكي»، بادرت بيتا بالقول فجأة.

ولدى سماع مينا ذلك، انقبض قلبها، فلطالما كانت بيتا تقول ما يخطر في بالها، فتقع في المشاكل.

- «وكيف عرفتِ ذلك؟»، سألتها السيدة أميري برفق.

أحرقت الشمس في الخارج الإسمنت حيث كن يقفن منذ فترة قصيرة، والتي بدت لمينا وكأنها دهر. حاولت أن تفكر في البقدونس

المفروم والحساء الذي ستعدّه والدتها للعشاء، وحاولت أن تركز على نحلة صغيرة تحلّق بالقرب من حافة النافذة، وحاولت أن تتذكّر المزيد من الأغاني الإنجليزية للأطفال مثل «ثلاث فئران عمياء».

قطعت ذيولها بسكين نحت.

- «كيف عرفتِ ذلك؟»، سألت السيدة أميري مجدداً.

- «أعرفه فحسب»، قالت بيتا ثم أمالت رأسها بعدما أدركت خطأها. «أعرفه. . .»، قالت ثم نظرت حولها، «أعرفه من الكتب».

- «من الكتب؟ لا تكذبي، فالكاذب عدو اللّه. هل توجد زجاجة كهذه في منزلكِ، ربما؟».

- «خانم، أعرف. أنا. . . أتذكر». بدا وكأن بيتا ستشرح الأمر بحيث تُخرج نفسها من هذه الورطة، فاستعدت مينا والفتيات الأخريات لتنفس الصعداء، ولكن بيتا جلست بشكلٍ مستقيم وشامخ، وقالت: «لقد شربتُ من إحداها منذ بضعة أيام فقط»، ثم حدّقت في السيدة أميري بعينيها السوداوين اللامعتين.

تجمدت السيدة أميري، ثم ظهرت ابتسامة ساخرة على شفتيها.

- «هل تعتقدين أنكِ ذكية؟ هل تعتقدين أن هذه الجرأة سوف تخدمكِ؟ من الواضح أن عائلتك معتادة على وسائل الخطيئة»، قالت ثم ضربت بالزجاجة على طاولتها وهسهست: «إلى مكتب الناظرة. الآن!».

أصدر كرسي بيتا صريراً حين نهضت لتغادر، كما أصدر روبوشها صوت صفير خافتاً وهو يقطع الهواء وهي تعبر الغرفة، حيث جلست الفتيات الأخريات ساكنات وقد بدا عليهن القلق.

في اليوم التالي، سمعت مينا من بعض الفتيات أن الحرس الثوري قد طرق باب منزل بيتا عند الساعة السابعة صباحاً، وتم

القبض على والدها واقتيدَ إلى مكاتب اللجنة، كميته. لقد دفع غرامة، لا أحد يعرف قيمتها، وأُدرج اسمه في سجلات المناهضين للثورة. لم يردُّ أحدٌ على الهاتف حين اتصلت مينا بمنزل بيتا، وبيتا لم تذهب إلى المدرسة طوال الأسبوع، إلا أنها عادت بعد عطلة الجمعة مع هالات سوداء تحت عينيها. وحين اقتربت مينا منها، لاحظت طبقةً من ملمّع الشّفاه الوردي على شفتيها، فتوسلت إلى بيتا كي تمسحه قبل وصول السيدة أميري، لكن بيتا نظرت إلى مينا بعينيها السوداوين اللامعتين وقالت: «أنا لست خائفة، فالشيء الوحيد الذي أخشاه هو اللّه، وخمّني ماذا، يا مينا؟ اللّه ليس أصولياً». ثم أخذت بيتا بيد مينا وشبكت خنصرها بخنصر مينا، وتابعت: «لا يمكنهم حظر السعادة، أليس كذلك يا مينا؟ لا يمكنهم أن يخنقوها داخلنا». ثم غمزت وقالت: «نحن لسنا من النوع الذي يُمكن خنقه».

فكرت مينا في ماماني وهي تختنق تحت حطام القنبلة وقالت: «لا، لسنا كذلك».

- «سنكون أحراراً. سترين. قد تكون حفلة عيد ميلادكِ القادمة في الهواء الطلق، في الحديقة، وسنرقص، في الخارج».

وهنا تجرأت مينا على التفكير في حفلة عيد ميلادها الحادي عشر، في عام 1982. من دون ماماني. ولكنْ في إيران حرة، ربما. ثم ضغطت على خنصر بيتا بقوة، وحاولت حتى أن تغمز بعينها. لن ينهاروا. لن يفشلوا.

الفصل العشرون

باربي تبقى في طهران

سحبت مينا شادورها إلى أسفل لتغطي أكبر قدرٍ ممكن من وجهها. جلس أخواها بجانبها، منكمشين في المقعد الخلفي لسيارة الأجرة. كانت مصابيح الشوارع العابرة تكشف بأضوائها بين الحين والآخر الأشخاص الذين كانوا خارجاً في منتصف الليل، فلمحت مينا زوجين، امرأة ترتدي شادوراً داكناً وشاباً نحيلاً يتمشيان وهما يتناولان شطائر المثلجات. كما كانت بعض القطط تجوب الشوارع بعيون واسعة. أغمضت مينا عينيها وتلت صلاتها.

لم يُرتّبوا أسرّتهم. لم يرفعوا الغلاّية عن الموقد، ولم يأخذوا الكثير من الأمتعة. لم يودّعوا معظم أقاربهم، واثقين من أن الأخبار ستنتشر فور خروجهم بأمان. في اللحظة الأخيرة، ألقت مينا في حقيبتها علبة أقلام التلوين وأقلام التحديد من العام الماضي. والآن وهي مجتمعة مع داريا ووأخويها في سيارة الأجرة المُسرعة، بدأت تتذكر كل الأشياء التي لم تُحضرها معها. ثياب داخلية. هل كان

لديهم ما يكفي من الثياب الداخلية؟ كان بإمكانها رؤية والدها يضغط على دواسة وقود وهمية وهو يجلس بجوار سائق التاكسي في مقعد الراكب الأمامي. كان سائق التاكسي، علي، يفرقع علكته، وكانت الموسيقى التي شغلها دينية، وهي واجهة جيدة. ففي حال انحنى الحراس وطرحوا عليهم الأسئلة، فقد يتمكن علي من مساعدتهم.

- «نحن ذاهبون إلى أمريكا»، قال والدها على طاولة الإفطار بعد أشهرٍ قليلة من وفاة ماماني. كل أسبوع، كان يُرسَل المزيد من الشبان إلى الجبهة للقتال. وحين أعلَن الأب قراره، رأت مينا في وجهه أن القرار قد تمّ بين والديها منذ فترة، وقد تمّ الاتفاق على التفاصيل. فحين قالت داريا بشكلٍ قاطع إن ابنيها لن يموتا وهما يقتلان جيرانهما العراقيين الأبرياء، وحين قال والدها إنه لن يقبل أن يتم إسكات ابنته وخنقها، كانا قد وضعا خطتهما معاً. وعلى طاولة الإفطار حيث تناولوا الشاي المحلى والخبز المدهون بمربى الكرز الحامض الذي صنعته ماماني في الصيف، كان الأولاد قد أُبلغوا بالقرار فحسب. ومنذ ذلك الحين، كان كلُّ عملٍ يتسم بالسرية والسرعة، وتعزز شعورهم بضرورة إتقان تمثيلية حياتهم كما لو أنهم ليسوا مغادرين.

في المطار، ألقى علي حقائبهم على الرصيف. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بنصف ساعة، وكان موعد رحلتهم في الخامسة صباحاً. كانوا بحاجة إلى الوقت لعبور جميع نقاط التفتيش الرسمية. صافح علي يد الأب وأحنى رأسه لداريا. ونظر إلى هومان وكايفون مطولاً.

- «برين، برين زود. اذهبا، اذهبا بسرعة. ففي غضون أشهرٍ قليلة، سيأمرونكم بقتل العراقيين»، قال لهما.

انحنى هومان وكايفون لحمل الحقائب. نظرت مينا إلى أذرع أخويها وأرجلهما الطويلة، ولم تستطع تخيل جسديهما جاثمين في الخنادق بالقرب من الحدود، جاهزين للقتل.

داخل المطار، تمّ فصل داريا ومينا عن الأب والصبيين، فتوجّهت داريا ومينا إلى قسم النساء. ظلت مينا تتأكد من أن حجابها مشدود بإحكام، حرصاً منها على ألّا تجد السلطات أي خطأ في حجابها، فلا تكون هي السبب في منعهم من الصعود إلى الطائرة. طُلِبَ منهما أن تُفْرغا حقائبهما، وتمّ فحص كل غرضٍ وتفتيشه بعناية من قبل موظفات الجمارك الثلاث المرتديات الشادور.

- «لا يُسمح لأي شيء ذي قيمة أن يغادر هذا البلد»، قالت إحدى النساء وهي تنظر إلى داريا ومينا من أعلى إلى أسفل بازدراء.

فتّشتهما امرأة أخرى تفتيشاً جسدياً من الرأس إلى أخمص القدمين وهي تضغط وتربّت عليهما. طُرحت الأسئلة حول سبب ذهابهما إلى أمريكا (كان الجواب هو العلاج الطبي، بحيث تمكن الأب من خلق حالة طبية عاجلة بمساعدة زملائه الموجودين في نيويورك)، وحول الوقت الذي كانتا ستمكثان فيه هناك (فكان الجواب تسعة أشهر)، وماذا تأخذان معكما، إنْ وُجِد، من مجوهرات، ومال، وسجّاد فارسي، وفستق، وذهب. سقطت دميةُ باربي من حقيبة مينا، فرفعت موظفة الجمارك الباربي ونظرت إليها على مسافة ذراع، والتوى وجهها في تعبير ساخر.

- «لماذا تحتاجين إلى هذه؟»، سألت مينا.

- «هل تذكرين كيف كانت لديكِ دُمى عندما كنتِ صغيرة؟»، قالت داريا بسرعة وقد شعرت باليأس.

ابتسمت الموظفة لداريا وقد علا وجهَها تعبيرٌ متعب، ثم قالت:

- «لا، يا خانم، لا أذكر ذلك. فأنا لم أمتلك دُمية واحدة في حياتي. أنتم الأغنياء من امتلكتم الدمى. أنتم الطبقة الغنية المدللة من امتلكتم كل شيء في هذا البلد. وانظري إليكم الآن كيف تهرعون مثل الصراصير الخائفة».

تصلّب جسد داريا. استعدت مينا لخفق الوريد في جبينها ولخطبةٍ طويلة من أمها. ولكن بدلاً من ذلك، نظرت داريا إلى قدميها فحسب، بينما كانت موظفة الجمارك تُعيد أغراضهما إلى الحقيبة. ثم تم استدعاء امرأة ثالثة لإلقاء نظرة على أوراقهما، وبدت الدقائق القليلة التي قضتها في تصفح جوازَي سفرهما وكأنها دهر. حركت المرأة رأسها نحو صالة الخروج وسلّمت داريا بطاقتَي الصعود إلى الطائرة. توقعت مينا المزيد من المقاومة، والمزيد من المعاناة، حتى أنها توقعت من الموظفات ألّا يسمحن لهما بالمغادرة.

سارتا بسرعة لتلتحقا بالأب وبهومان وكايفون. أدركت مينا أنها لم تُعِد الباربي إلى الحقيبة. لقد أصرّت مسؤولة الجمارك على فحص الدمية، فلوت ذراعيها وطقطقت ركبتيها. وحين استدارت مينا لتنظر إلى محطة التفتيش حيث النساء المرتديات الشادور يفتشن أمتعة أمٍّ أخرى وابنتِها وقد بدا التوتر عليهما، لمحت مينا ذراعَي وساقَي الباربي المفككة في كومة أنيقة بجوار صورة آية اللّه.

* * *

وهم على متن الطائرة قبل أن تقلع، نظرت مينا من النافذة إلى مدرّج طهران مرةً أخيرة. لقد وعدهم الأب بأنهم سيعودون قريباً جداً، فور انتهاء هذا «الجنون» وعودة بلادهم إلى طبيعتها من جديد. انقبض قلب مينا فجأةً وقد انتابتها حالة من الذعر. تهيأ لها أن

عشرات الوجوه احتشدت على نافذة الطائرة البيضوية الصغيرة، فرأت ابنة خالتهم ليلى والخالة نيكي ورضا ومريم، كما رأت أنف الخالة فيروزه وشارب العم جعفر الكبير مضغوطين على الزجاج، وكانت هناك صُغرى أيضاً، تمسح وجهها بمنديل. كما رأت مينا أيضاً في مخيلتها آغا جان. رأته جالساً وحيداً إلى طاولة المطبخ والجريدة في يده، منحنياً فوق وعاءٍ فارغ. وفي تلك اللحظة، رأت مينا حتى السيدة أميري وهي تنظر إليها بشيءٍ من الحسد من خلف طاولتها في المدرسة. وأخيراً، رأت بيتا تسير نحو قاعة الاحتجاز وتستدير لتنظر إلى مينا مرةً أخيرة. بيتا بشفتيها اللامعتين وعينيها السوداوين المتحديتين. لم تشعر مينا بالراحة التي توقعتها فور وصولهم بأمانٍ على متن الطائرة، بل انتابها بدلاً من ذلك شعورٌ غريب: شعورٌ خانق بالذنب.

- «لم نودّع أحبابنا»، قالت مينا وهم يستعدون للإقلاع.

- «سوف نعود»، وعدتها داريا، «كل هذا مؤقت فحسب».

أغمضت مينا عينيها ورأت منزلهم وأبوابه مفتوحة على مصاريعها، والنوافذ المورَوبة التي تهب فيها الرياح، وأشجار الليمون التي زرعتها داريا في الحديقة، والورود في الفناء، وبرطمانات أوراق الشاي وسلال الفاكهة على رفوف المطبخ.

التفتت مينا لتنظر إلى أمها. كانت عينا داريا نصف مغمضتين وفمها بالكاد يتحرك. لكن مينا عرفت الكلمات التي همست بها أمها، وقد ذُهلت لرؤية أمها تصلّي، فهي لم تسمع أمها قط تتلو الدعاء والآيات القرآنية التي لطالما ابتعدت عنها. وخطر لمينا أن داريا عندما تصلي، فهي تشبه ماماني أكثر. أما الأب، فقد جلسَ في الجهة المقابلة من الممر، وبدت نظراته خالية من التعبير. وشدّ

هومان على شفته العليا بعصبية، وللحظة، غطّى كايفون رأسه بيديه، ثم رفع عينيه فرأى مينا تراقبه، فتمكّن من رسم ابتسامة على وجهه، ونطق بكلمة «حرية» فيما كانت الطائرة ترتفع في الجو، وشكّل حرف «V» بأصابعه المرتجفة دلالةً على النصر.

راحت الطائرة ترتفع شيئاً فشيئاً. أسندت مينا رأسها إلى الخلف واستمعت إلى ضجيج الأصوات والضوضاء البيضاء، وجاء صوت الطيار المكتوم عبر مكبرات الصوت. كان بإمكان مينا شمّ رائحة عطر شخصٍ غريب. تمسكت بيد داريا وهم يطيرون في الظلام.

الفصل الواحد والعشرون

الهبوط في الأضواء

في مكانٍ ما بين إيران وأمريكا، قامت النساء اللواتي على متن الطائرة بخلع أحجبتهنّ وفكّ أزرار روبوشهن. وقبل وصولهنّ إلى نيويورك، ظهرت علبٌ صغيرة من حقائبهنّ، ووُضِعَتْ إسفنجات البودرة على البشرات المتعبة، ومُدَّ الماسكارا على الرموش السوداء الكثيفة، وضُغطت من أنابيب صغيرة المواد الملمّعة على الشفاه.

قضت داريا معظم الرحلة بالطائرة وهي تفكر. تعجبت من نوم مينا بعمقٍ بجانبها. وشعرت مجدداً بالإحساس الغامر بالمسؤولية الذي اعتادت عليه منذ ولادة طفلها الأول: المعرفة الصادمة بأن المكان الذي سيذهب إليه أطفالها يرجع إلى حدٍّ كبير إلى حيث تقودهم هي كأمٍّ. وقد شعرت في بعض الأحيان بأن هذا الإحساس بالواجب قد يُغرقها.

لقد أخبرها بارفيز بقراره في وقتٍ مبكر من ذلك الصباح، قبل أن يأتي الأولاد إلى المطبخ لتناول الإفطار. كانت داريا تصبّ الماء

المغلي في إبريق الشاي، وتفكّر في كلٍّ ما علّمتها إيّاه أمها بخصوص تخمير الأشياء على النحو الصحيح، وعندما رأت التعبير على وجه بارفيز، أرادت أن تتوقف عن الصبّ، لكن لم يكن بإمكانها ذلك. وقبل حتى أن يتكلم، كانت تعلم أن لديه أخباراً مهمة، فقد كان يتحدث عن المغادرة منذ بعض الوقت.

- «أمريكا. . .»، بادر بالقول.

- «يمكننا أن نحاول»، قالت أخيراً. شعرت بنفسها وكأنها تغرق، فلكي يعيشوا على نحوٍ طبيعي، كان عليهم مغادرة منزلهم. أرادت داريا أن تصرخ بأعلى صوتها.

تحدّث بارفيز عن المدارس والتعليم في أمريكا، وكل ما كان بوسع داريا فعله هو التحديق في زجاجة سائل غسيل الأطباق الموضوعة في حوض المطبخ. كان السائل الأخضر يتلألأ في ضوء الشمس المتدفق عبر النافذة. كانت الزجاجة نصف ممتلئة. ناقش بارفيز مستقبل هومان وإمكانية أن يصبح طبيباً. لاحظت داريا وجود بعض الفقاعات تطفو داخل زجاجة سائل غسيل الأطباق في الأعلى. انتقل بارفيز إلى كايفون، وناقش موهبته في التعامل مع الناس. «متى سينتهي السائل؟»، فكرت داريا في سرها. تحدث بارفيز عن أعمية عدم إهدار هكذا موهبة. هل سيُستهلك سائل غسيل الأطباق حتى النفاذ قبل مغادرتهم؟ كم عدد أحواض الأواني التي ستغسلها بما تبقى من السائل؟ كم عدد الأسابيع المتبقية لهم؟

- «ومينا»، تابع بارفيز، «فكري في روحها، وفي شادي، سعادتها. ستعيش حياة ملونة. أما هنا، فقد تمّ استنزافها إلى اللونين الأسود والأبيض. . .».

سيدوم سائل غسيل الأطباق لفترة أطول من إقامتهم في إيران،

أدركت داريا. فقد حسبت ذهنياً عدد أحواض الأواني التي سيغسلها السائل المتبقي، وكان أكبر من عدد الأحواض التي قدّرت أنها ستتسخ قبل أن يرحلوا. لقد حلّت مسألة الرياضيات. وكان من المذهل التفكير بأن بقايا سائل غسيل الأطباق ستبقى في إيران لفترة أطول مما ستفعله هي.

كانت الطائرة تحلّق في فضاء الليل الآن. مَن يدري ما إذا كان الأمر صائباً أم خاطئاً؟ لقد اقتلعوا حياتهم، وأطفالهم. كانت قد حفظت عن ظهر قلب خطاب بارفيز عن الحرية والإمكانية والمستقبل. لكنها كانت تأخذهم بعيداً عن أمان العائلة الموسّعة، تنتشلهم من الحياة والعالم اللذين عرفوهما، لتسقطهم في مكانٍ آخر. فحتى لو أصبح بلدهم مجنوناً، فهو بلدهم. لكن ما الذي كانوا يعرفونه عن هذا المكان الجديد، عن أرض فناجين الشاي كما أحبّت مينا أن تسمّيها؟ رأت داريا فناجين شاي تدور أمام عينيها، فأسندت رأسها على وسادة الطائرة الصغيرة وحاولت أن تنام. تمنت لو كان بإمكانها صف جميع أقاربها، صفّهم واحداً تلو الآخر، والوقوف أمام كل واحد منهم لبضع دقائق فحسب، وإخبارهم أنها لا تريد الرحيل، وأن من غير الصواب أن ترحل هي وأن يبقوا هم، وأنها لو استطاعت لقفزت في السماء والتقطت بيدها كل قنبلة أسقطها صدّام عليهم فلن تصل إليهم ولن يموت الأشخاص الذين أحبتهم والذين شاركتهم أيامها.

ودعت في ذهنها كل واحد من أقاربها، وصُغرى، وحسن بائع الخضار والفواكه أيضاً. ولكن عندما فتحت عينيها، ظلّت الحقيقة قائمة. لم تكن هناك أمٌّ. فحتى في ذلك الخيال، لم تستطع الوقوف أمام هيئة أمها وتوديعها. أمسكت داريا يد مينا النائمة بجوارها. ليس

ثمة وداعٌ للأم أبداً. الساعة الحادية عشرة وسبع عشرة دقيقة صباحاً. بائع الخضار والفواكه. رمان. قنبلة. تنهدت داريا روجهت انتباهها إلى ابنتها ووجهها الهادئ البريء. الأمهات لا يمتن.

* * *

- «مرحباً بكِ في أمريكا»، همست داريا.

وضعت مينا يدها على رأسها وهي في حالة ارتباك. نظرت إلى والدها الذي كان يملأ استمارات الجمارك والهجرة. أمسك الاستمارات بإحكام، حريصاً على ألّا يجعد الورق أو يثنيه، وموليا عناية كبيرة لهذه البيانات الصغيرة التي حملت مفتاحاً لمستقبلهم.

- «انظري، يا مينا»، قالت داريا وهي تشير إلى النافذة مع بدأ هبوط الطائرة، «انظري إلى كل الأضواء».

نظرت مينا خارج النافذة، فرأت ما يشبه قطعة قماش مخملية مرصّعة بأحجار كريمة من الفضة والذهب في ثناياها. المدينة الجديدة. ظنّت أنها رأت هيكلاً قد يكون تمثال الحرية الذي أراها إياه كايفون في الكتب، إلّا أنها لم تكن متأكدة. لكن ما كانت تعرفه على وجه اليقين هو أنها رأت عدداً لا يُحصى من الأضواء في كل مكانٍ، أضواء لا نهاية لها، أصبحت أكثر وضوحاً كلّما اقتربوا من الأرض الأمريكية.

- «يمكنهم إبقاء أضوائهم مضاءة في الليل هنا»، تمتمت مينا بتعجب.

- «يمكنهم إبقاء أضوائهم مضاءة وقتما يريدون»، قالت داريا.

مع هبوط الطائرة، ملأ مينا حماسٌ لا يُفسَّر، بل وشعرت بالدوار، وعندما ضغطت جبهتها على زجاج النافذة ونظرت إلى الأضواء بالأسفل، شعرت كما لو أنه بإمكانها الانحناء وابتلاع هذا

العالم. وللحظة وجيزة، شعرت كما لو أنها يمكنها الحصول على أي شيء رغبت فيه، أي شيء على الإطلاق. أرادت القفز من المقعد والركض، الركض إلى أي مكانٍ بسرعة، لا يهم أين، لكنها أرادت أن تتحرك، أن تصرخ، أن تعلن للجميع أنها تحب تلك الأضواء. أرادت أن تلتقطها واحداً تلو لآخر وتضعها في شعرها الحر وتضغطها على جسدها، وتضعها على لسانها برفقٍ ثم تذوّبها في داخلها ببطء، إلى أن تصبح نيويورك بأكملها هناك، تمنحها الدفء والنور وتصبح جزءاً منها، إلى أن تُخزَّن أضواء تلك المدينة بأمانٍ داخلها بحيث لا يمكن لأحدٍ أن يأخذها منها. أن تتمتع بتلك الحرية بداخلها وتجعلها تشرق من عينيها لبقية حياتها، وإلى الأبد.

أنزلوا حقائبهم وانتظروا في الطابور للخروج من الطائرة حيث سعال الناس. الهمهمة، والفواق، والعطس. هل ستبدو جميعها مختلفة الآن؟ أبعدت مينا خصلة من شعرها عن وجهها ونظرت إلى الأمام. كانت داريا تقف أمامها مباشرة، وظهرها يُعيق رؤية مينا. أحكمت مينا قبضتها على حقيبتها وشعرت بقلبها ينبض. كانوا على وشك دخول الأضواء. لو استطاعت رسم تلك الأضواء، لفعلت. ولو استطاعت رسمها لبقية حياتها، لفعلت.

الفصل الثاني والعشرون

علبة حمراء قرمزية

- «يستغرق الأمر أربعة فصول ليشعر المرء وكأنه في وطنه في بلدٍ جديد»، قال الأب، «هذه هي القاعدة. عند مرور الفصول الأربعة، ستكونون أحراراً في منزلكم الجديد». كانوا قد وصلوا إلى أمريكا وسط الثلوج. استأجروا غرفة في فندق صغير في مانهاتن باستخدام مدخرات البلد القديم. استندت داريا إلى القضبان الحديدية للمصعد ذي البوابة الثقيلة فيما كانت مينا وكايفون يرقصان في طريقهما لأعلى ولأسفل، متظاهرين بأنهما شخصيات من فيلم قديم لجولي أندروز كانا قد شاهداه في طهران.

في غرفتهم بالفندق، كانت الأزرار على جهاز التحكم الخاص بالتلفزيون تتيح الوصول إلى عدد لا يُصدّق من القنوات. ثلاث عشرة محطة تلفزيونية! لم تكن مينا تعلم أبداً بوجود هذا العدد من محطات التلفزيون.

في الشارع خارج الفندق الذي يقيمون فيه، كانت الأكشاك

الصغيرة مليئةً بالصحف والمجلات، وبصفوفٍ تلو الأخرى من الحلوى الوردية والخضراء والبرتقالية. . . ساروا في الثلج واشتروا جريدة محاولين مواكبة الطاقة النشيطة للمدينة. وضع والد مينا دائرة حول الإعلانات في الجريدة، وجلس قرب الهاتف، واتصل بالمغتربين الإيرانيين القليلين الذين يعرفهم. تحدّث إلى زملاء سابقين، وأساتذة، وعلماء - إلى أناسٍ غادروا قبلهم وكان أحد أصدقاء بارفيز وداريا القدامى في الجامعة، وهو الآن أستاذ الكيمياء في جامعة نيويورك، قد قدّم لهما أهم معلومة: أفضل عشر مناطق تعليمية.

كان الهدف الأول هو مدرسة جيدة. مدرسة جيدة بما يكفي، في حي بأسعار معقولة. «ما يهم هو المدرسة، حين نحصل على المدرسة، سنحصل على حينا»، ردّد الأب، فأومأت مينا برأسها، إذ كانت تعلم أن المدرسة هي المفتاح لمستقبلها ومستقبل أخويها في الحرية. كان هناك شعور متزايد في أحشاء مينا بأنهم سيبقون في أمريكا لأكثر من عامٍ أو عامين فقط، رغم ما قاله والدها. شعرت مينا وأخواها بالامتنانٍ الآن لجرّ داريا لهم إلى دروس السيدة إيزوبيل في اللغة الإنجليزية في طهران.

في الأسابيع القليلة الأولى من إقامتهم في نيويورك، لم تكن هناك أيامٌ مشمسة. وفي صباح أحد الأيام، استيقظت مينا على دفءٍ يغمر وجهها، إذ تسللت أشعةٌ بلون المشمش من نافذة الفندق إلى عينيها مباشرة، فجلست ثم نهضت من السرير وهرعت إلى النافذة، حيث أضاءت أشعةُ الشمس الثلجَ المُذاب في الشارع. حتى الآن، كان عليهم ارتداء القبعات في الخارج، قبعات صوفية اشتروها من الرجل الباكستاني الذي يبيع القبعات والقفازات

والمظلات السوداء الصغيرة من طاولته الخشبية في شارع ليكسينغتون. ولكن اليوم كان مشرقاً، وأكثر دفئاً على نحوٍ واضح. وبينما كان هومان وكايفون يشخران، والأب يحلم بأحلامه الفارسية، أيقظت مينا داريا وأشارت إلى الشمس، ففهمت داريا. كان الجو دافئاً بما يكفي للخروج دون أن تضعا شيئاً على رأسيهما، فارتدتا ملابسهما في دقائق معدودة.

داخل المصعد المتداعي، نقرت مينا بقدميها، وخرجت من الفندق وهي تركض تقريباً، وداريا خفها. لقد شعرتا بدفء الشمس على فروة رأسيهما من جديد، فضحكتا عندما غمرت أشعتها شعرهما، وتدلت ربطة شعر مينا السميكة بلونها الأسود اللامع على ظهرها، وهي تمسك بيد داريا وتسيران معاً في شارع ليكسينغتون. لاحظت مينا أن شعر داريا الداكن بدا كلون الشاي في الضوء. لا بد أنهما بدتا عاديتين للآخرين، أمٌّ وابنتها تتجولان في الشارع. لكنَّ أحداً لم يكن يعرف فرحتهما. فهل كانت الحرية لحظات صغيرة كهذه؟ أن تعلم ببساطة أن لا أحد يكترث لانعكاس الشمس على شعركِ؟

مرّت حافلاتٌ صاخبة وتجاوزتهما، ملطخة سيقانهما بالطين، لكنهما لم تكترثا. كانت رائحة المكسرات المحروقة والدخان تنتشر في الهواء، وكان هناك رجلٌ بدا وكأنه من وسط طهران، يبيع الفول السوداني بالأكياس في كشكٍ قريب. تطايرت خصلات شعر النساء في الريح، وكانت هناك امرأة شابة عابسة ترتدي بدلة رمادية وحذاءً رياضياً، وتحمل حقيبة في يدٍ وفنجان قهوة ورقيّ في اليد الأخرى. بدت نافدة الصبر ومتوترة وهي تنتظر لعبور الشارع. كادت مينا تشدّ بدلة تلك الشابة. «**هيه، اسمعي، الأمر ليس بهذا السوء. لا تكوني**

مستاءة. فبإمكانكِ أن تفعلي ما تريدين، وأن ترتدي ما تريدين! هل تعرفين كم هذا رائع؟».

تغيرت اللافتة مِن «لا تمشِ» إلى «امشِ»، فركضت المرأة، وانسكبت القهوة من فنجانها الورقي، ما جعلها تشتم. راقبت مينا المرأةَ وهي تنزل الشارع بسرعة منتعلةً حذاءً رياضياً. لا بد أنه كان لديها عمل لتقوم به، ومكان لتتواجد فيه، فالجميع هنا مشغولون للغاية.

ألقت الشمس أطيافاً سوداء على الرصيف، فغطت القطع المسطحة من العلكة المرمية على الأرض. طقطقت السياراتُ ونفثت الدخان في الشارع، وتوقفت أكثر مما تحركت. استنشقت رئتا مينا وداريا أبخرة عوادم السيارات، فيما تطايرت القمامة حول أقدامهما.

- «هل تعتقدين أنهم سعداء هنا؟»، سألت مينا داريا فجأة. أرادت أن تسمع نعم كجوابٍ لسؤالها، فسيكون الأمر رائعاً لو أنهم كانوا قد هبطوا في أرض السعداء.

- «سعداء؟»، كررت داريا كما لو أن الأمر ليس ذا أهمية. «حسناً، لا أحد سعيد في كل مكان. أعني، ليس الجميع سعداء في بلدٍ ما، فالأمر لا يسير على هذا النحو».

- «أوه!»، قالت مينا وهي تشعر بشيءٍ من خيبة الأمل.

- «قد يكونون سعداء وهم لا يدركون ذلك. فهكذا تكون الأمور أحياناً».

- «ربما لهذا السبب نكون سعداء، لأننا لا نفكر حتى في ذلك».

- «كلام معقول»، تمتمت داريا. «مع أنّ السعادة في رأيي

ليست الهدف في لحياة. سعادة، سعادة، سعادة! من يحتاج إلى السعادة؟ إنهم مهتمِون جداً بالسعادة في أمريكاكِ».

منذ اليوم الأول لوصولهم إلى نيويورك، أشارت داريا إلى الولايات المتحدة الأمريكية باسم «أمريكاك» عندما تحدثت إلى مينا وهومان وكايفون، وحتى الأب، وكأنها لهم لكن ليست لها.

دخلت داريا مكاناً يُدعى وولوورث، فتبعتها مينا. جالت داريا في ممر العناية بالشعر لبضع دقائق، ثم التقطت علبةً من الصبغة الحمراء القرمزية. وعندما عادتا إلى غرفتهم في الفندق، حبست داريا نفسها في الحمام لمدة خمسٍ وثلاثين دقيقة. وحين خرجت أخيراً، كان شعرها مبللاً وأحمر اللون. كان هومان وكايفون ومينا مُرتبكين، لكن داريا هزّت شعرها الأحمر الجديد، وصفّق الأب وهتف، ثم دخل ونظّف جدران الحمام بعد ذلك. كانت الألوان التي بقيت من ذلك الشتاء الأول هي بياض الثلج في الصباح الباكر، والطين الرمادي الذي تحوّل إليه سريعاً، والأحمر على جدران الحمام و - ذكرى أبدية - اللون القرمزي الداكن لتلك الرمانات التي تراقصت في رأس مينا، تلك التي ذهبت جدّتها لتشتريها لها عندما سقطت القنبلة. إلّا أن اللون الأحمر الصارخ لشعر داريا هو ما هيمن على كل الألوان الجديدة، إذْ كان تحدّياً غير مألوف صرخَ بصمتٍ في بداية حياتهم الأمريكية.

الفصل الثالث والعشرون

بيتزا مع ديف

«صباح الخير، يا مينا!».

هكذا رحّب زملاء مينا الجدد بها. لقد قامت السيدة كروبنيك بإملاء هذه الكلمات عليهم، فردّدها زملاؤها الجدد في الفصل الدراسي للصف الخامس. وقفت مينا في مقدمة الغرفة في يومها الأول، وقد شعرت على نحوٍ غريب بأنها عارية في بنطالها الجينز وسترتها التي حاكتها ماماني. كانت السيدة كروبنيك طويلة ونحيفة وذات وجه أسمر متجعد، وكانت عيناها الزرقاوان مزينتين بقلم كحلٍ أخضر، فاعتقدت مينا للحظة أن السيدة كروبنيك قد لطّخت وجهها بقلم تلوين. جمعت الماسكارا السوداءُ رموشها معاً، كما حدّد قلمٌ أحمر شفتيها، وكانت رائحة الفصل الدراسي بأكمله تفوح منه رائحة عطر الحمضيات للسيدة كروبنيك.

- «حسناً، اجلسي، يا عزيزتي»، قالت السيدة كروبنيك.

رفعت مينا رأسها. كان يراقبها ما يقرب من ثلاثين زوجاً من

العيون. جلس الفتيان والفتيات خلف طاولات خشبية مستقلة، وكانوا يرتدون الجينز والأحذية الرياضية والقمصان والسترات. كان لون شعرهم بنياً، وأسود، وأشقر، وأحمر. غطّت ملصقاتُ أشجارِ التفاح وحيواناتِ حديقة الحيوانات الجدران. التفتت مينا لتنظر إلى السيدة كروبنيك، فرأت خلفها عَلماً أمريكياً ضخماً معلقاً من أعلى الجدار إلى أسفله.

- «هناك، يا عزيزتي، إلى جانب ميشيل»، قالت السيدة كروبنيك وهي تشير لها إلى المقعد الفارغ الوحيد.

مشت مينا تحت أعين الأطفال الآخرين وكأنها تتحرك بالعرض البطيء، تتصبب عرقاً وقلبها ينبض بشدة، ثم جلست في المقعد المخصص لها وهي هشة ومتعرقة، فيما حاولت أن تبدو واثقة وعفوية.

رنّت نغمات موسيقية صغيرة، ثم جاء صوتٌ من مكبر صوتٍ في مكانٍ ما، فنهض الفتية والفتيات على أقدامهم كما لو أنّ موجة لا تُقاوم قد دفعتهم إلى ذلك. بقيت مينا ساكنة للحظة، ثم نهضت هي أيضاً. وضع زملاؤها أيديهم اليمنى على صدورهم ووقفوا بمواجهة العلم، ثم سمعتهم مينا ينشدون: «**أتعهد بالولاء لعلم الولايات المتحدة الأمريكية، وللجمهورية التي يمثلها، أمة واحدة في ظلّ الرب، تتمتع بالحرية والعدالة للجميع**».

وعندما انتهت الأنشودة، اندفع الجميع في الغناء. غنّوا عن العلم الأمريكي المُرصع بالنجوم، والذي كان أمام أعينهم. كانت هناك وجوه ضجرة، ووجوه شغوفة، ووجوه فخورة، ووجوه ساكنة. كانت النغمات الأخيرة للأغنية طويلة وعالية، وقد غنّت فتاةٌ ذات ضفائر شقراء بأعلى صوت، ولم تتوقف عن نغماتها العالية حتى

جلس الجميع. هذا وقد كانت الترنيمة التي غنّتها مينا وزملاؤها قبل بضعة أسابيع فقط عنوانها «الموت لأمريكا».

- «هيه، هل تريدين بعض العلكة؟»، قالت لها الفتاة التي تجلس بجانبها، تلك التي نادتها المعلمة بميشيل، وهي تحمل علبة مستطيلة صغيرة ملفوفة بورقة وردية. لمع على قميصها قرنٌ براق لوحيد القرن. لاحظت مينا حزام قوس قزح المطاط حول خصرها، وكذلك القماش المزخرف بقوس قزح والذي غطى بنطالها الجينز من الركبة إلى الأسفل.

- «إنها مُدفِئات السيقان»، قالت ميشيل وهي تداعب الصوف على ساقيها، «لقد اشترتها لي أمي من متجر مايسيز».

- «شكراً جزيلاً»، قالت مينا وقد تحدثت بأفضل وأوضح ما استطاعت باللغة الإنجليزية بينما مدّت لها ميشيل العلكة، فسجلت ملاحظة في ذهنها للبحث عن «مُدفِئات السيقان» و«متجر مايسيز» في قاموس داريا. نظرت مينا إلى العلكة بارتباك. هل كانت العلكة مسموحة هنا؟ هل كان مضغها أمام المعلمة مقبولاً؟ وماذا عن البريق اللامع على قميص ميشيل، والطريقة المستهترة التي وضع بها فتى وراءها قدميه على ظهر كرسي ميشيل؟ كان هذا تساهلاً غريباً! لم تمانع السيدة كروبنيك أيّاً من ذلك. الأقراط الأرجوانية الضخمة في أذنَي الفتاة التي تجلس في المقدمة، وعصابة الرأس ذات اللون البرتقالي الفاقع للفتاة الجالسة صفين إلى الأمام. كانت ألواناً كافية لجعل رأس مينا يدور، فهي ألوان أكثر تنوعاً من مجموعة الطلاء، ومجموعة أقلام التلوين، ومجموعة أقلام التحديد معاً.

قامت مينا بفتح غلاف العلكة، ودستها في فمها، فتدفقت فيه نكهة جديدة، حلاوة غير مألوفة، طعم مبتكر تماماً.

* * *

كانت الأضواء في محل البيتزا مبهرة. وضعت مينا يدها على جبهتها لتحمي عينيها من أضواء الفلورسنت الساطعة، ثم نظرت إلى اللوحة لتقرأ خيارات البيتزا المكتوبة وأسعارها.

«شريحة الجبن العادية: 75 سنتاً. الصقلية: 85 سنتاً». كانت الشريحة العادية هي الشريحة الرقيقة والمطاطية. لقد عرفت ذلك الآن. أما الصقلبة فكانت أسمك وأغنى. كان هومان يحب الصقلية المزوّدة بالزعتر، وكان كايفون دائماً ما يضيف الكثير من الفلفل الأحمر، فيما كانت مينا تفضل شريحة الجبن العادية. وعندما انضمت إليهم داريا، لم تطلب أية بيتزا، بل طلبت شاياً فقط: كوباً من الستايروفوم مملوءاً بالماء الدافئ وكيس شاي مُثبتاً بمشبكٍ يطفو داخل الكوب.

- «هل لي أن أحصل على شريحة الجبن؟»، قالت مينا بهدوء. كانت كثيراً ما تذهب إلى محل البيتزا بمفردها الآن لأداء واجباتها المدرسية بعد المدرسة.

تجاهلها الرجل الذي يقف خلف المنضدة. كان ذلك بعد ظهر يوم الخميس، وبدا أن أطفال المدارس المحلية جميعاً قد جاؤوا إلى محل البيتزا هذا. قهقهت الفتيات بينما كان الفتيان يضايقوهنّ. نقر رجل البيتزا بأصابعه على الطاولة معبراً عن نفاد صبره.

- «عليكِ أن ترفعي صوتك»، صرخ قائلاً.

- «هل لي أن أحصل على شريحة الجبن، من فضلك؟»، قالت مينا بصوتٍ أعلى. هل كانت لكنتها أجنبية؟ لقد اعتقدت أنها تمكنت من التخلص من معظم اللكنة الإيرانية في كلامها خلال الأشهر القليلة الماضية، إذ كانت قد أتقنت تقريباً نطق حرف الرّاء بتلك الطريقة الأمريكية المنمّقة.

مدّ لها الرجل الواقف خلف المنضدة شريحة الجبن العادية، التي تسرب منها الدهن على طبقٍ ورقي، فأعطته مينا ثلاثة أرباع مقابل ذلك وابتسامة. لا بدّ أن هذا الرجل جديد، قالت في سرها، فهو لم يكن يعلم أنها ابنة «ديف» رضائي. كان والدها يعمل هنا، وكان هو مَن يصنع البيتزا. عندما تقدم لأول مرة للحصول على هذه الوظيفة، بعد أن انتقلوا من فندقهم في مانهاتن إلى مسكنهم المستأجَر في كوينز، أخبر المالك أنّ اسمه بارفيز، فقال له المالك: «ما رأيك في أن أدعوك ديف؟»، ولطالما روى الأب هذه القصة للأولاد بمزيجٍ من التعجب وعدم التصديق. «يريدني أن أكون ديف!».

بعد أن نظمت مينا كتبها المدرسية ودفاترها على طاولةٍ بجانب الباب، فتحت كتاب التاريخ الأمريكي، وتناولت قضمةً من البيتزا فاحترق طرف لسانها من سخونتها. كان المراهقون من حولها يمزحون ويصرخون. صاح أحد الأشخاص من المطبخ مخاطباً الرجل خلف المنضدة: «ألقِ دلواً آخر في الحوض». كانت الساعة تشير إلى السادسة تقريباً، ذلك الوقت الضبابي بين النهار والليل. ولدقيقة بدا الأمر كما لو أن الشمس ستدوم وستبقى السماء زرقاء، ولكن في الدقيقة التالية، أصبح كل شيء رمادياً وبنفسجياً. وسرعان ما حلّ الليل. شعرت مينا بتيار هوائي كلما فُتح باب محل البيتزا. كانت تقرأ بصوتٍ منخفض، وتنطق الكلمات الإنجليزية التي بدت لها أسهل فأسهل مع مرور الوقت. ملأ الجبن الساخن وصلصة الطماطم خدّيها. من المؤكد أن والدها كان يعرف كيف يضيف الكمية المناسبة من صلصة الطماطم.

- «نعم، تفضّل؟». سمعت مينا صوت والدها. كان خلف منضدة البيتزا الآن. كانت مينا تراقبه من خلف كومة كتبها

المدرسية. لقد بدا هنا أقصر قامةً مما كان عليه في الوطن، وقد فَقَدَ المزيد من الشعر. عندما كان يتحدث بالإنجليزية، كان يبدو غير واثق من نفسه، وذلك على نحوٍ غير معهود. جاء صوته قوياً وصارماً بالفارسية، لكنه كان يتعثر ويتوقف بالإنجليزية، كما لو كان يحاول التقاط الكلمات الصحيحة وهي تعبر دماغه بشكلٍ عشوائي. ودائماً ما كانت يداه الآن مكسوتين بالطحين، أو ملطختين بصلصة الطماطم، أو تفوح منهما رائحة البصل. كانت الألوان مشابهة للألوان التي عمل بها سابقاً: فالعجين مثل الجلد، وصلصة الطماطم مثل الدم. الجلد والدم - لونا الطبيب اليومية.

- «هل يمكنك الإسراع؟»، صرخ مراهق يرتدي قبعة بيسبول لفريق اليانكيز في وجه والدها، ثم أضاف «من فضلك» باللغة الإسبانية وابتسم ابتسامةً عريضة كشفت عن أسنانه المقوّمة.

- «نعم. . . تفضل»، قال الأب وهو يتحرّك ذهاباً وإياباً.

ركزت مينا في كتابها المدرسي. كان ذلك الفصل يصف كيف قام الأمريكيون بثورةٍ في القرن الثامن عشر، وتساءلت مينا عما إذا كانت جميع الفتيات الأمريكيات في ذلك الوقت ند شعرن بعدم اليقين نفسه الذي شعرت به خلال الثورة في بلدها. ولكن الثورة الأمريكية بدت مختلفة. درست مينا الرسومات بالأبيض والأسود لرجالٍ ذوي شعر طويل يرتدون جوارب طويلة ويمتطون الخيول، ولنساءٍ يرتدين تنانير طويلة منتفخة وقلنسوات للرأس ويسرنَ حاملات اللافتات.

وسط طنين مصابيح الفلورسنت، وصيحات الزبائن، ورنين قطع النقود، وهدير ماكينة المشروبات الغازية، كانت مينا تدرس. وكان هومان وكايفون في المكتبة على الأرجح، يدرسان مادة الجبر

ويطالعان رواية **الحارس في حقل الشوفان**. كان هومان يتفوّق في اختباراته بمادة الجبر في هذه الأيام، واستمر كايفون في إخبار مينا أن هولدن كولفيلد كان أحد شخصيات الكتب المفضلة لديه على الإطلاق. وقد اعتادت هي وأخواها على إطلاع بعضهم بعضاً على واجباتهم المدرسية، إذ كانت الحياة الدراسية هي عزاءهم وهدفهم، والشيء الوحيد الذي كان عليهم أن يتفوقوا فيه. فضلت مينا الدراسة في محل البيتزا على الدراسة في المكتبة. فرغم الضوء الساطع والأصوات الصاخبة، كان هناك شيء مريح ومطمئِن في معرفة أنّ والدها هناك، كما أنه قام بإعداد بيتزا ممتازة بالفعل.

وهي تقرأ، كانت مينا تلعب بمفتاحٍ نحاسي على قطعة نسيج خضراء تدلى حول رقبتها. مفتاح باب المدخل لشقتهم المكونة من غرفتَي نوم. قالت داريا إن منزلهم الجديد كان بحجم غرفة صُغرى مدبِّرة المنزل في طهران. وعندما رأت السيدة كروبنيك المفتاح حول رقبة مينا، تمتمت: «واحدة أخرى من أطفال المفاتيح»، كما لو كان ذلك شيئاً مسلياً لكنه مُحزن. نصف الأطفال في صفها الخامس الجديد كانت لديهم مفاتيح حول أعناقهم حتى يتمكنوا من فتح أبواب بيوتهم في المساء بينما عمل آباؤهم في الخارج. لم تكن مينا تفتقد على نحوٍ خاص شرائح التفاح الأحمر الموضوعة بعناية على أطباقٍ صينية، وشرائح الموز والبرتقال التي أعدتها داريا لهم بعد المدرسة في ذلك البلد الآخر. فهم كانوا مدللين. مدللون مع أمٍّ معطّرة تقطّع لهم الفاكهة في فترة ما بعد الظهر، وأب يسير في ممرات المستشفى بمعطفه الأبيض وسماعته الطبية، يصغي إلى نبضات القلب ويقرأ المخططات الطبية.

كانت أمها مشغولةً الآن. وأبوها أيضاً. كانت أمريكا مكاناً

نشيطاً، حيث الناس يعملون بجدٍّ طوال الوقت، ويمدّون كل طاقتهم، ويشربون القهوة في أكوابٍ ورقية وهم يركضون إلى الحافلات بدلاً من احتساء الشاي بجانب السماور والاسترخاء على وسائد مغطاة بالسجاد. الآن وقد أصبحت هنا، أدركت أن لا وجود لفناجين شاي ضخمة يجلس فيها الناس ويضحكون، إلّا أنّ الناس كانوا يطوفون بلا نهاية رغم ذلك. بدا بلدها الآخر الآن بطيئاً وكسولاً، ولا بدّ أن أيامه احتوت على ساعات أكثر من الأيام هنا. هي لم تكن تتخيل استعادة كل ذلك الوقت.

ذهب عقل مينا إلى داريا، التي كانت تعمل في محل التنظيف الجاف على بعد بضعة مربعات سكنية فقط من محل البيتزا. كان بإمكان مينا الجلوس في الجزء الخلفي من محل التنظيف الجاف والقيام بواجباتها المدرسية هناك، حيث غالباً ما كان أطفال المالك يقومون بواجباتهم المدرسية. لكن الرائحة المنبعثة من الماء المشبع بالبخار والمعلّقة في الهواء حالت دون ذلك، وكذلك رنين آلات الكي وصوت المالكة وزوجها وهما يتشاجران، وحمالات الملابس التي تتحرك طوال الوقت. والإضاءة. المصباح الكهربائي الوحيد فوق ماكينة الخياطة الخاصة بداريا، وعلب الإضاءة البيضاء المتدلية من السقف. كانت عينا مينا تتألمان لدى التفكير في الأمر. كانت تفضل الروائح والأصوات والأضواء لمحل البيتزا، لأنه رغم صعوبة رؤية والدها يُؤمر من قِبل مراهقين، كان أصعب على مينا رؤية أمها منحنية فوق ماكينة الخياطة، إذ لم يكن من المفترض بداريا أن تنحني. أمها ذات الوقفة الشامخة والتي لطالما رفعت رأسها عالياً، الشخصية التي بدت وكأنها موصولة بالسماء بخيط غير مرئي، الذكية والعملية، التي ارتدت الأزياء الراقية، الأم الأنيقة من التلال

الشمالية، «مدام الدكتور» كما كان يُطلق على زوجات الأطباء في البلد القديم. تخيط الملابس الآن لسيدات كوينز البدينات ذوات الشعر الأزرق، تجلس القرفصاء عند كواحل السيدات العجائز والدبابيس بين شفتيها، وتتوازن على ردفيها لتقيس حواف سراويلهن.

تناولت مينا بيتزا والدها، وبدأت تحفظ عن ظهر قلب إنجازات الآباء المؤسسين.

* * *

عند خروج مينا من محل البيتزا بعد ساعةٍ، هبّ نسيمٌ بارد رفع شعرها ولفّ الخصلات حول وجهها مثل المروحة. كان إحساساً مُمتعاً ومبهجاً. فمَن يصدق أنها اعتقدت قبل بضعة أشهر فقط أن الريح قد لا يرفع شعرها مجدداً أبداً؟!

سارت مينا بسرعة في الشارع، فقد كان عليها أن تعود إلى المنزل. في محل البيتزا، أومأ والدها لها برأسه ورفع حاجبيه نحو الباب وهو يتلقى طلب أحد الزبائن: كانت هذه إشارته إلى أنه ينبغي أن تعود قبل أن يتأخر الوقت. خطت مينا بخطوات ثابتة منتعلة حذاءها الرياضي الأمريكي الجديد. ستكون في المنزل في غضون عشرين دقيقة، في الوقت المناسب لإعداد المائدة. كان كايفون في المنزل على الأرجح، يغسل الأرز، فيما كان هومان يحمّر اللحم، بحيث تُنجَز الخطوات الأساسية للخوريش، وكل ما يتبقى لداريا أن تفعله عندما تعود هو إعداد الخضار وإضافة التوابل. رفعت مينا ياقة سترتها إلى فمها وحافظت على وتيرة سريعة. كانت بعض المتاجر قد أغلقت أبوابها، لكن أنوارها كانت لا تزال مضاءة وساطعة في الليل. مرّت مينا بمانيكانات أزياء مضاءة، لديها حلماتٌ كبيرة

الحجم تبرز تحت البلوزات المخططة وقمصان البحارة. يا للتفاصيل التي يبتدعها الأمريكيون! فاحت رائحة النقانق والبسطرمة من محل البقالة على الطراز الأوروبي وهي تمر به. وبالقرب من متجر المأكولات الجاهزة، كان محل وانغ للتنظيف الجاف. دفنت مينا وجهها في ياقتها المقلوبة واستمرت في المشي. لم تكن ترغب في النظر وهي تمر بالمكان، إلا أنها، وفي اللحظة الأخيرة، رفعت نظرها.

ها هي ذي أمها، مضاءة خلف الزجاج، منحنية فوق ماكينة الخياطة، ولافتةُ محل «وانغ للتنظيف الجاف» تومض فوق رأسها بالنيون الأزرق. مرّرت داريا بنطالاً بني اللون تحت إبرة آلتها، واستعانت بمقصٍّ كبير موضوع إلى جانبها. كان شعرها مربوطاً على شكل كعكة أنيقة وعيناها مركزتين وثابتتين. لقد قصت بإتقان، وقامت بالقياسات بدقة. بدت وكأنها من نوع النساء اللواتي يُعهد إليهن بفساتين الحفلات أو بالتطريز المتقن على فساتين الزفاف.

وهي تعبر شارع كوينز بوليفارد، تساءلت مينا للحظة عمّا إذا كانت فتاةٌ جديدة من بلدٍ آخر مُصابٍ بصدمة تحوم في طائرة فوق الولايات المتحدة للمرة الأولى، سترى ملايين الأضواء التي أذهلت مينا عندما هبطت لأول مرة في الولايات المتحدة. وعما إذا كانت تلك الفتاة الجديدة ستستطيع أن ترى من طائرتها وسط كل تلك الأضواء الساطعة، وميضَ مطعم البيتزا «بي أند كيز» حيث تحرّك والدها ذهاباً وإياباً، ولافتةَ «وانغ للتنظيف الجاف» حيث جلست داريا وعملت على ماكينة الخياطة، وضوءَ مصابيح الشوارع التي استحثت تحتها مينا خطاها، عائدة إلى منزلها.

الفصل الرابع والعشرون

أزهار صفراء وأخبار تلفزيونية

جلب الربيع في كوينز أزهاراً أرجوانية متفتّحة، وصبغات من اللونين الوردي والأبيض على أشجارٍ كانت عارية سابقاً، كما جلب أزهاراً صغيرة صفراء كست أغطية محركات السيارات، وتسللت إلى شقوق عربات الأطفال، واستقرت في شعر مينا الأسود.

سارت مينا إلى المدرسة ومعدتها ممتلئة من طعام داريا، التي أتقنت فن تسوّق الطعام في كوينز: البطيخ من البقّال الكوري، والجوز المطحون من السيدة الأوكرانية، والبقلاوة والكركم والشاي من المتجر الإيراني.

كان المتجر الإيراني في ريجو بارك صغيراً، وفاحت منه رائحة الوطن. كان أصحابُه من عائلة حاكيميان، وهم يهود إيرانيون انتقلوا إلى أمريكا بعد الثورة مباشرةً. كُتب على اللافتة المعلقة في الخارج «أطعمة فارسية فاخرة» بالإنجليزية، فيما كُتب على لافتة أصغر حجماً بالفارسية «متجر إيراني»، فسرعان ما أدرك كلٌّ من مينا

وأخويها أنّ كلمة «إيران» كلمة سيئة في أمريكا، مرتبطة بالإرهابيين، والملالي، واحتجاز الرهائن.

- «قُل "فارسي" فحسب، وسهِّل الأمر على نفسك»، قال كايفون مقدماً النصيحة، «فالناس تربط كلمة "فارسي" بأشياء جيدة مثل السجاد الفاخر والقطط السمينة».

- «قطط سمينة ولطيفة»، قال هومان.

- «قطط؟»، قال الأب ونظر إلى أعلى وهو يتدرّب على تقطيع الطماطم، وقد بدا على وشك الانفجار. «هِرَرة؟ من المفترض أن تُذكِّر كلمةُ "فارسي" الناسَ بالإمبراطورية التي امتدت من أحد جانبَي الشرق إلى الآخر، الإمبراطورية التي وضعت معياراً عالمياً جديداً، وساهمت بشكلٍ هائل في علم الفلك، والعلوم، والرياضيات، والأدب، وكان لديها قائدٌ، "كورش الكبير"، كانت لديه الشجاعة لتحرير الشعب اليهودي وإعلان حقوق الإنسان! تلك الإمبراطورية! لا يمكن أن نكون قصيري النظر عندما ننظر إلى التاريخ، فالتاريخ طويل!». كان الأب يصرخ الآن، وقد واصل تقطيع الطماطم. «قطط؟! هل هذا ما انتهينا إليه؟».

* * *

في ذلك الأسبوع، كانت السيدة كروبنيك قد خصصت لكل طالب في الفصل ولايةً ليدرسها بالتفصيل. وكانت مينا قد حصلت على ولاية «نيو مكسيكو»، فحفظت الزهرة الرسمية لنيو مكسيكو وألوان علمها وتفاصيل عن جغرافيتها، كما تعلّمت مكان جميع الولايات على خريطة الفصل الذي لم يكن يحوي خريطة للعالم، بل خريطة الولايات المتحدة فقط. وحين ذكرت مينا المكان الذي أتت منه، نظر معظم زملائها في الفصل بنظرات خالية من أي تعبير.

صبيٌّ واحد فقط عرف ذلك المكانَ.

- «أنتِ من ذلك المكان الذي احتجز الرهائن!»، قال جوليان كرابر وقد اتسعت عيناه الزرقاوان المنمشتان. «عندي عِلْمٌ بذلك!»، أضاف ثم نفض قلمه.

احترقت مينا خجلاً وغضباً عندما أثار جوليان أزمة الرهائن، فهي قصة تمنت لو أنها تختفي، إلا أنّ جوليان كان يستمر في إزعاجها حتى تُعطيه ما يُريد.

- «هيه، مينا، هل أطعمتِ جملكِ هذا الصباح؟»، سألها جوليان باستهزاء. «هل غسل والدُكِ قطعةَ القماش على رأسه؟».

وهكذا، كانت معظم وجبات داريا منزلية الصنع التي تُرسَل في صندوق غداء مينا تُسلَّم لجوليان، فقط ليكف عن ثرثرته.

وفي أحد أيام الربيع المزهر باللون الأصفر، سمحت السيدة كروبنيك لطلاب الفصل أن يتناولوا الغداء في الملعب لأن الجوَّ كان لطيفاً جداً في الخارج، فجلست مينا على مقعدٍ تحت شجرةٍ ضخمة وأخرجت صندوق غدائها المصنوع من القصدير والمطلي بالمينا، ولكن قبل أن تتمكن من تناول قضمة واحدة من الكتلت، ظهر ظلٌّ على الأرض بالقرب منها، فعرفت أنه جوليان كرابر حتى دون أن تنظر.

- «ماذا صنعتْ ماما اليوم؟ أعطيني إياها»، قال وهو يلوّح بيده قرب وجه مينا.

حاولت مينا أن تتجاهله.

- «قلتُ لكِ أعطيني إياها!».

كانت داريا قد وقفت في المطبخ في الليلة السابقة، تقلي الكتلت بعد نوبة عملها في محل التنظيف الجاف، وتذكّرت مينا

كيف استندت أمها إلى المنضدة بعد أن انتهت، وكان وجهها شاحباً ومنهكاً.

- «إنها ليست لكَ»، قالت بأفضل لكنة.

- «عُذراً، يا محتجزة الرهائن، هل سمعتكِ بشكلٍ صحيح؟».

- «قلتُ إنها ليست لكَ».

- «اسمعي، أيتها الإي-را-نية، هل تريدينني أن أُذكّر الجميع ببلد الملالي مرّة أخرى؟»: قال جوليان وقد بقيت يده أمام وجهها. «أنتِ تعلمين أنني سأفعل. نصف هؤلاء الأولاد أغبياء لدرجة أنهم لا يعرفون حتى أنّ لدينا إرهابية في صفّنا الآن. سأخبرهم جميعاً عن بلدكِ المتخلّف، وكيف أنه احتجز رهائنَ أمريكيين لمدة 444 يوماً».

- «تفضل وأخبرهم»، قالت له وبدأ جسدها يترنّح، لكن قلبها ينبض أسرع فأسرع.

خفض جوليان يده وتوجّه نحو بقية التلاميذ، جاهزاً لإطلاق العنان لخطبةٍ من الإهانات الموجهة لمينا حتى يسمع الجميع.

لكن قبل أن يتمكن جوليان من التفوه بكلمةٍ واحدة، وقفت مينا وهي تحمل شطيرة الكتلت في يدٍ ومشروب اللبن دوغ الذي أعدته داريا في اليد الأخرى.

- «أنا لم أحتجزهم، هل فهمت؟»، صرخت وقد تدفق الأدرينالين في جسدها. «لم أكن أنا، ولم يكن كل الإيرانيين مَن فعلوا. لذا اصمت وتعلّم بعض التاريخ!».

خيّم الصمتُ على الملعب، وتجمّد جوليان كرابر. شعرت مينا بالنظرات تخترق جسدها مثلما تخرم إبرةُ الخياطة الملابسَ التي خاطتها داريا.

احمرّ وجه جوليان كرابر وسار نحوها. اقترب منها كثيراً بحيث

إنها تمكنت من رؤية كل نمشة في عينيه الزرقاوين اللامعتين. فاحت من أنفاسه رائحة الحليب والصودا. أمسك ذقنها بأصابع دافئة وقذرة.

- «سوف تندمين»، همس لها.

فكّرت مينا في بيتا، وكيف أنها دافعت عن نفسها دائماً مهما حدث، وكيف أنها لم تسمح للسيدة أميري أو لأي أحدٍ بالتغلّب عليها. فكرت في اللحظة التي شبكت فيها بيتا خنصرَها بخنصرِها، وقالت لها إنّ سعادتهما لا يمكن خنقها.

- «أنتَ لا تعرف شيئاً»، قالت وهي تحدّق في جوليان.

تركها جوليان وتراجع مبتعداً، ساحقاً الأزهار الصفراء تحت حذائه الرياضي وهو يسير عائداً للانضمام إلى رفاقه. لم تصدّق مينا حالة الهدوء التي خيّمت على الملعب.

جلست على المقعد من جديد، مُستنزَفة. هذا وقد ظلّت أصابعها ملفوفةً حول شطيرة **الكتلت** التي أعدتها لها داريا طوال ذلك التبادل. مدت مينا يدها إلى صندوق غدائها بحثاً عن منديل، فوجدت بدل ذلك أن أمها وضعت لها المنديل المطرز بحبتَي الليمون الأصفر الذي صنعته ماماني في ذلك العالَم الآخر. انقبض قلبُ مينا من رؤية ذلك المنديل وما عليه من بقع حبر قديمة، وشعرت بخدرٍ في ذراعيها. تذكّرت غسلَ هذا المنديل تحت الصنبور في حمّام المدرسة في طهران، وعودتَها إلى الفصل، ونظرةَ بيتا للتأكد إذا كانت بخير، وبعد ذلك إرسالَ بيتا إلى الاحتجاز لتعرّفها على زجاجة الويسكي. كانت مينا لتعطي أيَّ شيءٍ لكي تظهر بيتا بجانبها الآن وتجلس معها تحت تلك الشجرة ذات الزهر الأصفر. كانت لتعطي أيَّ شيءٍ للتحدث إلى صديقتها القديمة من جديد.

راقبت مينا التلاميذ الآخرين من مسافة بعيدة. أخذ بعض الأولاد سترة ميشيل من مقعدٍ آخر وحشوها بأوراق الشجر، فصرخت ميشيل وصديقاتُها محاولات استعادة السترة، وقد بدا عليهن سرورُ الفتيات اللواتي يحظيْن باهتمام الصِّبْيَة. وبعد مطاردة قصيرة، تمكنت ميشيل من اللحاق بالأولاد، فانخرطت هي وتشاد بشيء يشبه الصراع، فانطلقت جوقة الفتيات في الصراخ.

رجعت مينا بنظرها إلى الوراء، فتساقطت الأزهار من حولها لتشكّل سجادةً صفراء سميكة على الأرض. رنّ الجرس مُعلناً انتهاء فترة الغداء.

بعد ظهر ذلك اليوم، بذلت مينا قصارى جهدها في حصة الفنون لترسم تلك السّجادة ذات الأزهار الصفراء، وعملت بجدٍّ على لوحتها.

* * *

في تلك الليلة، أخبرت مينا داريا عن جوليان كرابر. وبدلاً من أن تقترح عليها أن تريه لوحةً فارسية مصغّرة، أو أن تقرأ له قصيدةً لجلال الدين الرومي، أو أن تدعوه لتناول الطعام الفارسي لمناقشة كورش الكبير (وهي أمور كان والدها سيوصيها بها لكي يُعرِّف جوليان بعظمة ثقافة يجهلها)، هزّت داريا كتفيها فحسب.

- «ولش كن، دعيه يذهب. إنه لا يفهم. إنه يخلط بين الإيرانيين وحكومتهم، وهذا ليس خطأه، بل خطأ التلفزيون»، قالت داريا ثم تنهدت كما لو أن التلفزيون عبارة عن عمٍّ ظالم يعذّب جوليان كرابر المسكين.

حلمت مينا في تلك الليلة بأنها خبطت شاشة التلفزيون فثقبتها

وأسقطتها أرضاً، ثم قفزت عليها بينما كان مذيعو الأخبار المصغّرون يهربون منها. قامت مينا بصفّ المذيعين في صفٍّ واحد وحثتهم على إظهار بلدها بصورةٍ أكثر إنصافاً، وإظهار الناس العاديين وليس فقط القادة المجانين. فأومأ مذيعو الأخبار برؤوسهم ووعدوا بأن يطيعوا الأمر. وفي نهاية الحلم، صافحت مينا مذيعي الأخبار الثلاثة، ممسكةً بأيديهم الصغيرة بين أصابعها.

كانت نشرة أخبار المساء أهم حدث لدى بارفيز وداريا. فأثناء النشرة، كانا يُسكتان كل العائلة ويجلسان مذهولَين على أمل الحصول ولو على لمحةٍ لذلك البلد الآخر. انتقل الأب بين سي بي إس وإن بي سي وأي بي سي، وهي الشبكات الثلاث الرئيسية. كان ثمة شعورٌ بالترقب، والتعطش، وأمل في الغالب. لكن الأخبار المتعلقة بإيران لم تتضمن سوى مقاطع لنساءٍ يرتدين الشادور ورجال متعصبين ملتحين. وفي بعض الأحيان، كانت هناك لقطاتٌ من الحرب العراقية الإيرانية، حيث قفز جنود يافعون يرتدون العَصابات من مركبات الجيش في الصحراء. كانت الكاميرا دائماً ما تعود إلى مذيعي الأخبار: دان أو توم أو بيتر، الجالسين في استديوهاتهم الأنيقة، حليقي الذقن وهادئين، رجال متحضرّون بامتياز، بحيث كادت مينا تشم رائحة الكولونيا المنبعثة منهم ورائحة النعناع في أنفاسهم. وبأصواتٍ منسقة بشكلٍ مثالي، قام دان وتوم وبيتر بالتعليق على اللقطات، بحيث يَظهرون موزونين ورصينين للغاية مقارنةً بأولائك الأوباش سريعي الانفعال في الشرق الأوسط.

كرهت مينا الأخبار. فهي منحت جوليان كرابر مادة دسمة فحسب.

في إحدى الأمسيات، وبعد أن عرض دان مشهداً لشارعٍ

فوضوي في طهران، نظر الأب من حوله وكأنه أصيب بالدوار، ثم وضع طبق الفستق جانباً.

- «هل رأيتم»، سأل بصوتٍ منفعل، «عربة بائع الشمندر؟ هل رأيتم بائع الشمندر؟».

بقي هومان وكايفون ومينا صامتين. لقد رأت مينا رجالاً مُلتحين غاضبين وسط حشدٍ من الناس، لكنها لم تنتبه لوجود عربة بائع الشمندر.

- «لقد رأيتهُ!»، صرخت داريا مثل طفلٍ يجيب على سؤالٍ في الفصل، «لقد رأيتهُ!».

- «أكاد أشمّ رائحة الشمندر»، قال الأب وقد توهّج وجهه إثارةً.

قامت داريا بتسوية الطّيات على تنورتها.

- «هل تظنون أنه كان هناك... بائع **بلال** أيضاً؟»، قالت داريا وهي ترفع عينيها لتنظر إليهم جميعاً.

بلال. ذرة مشوية على الشواية تُغمس في الماء المملح بعد ذلك. استطاعت مينا فجأة أن تشم رائحة **البلال** وتشعر بالنسيم المنبعث من مراوح الخيزران للباعة المتجولين وهم يلوّحون فوق الشوّاية. ملأ طعم الذرة المشوية الحلو والمالح فمها.

- «ربما»، قال الأب، «من الممكن جداً أن يكون هناك بائع **بلال**».

- «من الجميل أن نعرف أن النظام لن ينهار هذا الأسبوع»، قال هومان. «هو لم يسقط بعد، أليس كذلك؟ والحرب. لا يبدو أنهم سيوقّعون اتفاق سلام في القريب العاجل. أعتقد أنني أستطيع

التوقف عن حبس أنفاسي، لأننا سنعود في أي يومٍ الآن، أليس كذلك، يا أبي؟».

رفع كايفون حاجبيه كما يفعل كل مرة يُدلي فيها هومان بأحد تعليقاته التي ستستفز أباه.

- «هل هذه»، قال هومان وهو يشير إلى التلفاز، «هي الثقافة التي تريدنا أن نفتخر بها؟ لأنه لا يبدو لي أنه ينبغي بي أن أكون فخوراً بذلك. وأنا لست كذلك.»

توقفت ذراع الأب في الهواء وهي في طريقها إلى طبق الفستق.

تجمّدتْ داريا ورأسها منحنٍ جانباً، وذراعاها مثنيتان عند المرفقين كإحدى المانيكانات التي تصمّم عليها الملابس.

ابتلعت مينا أنفاسها.

هزّ كايفون رأسه مجدداً.

ومثل جنديّ يقفز إلى المعركة، هرع الأب نحو الطاولة الصغيرة، وجمع خمسة أو ستة كتب سميكة بحركةٍ من ذراعه. رأته مينا يقلّب الصفحات بيأسٍ، وكانت تعلم أنه يبحث عن أكثر الإنجازات تأثيراً للإمبراطورية الفارسية. انحنى كايفون وحاول مساعدة أبيه، وفرك هومان وجهه بيده، مستسلماً. كانوا جميعاً يعلمون أن والدهم سيخبرهم عن تاريخهم الممتد لآلاف السنين والأسباب العديدة التي يجب أن تجعلهم فخورين بتراثهم.

غادرت داريا الغرفة حينها إلا أنّها عادت بعد دقائق قليلة ووقفت عند المدخل وهي تحمل كتاباً على نحوٍ عفوي، كما لو أنها عادت للتو من غرفة النوم حيث كانت تقرأ في أمسية ربيعية لطيفة.

كان هذا الغلافَ الجلدي الأزرق الذي جعل قلب مينا ينقبض. تلك الحروف الذهبية. كانت ذكرى آخر مرة رأت فيها هذا الكتاب،

وهي بين ذراعَي جدتها، مستلقية بجانبها على وسائد مغطاة بسجادٍ عنابي اللون، تصغي إلى صوت ماماني وهي تقرأ من كتاب قصائدها بصوت عالٍ.

ارتخت ركبتا مينا ووجدت نفسها تهوي إلى الأرض. كان بإمكانها الشعور بنعومة ودفء الجزء العلوي من ذراع ماماني على رأسها. كان بإمكانها شمّ رائحة الشاي الذي يختمر على السماور، وسماع رنة صوت جدها. اختفت غرفة المعيشة في كوينز مع تلفازها، والكتب الموضوعة على الطاولة الصغيرة. كانت مينا هناك من جديد، إلى جانب جدتها، حيث الوسادة الكبيرة المغطاة بالسجاد تخدش مرفقها، وصوت الأذان يأتي من مكبرات الصوت في الخارج. كانت ماماني تتلو القصائد بصوت عالٍ وبثقةٍ وفخرٍ، بعد أن ملأت معداتهم بحساء **الأوش** الذي أعدته. لقد جلسوا معاً هكذا، وقرأوا هكذا. لقد كانوا هكذا.

جست مينا الآن على ركبتيها، على الأرض. ولتمنع جسدها من الارتعاش، أسندت جبهتها على الأرض، جاثمة في وضعية الطفل.

كان هومان وكايفون والأب لا يزالون يدرسون الكتب على طاولة القهوة.

- «كل هذا كان بلاد فارس»، قال الأب وهو ينقر بأصابعه على صفحة الخريطة. «كل هذا!».

كان هومان هادئاً الآن.

- «مكتب البريد! من لا يستخدم مكتب البريد؟ من اخترع النظام البريدي؟ إنهم الفرس!!»، قال الأب وهو ينقر على الكتاب. سمعت مينا الصفحات تُقلّب. «**هذا** مَن أنتم! من اكتشف خواص

الكحول؟ من رسم النجوم؟ الفرس! هذا مَن أنتم! وليس ذلك»، قال ثم التفت إلى التلفاز وأشار إليه كما لو أنه كومة من القمامة القذرة.

سمعت مينا صوت إعلانٍ تجاري على التلفاز، كانت تعرفه جيداً: إعلان يُظهر شابات يرتدين التنانير القصيرة ويغنين أنّه أصبح بإمكانهن ارتداء لباسٍ قصير الآن، لأنهن نجحن في إزالة الشعر من سيقانهن. كان الأب هادئاً وهو يشاهد الصور.

- «ليس ذلك! أعني ما يقولونه في الأخبار! لا يمكنهم محوَ إنجازاتنا. لا يمكنهم إلغاء حقيقة تاريخنا. كل ما يفعلونه هو تشويه صورتنا وإظهار المتشدّدين. لماذا لا يتحدثون عن بقية الناس؟ لماذا لا يظهرون...».

بقيت مينا ممددّة على الأرض. إذا كان هناك شيءٌ يمكنه أن يعيد روح وذكرى ماماني، فهو هذا الكتاب. لو أنها فقط لم تطلب منها الرمان. كانت جبهتها لا تزال على سجادة غرفة المعيشة، وكان وجهها يزداد سخونة. بصمتٍ وببطء، بدأت الدموع تنهمر من جديد، وشعرت بسخونتها على خدّيها، وأمكنها تذوّق حلاوتها المالحة. استمر صوت والدها يصدح فوق رأسها - محاضراته، ومرافعاته. بكت مينا على الطريقة التي حدث بها الأمر. بكت على الفقد. وهي لا تزال راكعة، بمؤخرتها على كعبيها، ويديها بجانب وجهها، وجبهتها على الأرض، أدركت مينا أنها في وضعية الصلاة التي اعتادت أن ترى ماماني فيها. شوشت الدموعُ رؤيتَها. الحزن الذي اعتقدت أنها أوقفته عندما أدخلت قدميها في تلك الأحذية الرياضية الأمريكية، وعندما قضمت علكة ميشيل الوردية، وعندما مشت تحت ذلك المطر من الأزهار الصفراء، قد عاد الآن. كانت تعلم أنّه لن يختفي أبداً. فقد كانت لديها جدّة، وكانت لديها عائلة وأصدقاء

وحياة ومنزل ووطن، وكل ذلك قد ذهب بعيداً، تبخّر. بدت موسيقى الروك الصاخبة وكأنها تأتي من مكانٍ بعيد جداً. التلفاز وضجيجه الذي لا نهاية له. كانت تعلم أن قدمَي والدها المكسوتين بالجوارب وأقدام شقيقيها كانت قريبة من بعضها حيث كانا يقفان ويناقشان الإمبراطوريات المفقودة وأخبار التلفزيون. هم لن يعودوا أبداً، لقد عرفت ذلك الآن. لن يعيشوا هناك من جديد أبداً. ذلك المكان، ذلك البلد الذي تحدّث عنه دان وتوم وبيتر بسهولةٍ ملحوظة وتحفّظٍ مهذب، قد انتهى بالنسبة إليها. شعرت أن جبهتها ملتصقة بالأرض، وواصلت دموعُها تدفُّقَها بلا هوادة.

وحينها، وُضِعَتْ يدٌ على ظهرها. أحست بوجه داريا بجانب وجهها. كانت جبهتها على الأرض بجوار جبهتها، ومؤخرتها على كعبيها، ويداها بجانب وجهها. وضعية ماماني لأداء الصلاة. بقيتا على هذه الحال لبعض الوقت، راكعتين، في وضعية لم يسبق لهما أن اتّخذتاها معاً من قبل، وكتاب القصائد الأزرق بينهما. وفيما استمر الأب في مناقشة تداعيات التاريخ، مدّت مينا يدها فوق الكتاب وأمسكت بيد أمها.

الفصل الخامس والعشرون

خوف وألعاب نارية

حاولت مينا أن تمنع داريا من تتبيل النقانق.

- «لكن لا يُعقل أن يُشوى اللحم دون أن يُتبّل أولاً!».

- «لا أعتقد أن الأمر يتم على هذه الطريقة هنا»، قالت مينا وهي تمسك بيد أمها.

- «زيت زيتون، عصير ليمون، ملح، فلفل، بصل مقطّع إلى شرائح، وزعفران مذاب. ويُنقع لمدة ست ساعات تقريباً. سيكون طعمه ألذ بكثير».

- «لا، يا أمي»، قالت مينا ثم خبأت الزعفران، الذي مالت داريا إلى الإفراط في استخدامه مؤخراً. فقد كان هذا، في الأخير، حفلَ شواء الرابع من يوليو، وهو حفلٌ أمريكي بامتياز.

كانت عائلة حاكيميان، أصحاب المحل الإيراني في ريجو بارك، قد كتبوا لهم قائمةً: نقانق، دجاج، هامبرغر، عرانيس ذرة. كانت داريا قد نقعت وتبلت كل اللحوم الأخرى في مزيجها الخاص

من ذلك البلد الآخر. ستُشوى الذرة حتى تصبح حباتها سوداء تقريباً، ثم ستُغمس في الماء المالحة لتصبح **بلال!** لقد كان هذا حفلَ شواءٍ مميزاً. فقد كان أول رابع من يوليو بالنسبة إليهم. الاحتفال بالاستقلال. كانوا جميعاً بصحة جيدة. كانوا يتمتعون بحريتهم الآن. فماذا يمكنهم أن يطلبوا أكثر من ذلك؟

- «ألعاب نارية!»، قال السيد حكيميان، «انتظروا حتى تروا الألعاب النارية!»،

كانت مينا تتطلع إلى الألعاب النارية على نحوٍ خاص.

كانت الألعاب النارية تتألف من ألوان الصيف؛ ألوان متنوعة، ألوان ساحرة، ألوان تنفجر وتتناثر ثم تختفي، تاركة مينا في حيرة من أمرها، تتساءل عما إذا كانت هنا حقاً. كان الصيف هو الفصل الثالث، وقد قال والدها إن الأمر يستغرق أربعة فصول ليشعر المرء وكأنه في وطنه في بلدٍ جديد، وها هم كانوا قد قطعوا 75 في المئة من الطريق حتى الآن. لقد أُنجزت ثلاثةُ أرباع الرحلة.

ساد هواءٌ ساخن، كثيف ورطب، طوال اليوم، ولوى حوافَ أوراق الشجر في الحدائق، ورطّب الورق في دفتر رسم مينا، وباغتَ العناكب وأماتها ببطء. التهبت نيويورك جرّاء الحر في ذلك الصيف، فبدت أرصفتها الإسمنتية وكأنها تذوب. مسحت مينا وأخواها جباههم، وهوّوا وجوههم، ووضعوا مزيلات العرق اللامعة التي اشتروها من الصيدليات الأمريكية تحت آباطهم كما لو أن ذلك سيحميهم من آثار الحرارة، وراحوا يدورون، ويطوفون، ويهسهسون مثل النقانق العارية وغير المتبّلة التي تُشوى في حفل الرابع من يوليو هذا، فيما اسمرت بشرتهم وأصبحت أكثر سماكةً في الحرارة. طوال الشتاء والربيع (الفصل الأول والفصل الثاني)، حاولت مينا تجنّب

الذهاب إلى محل التنظيف الجاف حيث تعمل داريا، إلّا أنّ محل التنظيف الجاف جاء إليها هنا، في الفصل الثالث وفي منتصف صيف نيويورك. فالهواء الساخن، والحرارة الخانقة، والشعور بأنها بالكاد تستطيع التنفس، هي في كل مكانٍ الآن، إذ كان الخروج من باب المنزل بمثابة الدخول إلى محل داريا للتنظيف الجاف. كيف كان الأمر بالنسبة إلى داريا؟ تساءلت مينا. أن تنتقل من محل التنظيف المشبع بالبخار إلى عالمٍ مشبع بالبخار، بحيث إنها لا تفلت أبداً من غطاء الحرارة غير المرئي الشامل ذاك؟

الوعد بتوفير مكيّف للهواء أبقاهم متفائلين، فقد لمّح الأب إلى أنهم سيحصلون على واحدٍ قريباً. هكذا كان الأمر الآن. كان عليك الانتظار، فالمال لم يكن متوفراً كما كان من قبل. كان عليك الانتظار، والعمل، وادّخار الدولارات. وبعد ذلك، قد تذهب وتشتري الغرض المبتغى، مستعمَلاً في أغلب الأحيان. مكيفات الهواء لم تكن تنمو على الأشجار في كوينز. نامت مينا في ثوب نومها الأبيض وملاءات السرير ملتصقة بجلدها، وقد جالت الكوابيس بحرية واستقرت في عقلها الأمريكي الجديد.

كابوس مينا الأعلى تصنيفاً في الفصل الثالث: شرطة نيويورك تطارد فتاةً في الحادية عشرة من عمرها لافتقارها إلى الحجاب الإسلامي المناسب.

المشهد الأول: مينا واقفة في الخارج، مستندة إلى جدار شقتهم المبني من الطوب. هي تلعب ببالون مطاطي أزرق، أو تُمسك بحقيبة برتقالية من الكروشيه، أو تفرقع علكة وردية اللون. إنها تلهو وحدها. هناك وقعُ أقدام. تستدير مينا. خطوات أقدامٍ ثقيلة تقترب منها. يقترب منها من الخلف شرطيٌّ حليق الذقن ذو خدين

ورديّين وعضلات مفتولة. يصعد بصيصٌ ضعيف من الذعر من أطراف أصابع قدميها إلى ساقيها، ثم فخذيها، وصولاً إلى بطنها المرتجف. بام، بام. قلبها ينبض بصوتٍ أعلى فأعلى. إنه ذعر، ذعر آتٍ من الخوف. يقترب الشرطي من مينا أكثر فأكثر. وفي غضون ثوانٍ، يحصل التحوّل، إذ يتحول رجل شرطة نيويورك حليق الذقن وذو الخدين الورديّين إلى رجلٍ من الحرس الثوري الإسلامي ذي لحية داكنة وعينين شاحبتين وعابستين. اختفى شرطي نيويورك، ويقف مكانه الآن هذا الرجل ذو الابتسامة الساخرة والحذاء الثقيل، والذي يكره كل خصلة شعر غير مغطاة على رأسها، والذي سيعاقبها لعدم تغطية فخذيها، هي تلميذة المدرسة. غمرتها فكرة أن افتقارها إلى الغطاء المناسب سينعكس على عائلتها ويسبب لها المشاكل. لأن الحرس الثوري يعملون كالعناكب في شبكة، كل ما عليهم فعله هو سحب خيطٍ واحد وسرعان ما يتم العثور على العائلة: أمهات وآباء متورطون، يتم استجوابهم، واعتقالهم، وتعذيبهم.

تمتلئ رئتا مينا بزيتٍ أسود كثيف. هي تريد أن تتنفس، تريد أن تجد الطاقة اللازمة للركض والهروب، لكنّ رئتيها مسدودتان. ليتَ كان بإمكانها ارتداء الحجاب لتغطي رأسها العاري الآن، والروبوش الطويل الفضفاض المتدفق لتغطي ساقيها. إنها تبحث عن قطعة قماش لتغطي رأسها، فتمسك قميصها وتمزق قطعةً منه، لكنها لم تكن كبيرة بما يكفي. راحت تتنفس بشكلٍ أسرع، وفجأة تتحرر رئتاها من الزيت الأسود السميك وتستطيع الجري، فتجري وتجري وتجري، وتنظر خلفها. الرجل هو خلفها مباشرة الآن، يركض بحذائه الأسود الثقيل، ويقترب منها والبندقية على جانبه. يدق قلب مينا في صدرها بقوة، ويتطاير شعرها في كل مكانٍ وهي تجري. لا

ينبغي له أن يمسك بها أو أن يحاصرها. ولكن عندما يفعل، عندما يلحق بها أخيراً الحارسُ ذو اللحية الكثيفة والوجه الشاحب والعينين السوداوين ويمسك بذراعها، تستدير لترى وجه جدتها، الملطخ بحبات الرمان الحمراء الدموية.

استيقظت مينا وهي تصرخ. أمسكت بشعرها، وتمنت لو أنها لم تكشف نفسها أبداً، ولم تخلع حجابها أبداً، ولم تجرؤ أبداً على تعريض كل شيء وكل مَن تحب للخطر. جلست ترتعش في سريرها وتتعرق من الكابوس ومن ليلة صيف نيويورك.

هرعت داريا إلى غرفة مينا وجلست بجانب سريرها، ممسكةً بها بقوة، وهمست لها مراراً وتكراراً: «لا ينبغي بك أن تخافي. لا بأس. هم ليسوا هنا. لقد غادرنا. لا ينبغي بك أن تخافي بعد الآن».

الفصل السادس والعشرون

شبكات العنكبوت، والأشباح، والعفاريت

لقد أمضى هؤلاء الناس الكثير من الوقت في تلطيخ الجدران بالدماء. تطوعت داريا للمساعدة في تزيين فصل مينا الدراسي، بماسبة حفلة الهالوين، إذ ما طُلب منها ومن الأمهات الأخريات هو تكريس بعد ظهرٍ واحد لذلك. صحيحٌ أنها ستخسر راتب نصف يوم وسيكون ذلك مؤذياً لها، إلا أنها أرادت المساهمة، وأرادت أن تعلم مينا أنها منخرطةٌ في أنشطة ابنتها حتى في هذا البلد الجديد. كانت المهمة الموكلة لداريا هي استخدام الطلاء الأحمر وجعله يبدو وكأنه دم، وقد تمكنت من القيام بذلك دون أن تتقيأ فعلياً، فقد كان ذلك قريباً جداً من وصف بارفيز للبرك القريبة من جثة والدتها وجثث الأشخاص الآخرين. إنّ الدم ليس لعبة.

ابتسمت السيدة بيك، معلِّمة مينا للصف السادس، وربتت على ظهر داريا، ثم قالت بصوتٍ عالٍ: «أنتِ تقومين بعملٍ جيد حقاً».

كان الجميع في هذا البلد يتحدثون إليها بصوتٍ عالٍ، ويلفظون الكلمات كما لو كانوا يتحدثون إلى طفلٍ صغير، مفترضين أن لغتها الإنجليزية ضعيفة.

ابتسمت داريا وأومأت برأسها، ومن أجل ابنتها، قاومت رغبتها في صفع هذه المرأة على وجهها، وتمتمت: «شكراً لكِ».

- «وكما ترون، نأخذ القطن وننشره هكذا، حتى يبدو مثل شبكة العنكبوت!»، صاحت السيدة بيك لداريا ولأمٍّ أجنبية أخرى هي السيدة يونغ-جا كيم التي كانت قد وصلت هي وابنتها يوني من كوريا قبل بضعة أسابيع فقط.

- «من أجل العنكبوت! ففي عيد الهالوين، نحن نصنع العناكب!»، صرخت السيدة بيك ثم ضمّت إبهاميها معاً ولوتهما بالتناوب مع سبابتيها لتقلّد حركة العنكبوت، «**مفهوم؟**»، سألت وهي ترفع حاجبيها.

- «نعم»، قالت داريا، وكانت هي ويونغ-جا كيم تمسكان بطرفَي قطعة قطن كبيرة وتسحبانها لفصل الألياف الناعمة.

- «**نلصقها بالغراء!**»، قالت السيدة كروبنيك وهي تمدّ لداريا زجاجةً بلاستيكية بيضاء ذات غطاء برتقالي. «**اجعلي مخيفاً!**».

«لماذا تستخدم قواعد لغوية خاطئة»، تساءلت داريا وهي تلصق خيوط شبكة العنكبوت على جدار فصل مينا للصف السادس. فكرت في الأزياء التي كان عليها إتمامها للأطفال، فقد أرادت مينا أن تكون جنية، وأراد هومان أن يكون آدم أنت، أياً كان ذلك، وأصرّ كايفون على أن يكون رونالد ريغان.

تحدثت السيدة بيك عن أهدافهم من تزيين الفصول الدراسية، وأصدرت صوت عواء الأشباح، وكانت هذه المؤثرات الصوتية

موجهة لداريا ويونغ-جا على نحوٍ خاص. أظهرت لهنّ قصاصات من الهياكل العظمية والمقابر، كما لو كانت هذه الأشياء ممتعة. لم تستطع داريا أبداً أن تفهم سبب بذل كل هذه الجهود في تخويف الأطفال. ارتجفت عند رؤية الجمجمة والعظام وهي تُلصَق على باب الفصل، إلا أنها غمست يديها في الدم المزيف مع الأمهات الأخريات.

قامت بعض الأمهات المتطوعات بإعداد وعاءٍ ضخم من مشروب الكول-إيد ذي اللون الدموي، وذلك بسكب بلورات حمراء في وعاءٍ كبير وتحريكه بملعقة خشبية.

- «ماذا لو قمنا بنشر قطراتٍ من الطلاء، القابل للغسل طبعاً، من باب الفصل الدراسي إلى وعاء الكول-إيد، بحيث يتمكن الأطفال من اتباع الدم والحصول على قطعهم من البسكويت على شكل أشباح؟»، اقترحت إحدى الأمهات.

نظرت يونغ-جا كيم وداريا إحداهما إلى الأخرى، مذعورتين.

- «عذراً، لكن لا بد أن أتدخّل هنا وأؤكد أنني أعتقد أن هذا اقتراح مروّع، وإنْ كان مُبتكراً!»، قالت إحداهن.

التفتت داريا لترى مَن التي تحدّثت. برزت إحدى الأمهات من المجموعة، واقفةً بجانب وعاء الكول-إيد. تدلى شعرها الداكن في ضفيرةٍ أسفل ظهرها وكانت ترتدي سارياً جميلاً. وعدا يونغ-جا كيم وداريا نفسها، كانت الأمّ الوحيدة التي اهتمت بمكياجها وارتدت ملابس أنيقة لهذه المناسبة.

- «اسمحا لي بأن أعرّفكما بنفسي»، قالت المرأة ذات الساري وقد تجاوزت السيدة بيك ومدّت يداً لداريا واليد الأخرى ليونغ-جا. «اسمي كافيتا. كافيتا داس. والدة بريا».

- «أنا سعيدة جداً بلقائكِ»، قالت يونغ-جا وهي تحني رأسها. «أنا والدة يوني».

- «وابنتي هي مينا»، قالت داريا، «تشرفتُ بلقائك».

- «سعيدة جداً بأنكن تعارفتن»، قالت السيدة بيك، «والآن، دعونا نعود إلى العمل، أيتها السيدات! يمكننا استبعاد قطرات الدم. اتفقنا؟ لا داعي للمبالغة».

عادت الأمهات إلى العمل. وهنّ يلتقطن المقصات والغراء والزينة، خفضت كافيتا صوتها وقالت لداريا ويونغ-جا:

- «لا تقلقا. في الواقع، عيد الهالوين ممتع جداً، وسوف تعتادان عليه». مكتبة سُر مَن قرأ

لا بد أن داريا ويونغ-جا بدتا مرتابتين لأن كافيتا قالت بعد ذلك:

- «أتعلمان؟ أودّ أن أدعوكما إلى مسكني المتواضع لأرحب بمجموعتنا بشكلٍ لائق، فهل ترغبان بالانضمام إليّ لتناول الشاي بعد هذا؟».

أومأت يونغ-جا برأسها وقالت: «شكراً لكِ». أما داريا، فنظرت إلى يونغ-جا ثم إلى كافيتا، وشعرت ببعض التحسن بشأن عيد الأشباح-الهياكل العظمية المخيف هذا، فقالت: «نعم، بكل سرور».

* * *

في ليلة الهالوين، ارتدت مينا زي الجنية الوردي البراق ذا الجناحين الأرجوانيين الذي خاطته لها داريا، وتجول هومان في غرفة المعيشة مرتدياً بنطالاً ضيقاً ويتصنع العزف على الجيتار.

- «هل أنت نملة؟»، سأله بارفيز، «فأنت لا تبدو مثل حشرة».

- «أوه، يا أبي، أنا آدم أنت(*)! نجم الروك! باللّه عليك، الجميع يعرفهُ!».

أحكم كايفون ربطة عنقه وتدرّب على مصافحته السياسية على داريا ووالده. وعندما وضع قناع ريغان، صرخت داريا من الخوف.

ألقت داريا نظرةً إلى بارفيز، الذي هزّ كتفيه. كان هناك شيء يفلت منهما. وكان هناك شيء جديد يتشكل. وكان شعوراً مألوفاً: فقد اختبراه عدة مرات من قَبل كوالدين. فالأطفال يتغيرون طوال الوقت، والمراحل تأتي وتزول، وكان من المستحيل مواكبة جميع أذواقهم واهتماماتهم. ولكن هذه المرة، كان ذلك في بلدٍ غريب. اعتقدت داريا أن الخريف يعني الرمان، الرمان الذي تنزع والدتك حباته، لتأكلها أنت بملعقة صغيرة مع قليلٍ من مسحوق زهرة القمح. الخريف يعني الاستعداد للكورسي، بتشغيل المدفئة وإخراج اللحاف الثقيل وإلقائه فوق المدفأة، ثم إدخال ساقيك بالداخل. لا هذا التنكُّر، وتناول السكاكر، وتلطيخ الدم، والأشباح وشبكات العنكبوت والعفاريت هذه. كم يُنفق من الوقت والجهد والمال على جعل الأمور مخيفة! لماذا يرغبون في الشعور بالرعب؟ لماذا يبحثون عنه، ويختلقونه، ويأتون بالدم حيث لا وجود له، ويلعبون بالقبور وكأنها دمىً؟ شاهدت داريا أطفالها يتحمسون لليلةٍ من الخوف والسكاكر. من هم هؤلاء الناس؟

بدا الخريف الأول غريباً. ثم، عاماً بعد عام، أتت فصول الخريف وذهبت. منذ عام وصولهم الأول، منذ ارتداء مينا زي

(*) اسم المغني هو Adam Ant، وكلمة Ant تعني نملة بالإنجليزية - المترجمة.

الجنية، مروراً بالمدرسة الإعدادية ثم الثانوية، ولاحقاً في الكلية عندما ارتدت زيَّ قطةٍ، ومادونا، وفريدا كاهلو من بين شخصيات أخرى، أتت فصول الخريف وذهبت.

في سن السادسة عشرة، كان زي الهالوين الخاص بمينا عبارة عن فستانٍ أبيض وأسود منقط، وقد شرحت لداريا أنه يرمز إلى حمارٍ وحشي على طريقة الزِنْ الياباني.

- «الزِنْ ماذا؟»، سألتها داريا.

- «أوه، أمي!»، كان كل ما قالته مينا.

مينا المراهقة، وقد كانت أقرب صديقاتها: ميشيل، وهيذر، وبريا، ويوني، واللواتي كنّ في أغلب الأحيان في منزلهم خلال تلك السنوات.

- «مرحباً، سيدة رضائي»، كانت تقول الفتيات ثم يضعن أكياس النوم على الأرض.

- «لقد أحضرنا فيلم **نادي الإفطار**»، قالت ميشيل.

- «إميليو إستيفيز لطيف جداً!»، قالت مينا وهي تمرر أصابعها في شعرها، فتساءلت داريا لماذا تفعل ذلك، فهي عادة جديدة وجَدتها داريا مزعجة.

ذهبت مينا مع جوليان كرابر إلى حفلة الخريف الرسمية لسنتها الأخيرة. لقد انتظرتها داريا وبارفيز خارج المبنى الذي أقيم فيه الرقص، جاهزين لاصطحابها إلى المنزل فور انتهاء الحفلة. أن تذهب برفقة شابٍّ كان أمراً سيئاً بما يكفي، إلّا أنهما تقبّلا الأمر ولو على مضض. ولكن لن يكون هناك «أفتر بارتي» أو أيّاً كان ما أطلق عليه هؤلاء الأطفال الأمريكيون. اصطحب جوليان مينا إلى السيارة بعد الرقص وصافح والدها، ثم انتظر على الرصيف وهو يشاهد مينا

ووالديها يبتعدون. رأته داريا واقفاً هناك تحت مصباح الشارع ببدلته الرسمية، يلوّح لمينا. ولوّحت مينا له من المقعد الخلفي للسيارة إلى أن توارى عن النظر، ثم استدارت وحردت لبقية الطريق إلى المنزل، وهي تتذمّر من كون القواعد الفارسية في نيويورك «غير عادلة على الإطلاق».

أتت فصول الخريف وذهبت. وتعلمت داريا أن الخريف يعني ارتداء الأزياء التنكرية، وتناول السكاكر، ونحت اليقطين، كما أتقن بارفيز فن نحت أفضل يقطينة هالوين. جالت داريا في محلات السوبر ماركت الضخمة بحثاً عن الرمان، وتخلوا عن الكرسى لتدفئة سيقانهم، فلم يكونوا بحاجة إلى الجلوس في دائرة وسيقانهم تحت لحافٍ مُلقى فوق مدفأة، بل قاموا بتشغيل التدفئة المركزية بدلاً من ذلك.

مع حلول كل شتاء، شعرت داريا بجزءٍ منها يموت. يستغرق الأمر أربعة فصول ليشعر المرء وكأنه في وطنه. هذا ما قاله بارفيز. ولكن بالنسبة إليها، سوف يستغرق الأمر أربعمئة فصل. توالت عليهم السنوات. وهذا البلد - الذي كان من المفترض أن يبقوا فيه إلى أن تعود الأمور إلى طبيعتها في الوطن - أصبح البلد الذي نشأ فيه أطفالها. ابتلعت داريا بطنها ومررت أصابعها في شعرها الخفيف. ها هي تتقدم في السن في أرض فناجين الشاي. برع بارفيز في عمله، وقد ترك محل البيتزا وانتقل إلى أروقة المستشفى بعد أن اجتاز اختباراته الطبية وحصل على رخصته الأمريكية. لقد عاد إلى العمل الذي لطالما أحبّه، ولم تعد داريا مضطرة إلى الانحناء فوق ماكينة الخياطة في محل وانغ للتنظيف الجاف، وأصبحت ربة منزل لعدة سنوات، إلى أن دفعها خطابُ بارفيز الحماسي ودعمه

وحماسه، إلى منتدى الرياضيات، وكانت لديها الشجاعة لتتقدم لوظيفة في البنك، فحصلت على ترقية. وهذا تقدم.

كان أطفالهما الأوائل في صفوفهم. ضحكت ميشيل، وهيذر، وبريا، ويوني في غرفة نوم مينا. وهومان تبادل القُبل مع صديقته الشقراء في المقعد الخلفي من سيارة بارفيز. تظاهرت داريا بأنها لا تعرف، لكنها أوه، عرفت. وترشح كايفون لمنصب رئيس اتحاد الطلاب وتم انتخابه. وملأت شهادات الإنجاز جدران مطبخهما، وكانت رفوف غرفة المعيشة مكتظة بجوائز الصبيين الرياضية. ووافقت مينا على الالتحاق بكلية إدارة الأعمال بعد التخرج من الجامع. وهذا تقدم.

في أحد الأيام، استيقظت داريا ونظرت إلى أطفالها وهم يضعون واقي الشمس في حفلة شواء الرابع من يوليو، وأدركت أنهم أمريكيون.

«لكنني لن أكون أمريكية أبداً»، قالت في نفسها. ربما الأطفال بلكنتهم الانسيابية، وأحذيتهم الرياضية ذات النعال اللينة، والطريقة التي يشربون بها مخفوق الحليب الأمريكي بالقصبات. وسام في صف جداول البيانات، ذلك الرجل الذي شعرت بالانجذاب نحوه. «لكنني لن أكون كذلك أبداً». ودفاتر الرياضيات من أيام دراستها الجامعية، والتي لم تحضرها حتى. كانت لا تزال محشورة في صندوقٍ تحت سريرٍ في منزل آغا جان. ماذا حدث للسرير؟ هل باعه آغا جان؟ هل كان قادراً على الاعتناء بنفسه؟ هل كان وحيداً؟

شاهدت الألعاب النارية للرابع من يوليو على التلفزيون. كل عام، كانت ترى الألوان تنفجر، وكل عام، شعرت بنفسها غريبة عن هذه الألعاب النارية وعن هذه الاحتفالات. لقد رأت الأضواء

تنعكس على وجوه أطفالها وهم ينظرون بذهولٍ إلى سماء الليل في تلك السنوات الأولى، ولم تكن لديها الجرأة لتخبرهم أن كل رشقة نارية وكل انفجار مدوٍّ كان يملؤها بخوفٍ قد يوقف قلبها، وأنها شعرت غريزياً بالحاجة إلى الانحناء والسقوط على ركبتيها ووضع يديها على رأسها.

والآن، في عام 1996، وهي جالسة على الأريكة بعد أن أعلنت مينا عن رغبتها في العودة وزيارة إيران، نظرت جانباً إلى بارفيز. كان يقرأ الجريدة وفي حضنه وعاءٌ من الفستق. هل كان لا يزال مستاءً بشأن سام؟ هل آلمته تلك القهوة/ الشاي التي لم تكن شيئاً؟ تنهدت داريا. كانا هما الاثنين فقط الآن. فهومان كان مع زوجته في شقتهم في الجانب الغربي الشمالي من المدينة، وكان كايفون على الأرجح لا يزال يعمل في هذه الساعة المتأخرة في مكاتب المحاماة الخاصة به في وسط مانهاتن. وكانت مينا، كما تأمل، تدرس استعداداً لامتحانات كلية إدارة الأعمال. راقبت داريا بارفيز وهو يضع الفستق في فمه.

هل نجحا؟ هل اجتازا المصاعب؟ هل سيفعلان يوماً؟

فكّرت في السيد دشتي وفي كل المخططات والرسوم البيانية التي أعدتها. فكرت في الساعات التي قضتها (هدراً) على هؤلاء الرجال. فكرت في انقباض قلبها عندما كان سام بالقرب منها، وقد جعلها ذلك تشكّ في كل الرسوم البيانية والمخططات التي أعدّتها عن الرجال. ربما لم يكن الأمر بهذه البساطة وبهذا الوضوح، أبيض أو أسود. لقد أحبت بارفيز. وقد أُعجبت بسام هذا. لم يكن الأمر ببساطة الصفوف والأعمدة في جدول بيانات. فهذه الأمور لا تُحسب بهذه الطريقة. وقد أدركت ذلك الآن.

الجزء الثالث

1996

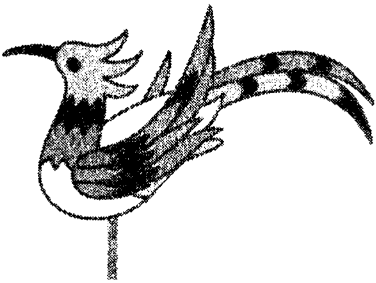

الفصل السابع والعشرون

مكتبة
t.me/soramnqraa

لقد عُدتَ إلينا، عدتِ إلى الوطن

تسلل الناس وتمتموا بهدوء متذمّرين وهم يشقّون طريقهم عبر خط مراقبة جوازات السفر. ظهرت نساءٌ صغيرات يرتدين الشادور، ووقف رجالٌ ملتحون بزيٍّ عسكري عند المداخل. خرجت داريا ومينا من الطائرة، ونزلتا على الدرج المعدني المزود بالعجلات، واستنشقتا ليل طهران المغبر من جديد. وبمجرد أن لامست أقدامهما الأرض، تبخرت خمسة عشر عاماً. كان الناس يتحدثون الفارسية، وهواء الليل يداعب وجوههم، وبدت أصوات الصخب والضوضاء والنشاط هي نفسها. ابتسمت داريا ابتسامتها من المدرسة الثانوية، تلك الابتسامة العريضة ذات الخدين الممتلئين والتي لم ترَها مينا سوى في صورٍ قديمة بالأبيض والأسود. في تلك اللحظات الأولى، بدا الأمر وكأنهما تعودان إلى شيءٍ تعرفانه. **ربما يمكنك العودة إلى الوطن من جديد.**

كانت الملصقات هي التي أخرجتهما من شعورهما بالدوار.

غطت قطعٌ كبيرة من القماش وسجّاداتٌ ضخمة جدرانَ المطار، وتدلت من درابزين السّلالم. كانت وجوهُ قادة النّظام، الأكبر من حجمها الحقيقي، تطل على الجميع من أعلى، فأينما نظرت مينا، رأتهم. كانت الخطوط العميقة على جباههم والعيون المرسومة والتعبيرات العابسة أكثر تأثيراً بكثير من مشهد الشباب الحقيقيين الذين ملؤوا المطار بزيّهم العسكري وهم يحملون البنادق. لم تجرؤ مينا على النظر مباشرة إلى وجوه الحرّاس، ولكن كان واضحاً من نظرة خاطفة أنّ هؤلاء الحراس الذين خشيتهم منذ سنوات والذين ظهروا في كوابيسها لفترة طويلة، هم الآن أصغر سناً منها. بدا بعضهم في سن المراهقة، إذ تعرفت مينا إلى هذه الفترة المربَكة من العمر. لاحظت وجود حب الشباب على وجه أحد الحراس، ولحية خفيفة أول بزوغها فوق شفتيه. بادلها الحارس نظرتها، ثم أشاح بنظره بسرعة، كما لو أنه مُحرج. شعرت مينا بالأسف حياله، لكنها تذكّرت أنه بوكزةٍ بسيطة من بندقيته وكلمةٍ واحدة لأحد موظفي المطار، يمكنه أن يمنعها من دخول إيران أو يبقيها عالقةً هناك إلى أجل غير مسمى، فتحولت شفقتها إلى خوف.

- «لا تخافي»، همست داريا فيما كانت بعض النساء يقمْنَ بدفعهما وباختراق الصف. «ابقي هادئة فحسب. لا يمكنهم فعل أي شيء لنا، فكل أوراقنا سليمة».

كم كانتا خائفتين عند مغادرتهما إيران وهما تتّجهان نحو مسؤولي الجوازات، راجيتين أن تيسر أمورهما بخير. وها هما الآن تحاولان العودة من جديد إلى البلاد بنفس الشعور بالعجز، والمعرفة أن مصيرهم يتوقف على قرارٍ من بيروقراطي. صلّت مينا من أجل أن يكون الرجل عند مراقبة الجوازات في مزاجٍ حسن. لقد هيأها وابل

الصور المروّعة من الأخبار إلى مواجهة وحوشٍ خلف مناضد المطار، ينتظرون المغتربين العائدين بالأصفاد والحبال لتقييدهم ونقلهم إلى زنازين تعذيب معزولة لمجرّد وجود ختم خاطئ في جوازات سفرهم أو لانزلاقِ خصلة شعر على جباه السيدات. ربطت مينا حجابها بإحكام للمرة الألف. علمت أن الأمر بدا غريباً، لكنها كانت تجهل الفروق الدقيقة التي أتقنها بالتأكيد أولئك الذين لم يغادروا الوطن أبداً، فهي لم تعد تعرف كيف تتصرف بالمزيج الصحيح من التواضع والثقة بالنفس لتُظهر للحرس الثوري أن أمورها على ما يرام.

تنحنحت مينا وتدربت في ذهنها على الإجابات القصيرة التي طلبت منها داريا أن تقدمها للبيروقراطي الملتحي. طردت مينا صورَ التعذيب التي تداولتها منظمةُ العفو الدولية في حرم جامعة كولومبيا الشهر الماضي.

وكزت داريا مينا، فقد كان دورها عند النافذة.

جلست خلف المنضدة فتاةٌ شابة وقصيرة القامة. بحثت مينا خلف الفتاة عن موظف المطار، فقامت الفتاة بالنقر على المنضدة ومدِّ يدها النحيلة. وبفعل توترها، وضعت مينا يدها في يد الفتاة، كما لو أنها تصافحها. وعند إدراكها لما فعلت، سحبت يدها، وقد ذابت حرجاً.

- «جواز السفر، رجاءً»، قالت الفتاة بصوتٍ أعلى وأكثر ثقة ممّا توقعت مينا. كان سلوكها هادئاً ومتماسكاً، كما لو كانت معتادة على أن يتصرف المغتربون العائدون المذهولون بغرابة أمام نافذتها.

مرّرت مينا جواز سفرها فوق المنضدة. كانت داريا قد جدّدته لها خصّيصاً لهذه الرحلة، حيث كان إذن الخروج مطبوعاً بوضوح. عرفت مينا ذلك لأنها تفحّصته عشرات المرات. «**لن تذهبي إلى**

هناك حتى تتأكدي من أنك تستطيعين المغادرة. للفضول حدود»، قال والدها وهو يعاني من أفظع صداع نصفي منذ أن قررت ابنته القيام بهذه الرحلة.

قلّبت الفتاة جواز سفر مينا وسألتها: «متى غادرتِ؟».

- «منذ خمسة عشر عاماً. مع والديّ وشقيقيّ. ذهبنا إلى أمريكا، إلى نيويورك. كان ذلك في فصل الشتاء...»، قالت مينا وقد طلبت منها داريا أن تبقي إجابتها مختصرة وفي صلب الموضوع، لكنها لم تستطع التوقف عن الكلام.

- «هل لديكِ جواز سفر أمريكي أيضاً؟»، قالت الفتاة مقاطعة حديث مينا.

توقفت مينا في منتصف الجملة.

- «**بله**. نعم». وبمجرد أن قالت ذلك، شعرت مينا أنه لم يكن ينبغي بها أن تقول ذلك، فالجنسية المزدوجة غير معترف بها في إيران.

- «هل يمكنني أن أراه؟».

وبيدين مرتعشتين، بحثت مينا في حقيبة يدها ووضعت جواز السفر الأمريكي ذا اللون الأزرق على المنضدة. ماذا فعلت؟ هل ستقع في مشكلة الآن؟ لن يعلم فرع جامعتها من منظمة العفو الدولية بحالتها، حتى تُنشر صورتها خلال مظاهرة الحرم الجامعي القادمة للسجناء السياسيين. هل كان لدى الفتاة أي فكرة عن أن جواز السفر هذا كان نتيجة سنوات من العمل الشاق، وزيارات لا نهاية لها لمكتب دائرة الهجرة والتجنيس، وأكوام من الاستمارات التي تمّ ملؤها على طاولة طعام والديها، وسنوات من الانتظار؟ وأنهم بفضل هذا الجواز لم يتعرضوا للمضايقات في المطارات ولم يعودوا بحاجة

إلى تأشيرات خاصة لزيارة بلدان أخرى؟ هل تعرف حقاً ماذا أمسكت بين يديها؟

تعرّقت مينا تحت حجابها. ومن نظرة جانبية لأمها المسكينة، رأتها تتأرجح على كاحليها بنفاد صبرٍ وهي تنتظر خلف الخط الأصفر على بعد بضعة أقدام. هل كانت تتخيل ذلك، أم أنّ وريد جبينها كان ينبض بسرعة الديزل؟ بالطبع سيكون كذلك.

قامت الفتاة بنقر غلاف جواز السفر بإبهامها الصغير، ثم أعادته إلى مينا من فوق المنضدة.

- «شكراً لكِ»، قالت لمينا.

وقفت مينا قبالة الفتاة وهي تشعر بالدوار.

- «هيا. التالي!»، صاحت الفتاة وهي تنادي على الطابور.

وبسرعة، أعادت مينا جوازَي السفر إلى حقيبة يدها، وكادت تتعثّر وهي تبتعد مضطربةً عن منضدة المطار. سارت مسرعة نحو درجٍ على بعد بضعة أمتار وانحنت على الدرابزين لتلتقط أنفاسها، فعلِق الجزء السفلي من ملصقٍ من القماش الثقيل في حجابها وكاد ينتزعه، وحاولت مينا أن تظل رابطة الجأش تحت أعين الحراس.

نظرت نحو منضدة الفتاة، ورأت أنه كان دور داريا الآن. خفق قلب مينا وهي تستوعب مدى السلطة التي تمتلكها تلك الفتاة عليهما. قالت داريا شيئاً، وضحكت، ثم غيّرت تعابير وجهها كما لو كانت تقلّد شخصاً مجنوناً. لم تتمكن مينا من رؤية وجه الفتاة من حيث كانت تقف، لكنها خمّنت أن داريا انتقلت بمهارة إلى ذلك الأسلوب الحميم السريع الذي تتعامل به مع الإيرانيين الآخرين، حيث كانت تمزح وتتصرف كما لو كانت هي والفتاة صديقتين مقربتين.

* * *

وبعدما اجتازت داريا مراقبة الجوازات، ذهبتا إلى حزام استلام الأمتعة، ومن ثم إلى بوابة الوصول. وهناك رأت مينا مجموعةً من الأشخاص يحملون زهوراً صفراء وبيضاء، وبعض أزهار القرنفل الحمراء، وباقة من الورود الوردية. كانوا يشربون الشاي في أكوابٍ من الستايروفوم، حيث تم تمرير ترمس مصنوع من الفولاذ غير القابل للصدأ من شخصٍ للآخر. كانت الساعة الرابعة صباحاً، وكانوا واقفين هناك، يرفعون رؤوسهم ويحدقون في وجوه المسافرين القادمين، ثم ارتفعت بعض الأيادي في الهواء ولوّحت.

- «داريا جون!».

- «مينا؟».

- «اين مينا-هه؟ هل هذه مينا؟».

وعندما اقتربت داريا ومينا من المجموعة، غُمِرتا بالعناق، وتمّ تقبيل مينا وقرص خديها والطبطبة على جسدها في فرحة عامرة.

- «ما شاء اللّه! ما شاء اللّه!».

- «هل رأيتموها؟! إنها مينتنا الصغيرة!».

- «داريا جون! مينا جون! ليتني أموت من أجلكما!».

وفي حالة ذهولها الناتج عن رحلتها طويلة، تعرّفت مينا على صوت الخالة نيكي، وقد خرج ذلك الصوت من فم امرأةٍ انزلق حجابها مُظهراً بعض الشيب من تحته. امرأة ذات وجه مجعد، أصبح جسدها النحيل سابقاً ممتلئاً وعريضاً الآن. احتضنت داريا أختها بقوة.

اندفع نحوهما بحماسٍ فريقٌ من الأطفال الصّغار، فوضعت داريا يدها على قلبها وصاحت:

- «لا بدّ أنكِ أريانا. وأنتَ مهدي، أليس كذلك؟ انظري إلى أبناء عمومتك، يا مينا! انظري إليهم!».

نظرت مينا إلى صف الوجوه الصغيرة المستديرة، بعضها يفتقد الأسنان، وبعضها خجول، وكلّها غريبة. هؤلاء هم أبناء العمومة الذين لم ترهم من قبل.

- «كم كبرتم!»، قالت داريا وهي تعانق كلَّ واحدٍ منهم، فيما فكرت مينا في سرها: «لكننا لم نرَهم قط عندما كانوا أصغر سناً».

لمست أصابعُ وجهَ مينا، واحتضنها العمُّ جعفر، ورقصت نقاطٌ سوداء صغيرة أمام عينيها. ربما كانت للأمر علاقةٌ بالرحلة الطويلة في الطائرة وبالإرهاق، لكن رؤيتها كانت ضبابية. كانت الخالة فيروزه بالقرب منها، وقد بدا شعرها مصبوغاً باللون البني الفاتح على نحوٍ واضح، كما ظهرت جذوره الرمادية من مقدمة حجابها، وتدلّى خداها تحت ذقنها الآن. كانت تبكي في منديلها.

ابتسمت لمينا امرأةٌ طويلة ترتدي حجاباً أبيض.

عانقت داريا ليلى، وقالت لها:

- «ليلى جون! ليلاى عزيز!»، قالت داريا وهي تعانق ليلى.

تذكرت مينا فجأة وقوف السيد جونسون قبالة ليلى في حفل عيد ميلادها العاشر وهو يقضم طرفَي نظارته وذراعه تضغط على الحائط بالقرب من كتفها، ورغبة ماماني في إخراج ليلى من إيران.

دفعت ليلى إلى الأمام طفلَين ذوَي بشرة فاتحة وعيونٍ عسليّة، ولدٌ وبنتٌ، في عمر الثامنة والخامسة تقريباً، وقالت وهي تنحني بالقرب منهما:

- «أتريان؟ إنها مينا جون. لقد قطعت كل ذلك الطريق من أمريكا وأتت إلينا».

لم تسمع مينا صوت ليلى منذ خمسة عشر عاماً. أين كان السيد جونسون؟

ثم رأت جدها. كان واقفاً في مقدمة الحشد. كيف أمكنها ألّا تراه؟! كان يرتدي بدلته الكاكية، وكان سرواله مكوياً بإتقان، وقميصه الأبيض منشى، ويحمل وردة وردية. حضن داريا لفترة طويلة جداً، ثم التفت إلى مينا.

- «لقد عدتِ إلى الوطن. **آمدى بش ما**. لقد عدتِ إلينا».

كان الصوتَ نفسه الذي كان يضايق ماماني وهما يتمازحان في المطبخ، الصوت الذي نادى باسم ماماني في منتصف الليل، أثناء نومه، صوت رومانسي بلا خجل سمعته مينا في الليالي التي نامت فيها في منزلهما. نظر إليها بعينين دامعتين. توجهت مينا نحوه وقبّلت خديه، فأخذ آغا جان وجهها بكلتا يديه، وكان بإمكانها رؤية العينين العسليتين اللتين تشبهان عينَي أمها إلى حدٍّ كبير.

- «لقد افتقدناكما»، قال صوت جدها من ذلك الزمن البعيد، إلّا أنها سمعته الآن، في الحاضر. كان أمامها الآن. «لقد افتقدناكما كثيراً، هل تعلمان ذلك؟».

بقي البعض في المجموعة صامتين وهم يشاهدون آغا جان يضع ذراعاً حول داريا والأخرى حول مينا. وجاءت المبادرة من الخالة فيروزه. راحت تصفق وهي تحمل منديلها المبلل في إحدى يديها، فبقية المجموعة : ليلى وطفلاها، الخالة نيكي والعم جعفر، المجموعة الصغيرة من أبناء العمومة الصغار، وكل البقية الذين جاؤوا إلى هناك لاستقبالهما - انخرطوا في التصفيق، حتى أن البعض منهم اضطر إلى التصفيق على أفخاذهم بسبب انشغال إحدى يديهم، بخبرةٍ وثبات، بكوب الشاي المثالي ذاك.

الفصل الثامن والعشرون

مصابيح حمراء

«لبو! لبو!».

جاء صوتٌ من خارج النافذة. استيقظت مينا وجلست على السرير وهي لا تتذكّر أين هي. كان لحاف ماماني المصنوع يدوياً فوقها، وكانت صورة حفل زفاف والديها بالأبيض والأسود على الطاولة، وكانت الوسائد الحريرية ذات اللون العنابي متناثرة على السرير وعلى الأرض. تكشّف الواقع شيئاً فشيئاً. كانت في منزل ماماني وآغا جان. استمر الصوت من الخارج، كان مألوفاً وغريباً في آنٍ واحد. ذهبت مينا إلى النافذة ورأت رجلاً منحنياً يرتدي قميصاً رمادياً وسروالاً داكناً يدفع عربة في الشارع. إنه بائع الشمندر، بعربته المليئة بالشمندر المطبوخ الساخن، يُنادي: «لبو! لبو!». هل يمكن أن يكون هذ بائعَ الشمندر نفسه ذا الكتفين المنحنيتين الذي عرفته في تلك السنوات البعيدة؟

- «بيدار شو، استيقظي»، قالت داريا وقد دخلت الغرفة مرتديةً

بلوزة ليمونية وتنورة بيضاء، وشعرها مغسول ومجفف حديثاً. «تعالي وتناولي الشاي».

كان الإفطار عبارة عن خبز البربري الطازج والساخن، وجبنة الفيتا، ومربى الكرز الحامض منزلي الصنع (تساءلت مينا للحظة عما إذا كان هذا مربى ماماني، لكن بالطبع لا يمكن أن يكون كذلك. لا بد أن الخالة نيكي أعدّته في نهاية الصيف واحتفظت به في برطامانت لآغا جان)، والشاي الأسود الساخن. كان آغا جان يستمع إلى الراديو. كان للمذيع ذلك الصوت الطنان والميلودرامي الذي كان سمة مميّزة للإذاعة الفارسية طوال الفترة التي تذكّرتها مينا، فكان من السهل تصديق أن المذيع هو نفس المذيع منذ طفولتها. وقد أرادت مينا أن يكون الشخص نفسه، لكن معظم الإعلاميين كانوا قد استُبدلوا، أو سُجنوا أحياناً، أو أُعدموا في حالات نادرة في زمن الثورة. فهو لم يكن الشخص نفسه على الأرجح.

كانت الساعة في مطبخ آغا جان هي نفسها، والكراسي الحمراء والبيضاء هي نفسها. وحمل الصندوق الخشبي الذي أكل منه الحمام من خارج النافذة أشكال الزهور والأسماك التي رسمتها مينا منذ سنوات، في تلك الحياة الأخرى. وكانت الوسائد والطاولات والورود البلاستيكية في المزهرية هي نفسها، إلّا أنّ ماماني كانت غائبةً عن المشهد. بدا الأمر كما لو أن أحدهم قد وضع كل الديكورات على خشبة المسرح، لكن الممثلة الرئيسية تغيّبت عن الحضور. انشغلت داريا في المطبخ، تفتح وتغلق الخزانات، تُخرج الصحون والأوعية والملاعق لتناول الإفطار. دهن آغا جان ملعقةً من المربى على خبزه ومضغه وهو يستمع إلى الأخبار. كانت الحمائم تنقر الخبز مِن صندوقها، ومينا ترتشف الشاي الذي كان طعمه في

هذا المطبخ، وفي هذا المنزل، وفي هذا الوقت، رائعاً كما لو أن ماماني هي من أعدّته.

- «اتصلت ليلى»، قالت داريا، «ستأتي الليلة لحضور حفل الترحيب بنا».

عندما غادرت مينا، كانت في العاشرة من عمرها، وكانت ليلى في التاسعة عشرة. والآن هي في الخامسة والعشرين، وليلى في الرابعة والثلاثين، متزوجة ولها طفلان وتعمل كمهندسة.

- «لا أصدّق أنها تزوّجت السيد جونسون»، قالت مينا.

- «لقد كان خياراً موفقاً»، قال آغا جان.

تذكرت مينا ماماني وهي تهمس في الهاتف: «لقد وجدتُ شخصاً لليلى. إذا سارت الأمور على ما يرام، سيمكنها مغادرة إيران قبل أن تبلغ العشرين من عمرها، وإكمال دراستها في إنجلترا...».

- «لكنهما بقيا في إيران!»، قالت مينا.

- «ولماذا لا يبقيان؟»، قال آغا جان.

- «هيا»، قالت داريا لمينا، «دعينا نذهب في نزهة. اذهبي وارتدي روبوشك».

* * *

مشت مينا خلف جدّها وداريا، اللَّذين كانا قريبين أحدهما من الآخر ويتحدثان بهدوء، يتشاركان الأخبار العائلية والتغيرات في الحي. تمسكت داريا بمرفق سترة والدها ذات النسيج الصوفي الخشن، في حركةٍ بدت فيها وكأنها تحميه وتعتمد عليه في آنٍ واحد، تساعده على تسلق الرصيف، ولكنها تتشبّث به أيضاً. تساءلت مينا عما إذا كانت داريا قد حلمت بهذه النزهة. ورغم أن الشمس كانت ضعيفة، بدأت مينا ترى بقعاً سوداء غامضة تطفو أمام

عينيها من جديد. هل كان هذا جزءاً من اضطراب الرحلات الجوية الطويلة؟ أرادت أن تضرب البقع كما يُضرب الذباب.

مرّوا بجوار متاجر كانت مينا قد نسيتها. محل التنظيف الجاف والنانوايى، المخبز، كانا لا يزالان هناك. وعند زاوية الشارع الرئيسي، رأت مينا محل الخضار والفواكه الذي لطالما مرّت به وهي في طريقها إلى منزل جدّيها. كان لديهم رمان جيد، لكنه ليس بجودة الرمان في المتجر الذي ذهبت إليه ماماني يوم مقتلها. تبعت مينا آغا جان وداريا إلى داخل المتجر.

كان المحل عبارة عن غرفةٍ مربعة صغيرة، ولكن في ذاكرة مينا، كان هذا المكان ضخماً. كان الغبار في كل مكان، ووقف في إحدى الزوايا رجلٌ ملتحٍ ينتعل شبشاباً بلاستيكياً ويدخن سيجارة. كان البرتقال المرضوض والتفاح الذابل مكدساً في عرباتٍ من حوله، ووُضع الجزر والخس في صناديق. انحنى آغا جان فوق سلة من الخيار.

- «سيدي، دعني أساعدك»، قال الخضرواتي.

- «أستطيع أن أختار الخيار بنفسي، سلمت يداك»، قال آغا جان.

- «كما تريد»، أجاب الخضرواتي.

شعرت مينا أن جدّها والخضرواتي قاما بهذه المحادثة مرات عديدة، وقد تجادلا بخصوص الخيار والجزر، وربما الكرفس أيضاً. استقام آغا جان كما لو أنه يُقاتل من أجل كرامته، ثم سلّم البقال مشترياته.

- «كيلوان»، قال الخضرواتي وقد قام بوزن الخيار على الميزان.

- «تحقق من الوزن مرة أخرى»، قال آغا جان.

- «لقد أخطأت. إنه كيلو ونص فقط. أنا لا أستحق منك ثمنها».

لم تصدق مينا أنهما يستخدمان **التعارف** في الدّفع. تمتم البقال بشيء عن كونه خادماً متواضعاً، وعن الضيوف **الفرنجي**، الضيوف الأجانب. نظرت مينا خلفها بحثاً عن سياح أوروبيين، لكن لم يكن هناك سوى جدّها طويل القامة مثل أعمدة برسبوليس، وداريا التي تقف إلى جانبه كما كانت لتفعل أي ابنة إيرانية محترمة. نظرت مينا إلى حذائها الملطخ بالطين ذي النعل السميك والمصمم للمشي لمسافات طويلة، وأدركت أنها هي **الفرنجي**. الأجنبية.

أضاف آغا جان البرتقال إلى الميزان، وقام الخضرواتي بجمع المبلغ الإجمالي بقلم رصاص قصير على ورقة صغيرة، ثم قام بعدّ أوراق **التومان** التي أعطاه إياها آغا جان.

- «أتمنى أن تسُرَّ عيناك لحضور ضيوفك»، قال الخضرواتي ثم وضع الخيار والبرتقال في أكياس بلاستيكية مجعّدة وعقد رأسها. سلّم الأكياس لآغا جان، ثم التفت إلى داريا وانحنى لها. «سُعدتُ برؤيتك من جديد، يا داريا خانم».

- «وسُعدتُ برؤيتكَ من جديد، يا آغا حسين»، قالت داريا.

أخرج آغا حسين بيضة من الشوكولاتة من مكان بقرب الميزان وأعطاها لمينا.

- «هذه لكِ».

- «أوه، لا، لا يمكنني قبول ذلك»، بدأت مينا بالقول.

- «إنها لكِ. اعذري ظروفي. أنا مُحرَج. متجري يحتاج إلى

الإصلاح. فاكهتي ليست جديرة، ولكن إذا كسرتِ بيضة الشوكولاتة هذه إلى نصفين، فستجدين لعبةً صغيرة بالداخل».

- «شكراً لكَ»، قالت مينا.

كانت الشمس ساطعةً على نحوٍ مبهر عندما خرجوا من المتجر المظلم.

- «كان مجرد طفل عندما غادرنا»، قالت داريا. «كان يتسكع ويساعد والده في المتجر، وكانت ماماني تعطيه قطع نقدية إضافية».

استدارت مينا. كان آغا حسين يقف عند مدخل محله، يدخن بجوار صناديق البصل. وعندما رآها، وضع يده على صدره وأحنى رأسه.

* * *

وهي في الشارع من جديد، لاحظت مينا أن السيارات كانت نفسها تماماً. فرغم أنه كان عام 1996، إلا أن معظم السيارات كانت لا تزال من السبعينيات، أي من قبل الثورة.

- «نحن منبوذون من العالم الآن»، قال آغا جان بضحكةٍ عصبية. «الدول الأخرى لا ترغب في التجارة معنا. لقد خُنقنا لسنوات».

كانت هناك ثلاث منصات معدنية كبيرة بمصابيح حمراء تُحيط بمنتصف الرصيف، وقد بدت في غير مكانها. نظرت مينا إلى الأمام ورأت أن هناك ما لا يقلّ عن عشرين مصباحاً في هذا المربع وحده.

- «ما هذه؟»، سألت مينا.

- «إنها من أجل الجنود الذين ماتوا»، أجاب آغا جان. «في الحرب. تذكرين ذلك، أليس كذلك؟ الحرب مع العراق».

- «بالطبع. أعرف ذلك. كنتُ هنا».

- «استمرت الحرب ثماني سنوات، وأنتم عايشتموها هنا لمدة سنة»، قال آغا جان ثم توقف عن المشي. «لماذا تكرهنا حكومتكم هناك إلى هذا الحد؟».

تجمدت مينا في منتصف الشارع.

- «أخبريني، هل نحن بشر بالنسبة إليهم؟»، تابع آغا جان. «هل يعلمون أننا نحن أيضاً نحزن عل كل روح تُفقَد؟».

أبهرت الشمسُ مينا، وتكاثرت البقع السوداء أمام عينيها. شعرت فجأةً وكأن حذاء المشي الأمريكي مثقلٌ بالرصاص. كانت كلُّ واحدةٍ من ملاحظات آغا جان تخرق صدرها مثل الإبرة، فالجد الذي تركته كان هادئاً وحكيماً، ليس حاقداً. لم تكن مينا مسؤولةً عن أفعال أمريكا، كما أنها لم تكن مسؤولةً عن أفعال إيران. ولكن دائماً ما طُرِحت عليها الأسئلة. بغض النظر عن البلد التي كانت فيه. أراد الناس تفسيراً فحسب.

- «أمريكا باعت الأسلحة لصدام حسين»، تابع آغا جان. «باعته الأسلحة ليقتلنا بها».

- «كفى، يا أبي»، قالت داريا وهي تشدّ كمّ والدها.

- «كل ما أقوله، يا داريا جون، هو لماذا تم بيع الأسلحة لرجلٍ أراد قتلنا؟ اعتقدت أن بلدكم قوة صالحة!». كان تنفسه مجهداً وثقيلاً الآن. انحنى وسعل بشكلٍ متقطع، فربّتت داريا على ظهر والدها، وقد اكفهر وجهها من القلق.

وعندما توقف السّعال، انتصب آغا جان من جديد وقد غطّت قطرات العرق جبهته، فمسح وجهه بمنديلٍ مطرز بليمونتين صغيرتين. لا بدّ أن ماماني مَن صنعت هذا المنديل أيضاً. وقفت مينا متسمرة في الأرض بحذاء المشي ذاك، ورأسها يدور.

- «أنا آسف، يا مينا جون»، قال آغا جان أخيراً. «الحرب»، تابع ثم توقف قليلاً، «كسرتنا». ثم وبكل عفوية، وكما لو كان يمسح أنفه، غطّى وجهه بالمنديل المطرز بالليمون وأجهش في البكاء. فبللت الدموع منديل ماماني.

مرت بهم سياراتٌ صدئة، وسارت نساءٌ محجبات. وصاح طفلٌ في مكانٍ ما. أمسكت داريا بيد والدها وهو يبكي. وقفوا هكذا تحت المنصات المعدنية. لم تكن مينا تتوقع ذلك. لم تكن تعرف ما الذي ستعود إليه.

جففت آغا جان عينيه ببطء. إنّ الطريقة المرتبكة التي مسح بها وجهه جعلته يبدو وكأنه صبي صغير. لهث، ثم نظر حول الشارع المغبر بلا حيلة، وكأنه قد يتمايل ويسقط. ثم قال للشارع، لمينا، لداريا، لا لشخصٍ معيّن: «لم نعد أنفسنا. نحن أرواح تالفة. لقد دُفع كلُّ شخصٍ في هذا البلد إلى أقصى حدوده. تلك السنوات من القنابل، الوفيات التي لا مبرر لها، هذه الحياة السريالية. لقد أصبحنا ما كنا دائماً فخورين بأننا لم نكنه من قبل. **بى بضاعت**. معدمون». طوى منديله، ثم تمتمَ: «سامحيني، يا مينا جون».

تمايلت المصابيح الحمراء على المنصات المعدنية من فوقهم. تخيلت مينا شوارع إيران كلّها، مئات ومئات المصابيح الحمراء للأولاد الذين ماتوا، آلاف وآلاف منها للقتلى في تلك الحرب، فقد أُزهقت أرواح كثيرة. أرادت أن تُخبر جدها بأن بلدها الجديد ليس كما اتهمه بأنه عليه. لكن ها هي تواجه هذا الموقف من جديد، هي في بلدٍ وتريد وصف حقيقة البلد الآخر - وهي تعلم أنها لن تستطيع فعل ذلك أبداً.

- «لا يهم»، قالت مينا بينما كانت داريا تسند آغا جان ويهمّون

بالسير عائدين. كان وجه داريا خالياً من أي تعبير. «لا يهم»، رددت مينا بصوتٍ عالٍ.

قادت داريا الطريق إلى المنزل، فيما ترنحت مينا وراءهم بحذائها الضخم المخصص للمشي لمسافات طويلة، ممسكةً ببيضة الشوكولاتة. مرت نساءٌ يرتدين الشادور وينتعلن الشباشب ويحملن حزمات من الفجل والبصل الأخضر في سلالهن. لم يكن هناك مصباح أحمر معلق على منصة معدني من أجل ماماني. كانوا جميعاً يعرفون ذلك. «لا يهم»، قالت مينا. ولكن وهي تتقدم إلى الأمام، عرفت الحقيقة في قلبها. بالطبع إن الأمر مهم. وسيكون كذلك دائماً.

الفصل التاسع والعشرون

عودة الملكة إلى الوطن

وصل الضيوف إلى منزل آغا جان في وقتٍ لاحق من ذلك المساء. جاءت الخالات، والأعمام، وأبناء العم، والجيران، والأصدقاء، حاملين باقاتٍ من الزهور وعلبٍ مليئة بالحلويات. تعرّفت مينا على بعض الوجوه فيما بدت أخرى غريبةً عليها. لكنهم تذكّروها جميعاً، وكانوا جميعاً سعداء برؤية ضيفة الشرف: داريا. كانوا سعداء برؤية مينا أيضاً، إلا أنّ داريا كانت النجمة الحقيقية. لم تكن مينا تدرك مدى الحب الذي يكنّه الجميع هنا لأمها. ففي كوينز، عندما كانت داريا منحنية فوق ماكينة الخياطة في محل التنظيف الجاف، أو تكافح من أجل التحدث إلى الأمهات الأخريات في ليلة نزهة التلاميذ والآباء، أو حتى عندما كانت تنقر على الآلة الحاسبة في البنك، بدت مربكة، وغير متمرّسة، وغريبة عن ذلك المجتمع. أما هنا، فكانت واثقة من نفسها وتحظى بتقدير الجميع.

سمعت مينا أمَّها تنفجر من الضحك، وقد بدت ضحكتُها

ضحكةَ فتاة صغيرة. تعجبت داريا من بنات وأبناء عمومتها الصغار، وأحنت رأسها بأدبٍ للرجال الأكبر سناً والذين كانوا أصدقاء آغا جان وزملاءه السابقين، وجثت على ركبتيها لتتمكن من رؤية الطفلة التي أحضرت لها الزهور. «يا لكِ من سيدة صغيرة جميلة»، قالت وهي تحمل فتاةً صغيرة سمراء البشرة. كما ساعدت الخادمة التي استعانوا بها للحفلة، فتنقلت ذهاباً وإياباً بين المطبخ وغرفة المعيشة، ورتبت الحلويات في الأطباق، وحرصت على أن يُزوَّد الشاي على نحوٍ منتظم، بحيث كانت ضيفة الشرف والمضيفة في آن واحد.

انتقلت مينا بين مجموعات الناس وهي تحمل صينية الشاي، وتبتسم لهم وتشكرهم عندما يقول الضيوف إنها تشبه داريا، علماً أنهم كانوا يقدمون لها أكبر إطراء بقولهم ذلك. تحدثت داريا إلى زملاء الجامعة القُدامى، ولاحظت مينا زميلاً سابقاً بالتحديد، وجهه أحمر ومتحمس، لا يرفع عينيه عن داريا. كم من هؤلاء الزملاء والأصدقاء كانوا من خاطبي داريا السابقين؟ كم منهم جاؤوا وذهبوا ولم يُقبَل عرضهم للزواج؟ لماذا اختارت ماماني بارفيز لداريا واعترضت على الآخرين؟ هل كان هناك آخرون كانت داريا تفضّلهم؟ ثم تذكرت مينا أن داريا فضّلت الرياضيات على الزواج، على الأقل في ذلك الوقت. كانت لديها خطط أخرى، إلى أن تبيّن بوضوحٍ أن ماماني كانت لديها خطط زواج. جالت مينا الغرفة بنظرها وهي توزع الشاي. هل كان هناك سيد دشتي من ماضي داريا في مكانٍ ما هنا؟

توجه رجلٌ أشقر طويل نحو مينا ثم مدّ لها يده وقال بالإنجليزية:

– «إنه من دواعي سروري، من دواعي سروري المطلق، أن أراك من جديد».

أدركت مينا أنها تنظر إلى نسخةٍ أكبر سناً من السيد جونسون، صديق والدها الذي كان يعمل في البي بي سي سابقاً، والذي اشتبهت الخالة فيروزه في أنه جاسوس بريطاني، والذي تمنت ماماني أن يأخذ ليلى بعيداً عن إيران.

- «مينا جون! هل تتذكرين ويليام؟»، سألت ليلى وهي تظهر من خلفه، ومعها فتاة صغيرة تُمسكُ بجانبها، وصبي يمسك بيدها. «هل ما زلت مرهقة من رحلتك الطويلة ومن فرق التوقيت؟».

وضعت مينا صينية الشاي جانباً وصافحت السيد جونسون واحتضنت ليلى.

- «أنا بخير»، قالت مينا. «وأنتما، كيف حالكما... أنتما الاثنين؟».

- «أوه، أمورنا على ما يرام»، قال السيد جونسون، «ليس الأمر برمته زهورَ بنفسج ووروداً، أليس كذلك؟ لكننا بخير! ابنة خالتكِ المهندسة تعمل بجدٍّ في جهود ما بعد الحرب».

ابتسمت ليلى بخجل وقالت:

- «أعمال الهندسة رائجة جداً الآن، فنحن ما زلنا نعيد إعمار البلد. إنهم يبقونني مشغولة جداً في الشركة».

- «هذا... رائع»، قالت مينا، إلا أنها لم تستطع منع نفسها من طرح السؤال الذي يدور في ذهنها. «اعتقدتُ أنكما قد انتقلتما إلى إنجلترا معاً؟».

- «أوه، لديّ كل ما أحتاج إليه هنا»، قال السيد جونسون ثم وضع يده حول ليلى، بحركةٍ أظهرت حرصه عليها. «لقد غادر الكثير منكم! الأكثر كفاءةً وذكاءً. وينبغي على الآخرين أن يساهموا الآن، أليس كذلك؟».

شعرت مينا بالذنب فجأة، وقالت:

- «نعم، عليهم فعل ذلك».

ضمّت ليلى مينا إلى صدرها بقوة مرة أخرى، وقالت بهدوء: «كم أنا سعيدة برؤيتك»، ثم جرّتها ابنتُها وقالت إنها عطشانة، وقال ابنها إنه بحاجة للذهاب إلى الحمّام، فترك السيد جونسون وليلى مينا للاهتمام بطفليهما.

تنهدت مينا والتقطت الصينية من جديد.

- «أخبريني، يا مينا جون»، قالت الخالة فيروزه وهي تتوجه مسرعة نحوها وتسحبها من ذراعها. «أوه، ضعي هذه الصينية جانباً ودعيني **أتحدث** إليكِ! أخبريني عن دراستكِ. ما الذي تدرسينه بالضبط؟ الهندسة؟»، سألت الخالة فيروزه وقد أشرق وجهها.

- «لا، ليس الهندسة»، أجابت مينا وشعرت أنها تبدو في العاشرة من عمرها عندما تتحدث الفارسية.

- «أوه!»، قالت الخالة فيروزه وقد بدت خائبة الظن، ثم أشرق وجهها من جديد، وتابعت: «هل هو القانون إذاً؟ هل تدرسين القانون؟».

- «لا، كايفون مَن درس القانون. هو المحامي».

- «أوه»، قالت الخالة فيروزه، وراحت تحدق في مينا بارتياب. «حسناً، نعلم جميعاً أن هومان هو السيد الدكتور، وقلتِ إنكِ تكرهين الطب، أيتها الحمقاء. إذاً، ما الذي تدرسينه؟ سمعتُ أن قريبة ياسمين تضيّع وقتها في الولايات المتحدة على شهادة فنية عديمة الفائدة. أرجوكِ، لا تقولي إنكِ لا تزالين تفعلين ذلك».

- «اممم، لا»، قالت مينا، «لكنني درستُ الفنون كمادة ثانوية في الجامعة».

قلبت الخالة فيروزه عينيها.

- «لكنني أدرس للحصول على ماجستير في إدارة الأعمال الآن»، أضافت مينا بسرعة، «وهو مجال جدّيّ».

صفّقت الخالة فيروزه عند سماع هذه الكلمات وابتسمت لمينا ابتسامةً عريضة.

- «أوه، رائع! هذا شيء مفيد على الأقل. والآن، أخبريني يا مينا جون، ما الذي تفعلينه للحصول على هذه الشهادة. أخبريني كل شيء عنها».

فراحت مينا تشرح المتطلبات الأساسية للحصول على ماجستير إدارة الأعمال، وتمسكت الخالة فيروزه بكل كلمةٍ وكأنها طالبةٌ تنظر في إمكانية الالتحاق ببرنامج الماجستير هذا. وبينما كانت مينا تتكلم الفارسية بمستوى صف الخامس، لاحظت بطرف عينها امرأةً في منتصف العمر وبشعرٍ بني مُصفّف على شكل كعكةٍ كبيرة تتأملها بتمعن، وتتفحصها من رأسها حتى أخمص قدميها. عرفت مينا تلك النظرة، فالمرأة كانت تنظر إليها كزوجةٍ محتملة لابنها، أو لابن أخيها، أو لابن عمها. تشنج جسد مينا، وتحركت بحيث حجب جسدُ الخالة فيروزه الضخم مينا عن مرأى المرأة.

سألت العمة فيروزه:

- «أنتِ تنجزين كل ذلك على جهاز الكمبيوتر؟»، سألت الخالة فيروزه. «مينا جون، هل يمكنكِ أن تعلميني الكمبيوتر؟ أريد أن أتعلم، لكن عمكِ جعفر كسول جداً، ويقول إن الكمبيوتر بدعةٌ سخيفة وسوف تتلاشى، تماماً مثل كاميرات البولارويد. يبدو أنه لا يفهم كل ما سيمكنني فعله، لو كان لدي جهاز كمبيوتر فحسب...».

أومأت مينا برأسها بتعاطفٍ، مدركةً أن المرأة ذات الكعكة البنية قد انتقلت للحصول على رؤيةٍ أفضل من زاويةٍ مختلفة. حاولت مينا تجاهلها والإصغاء إلى قائمة الخالة فيروزه الطويلة عن أخطاء العم جعفر بدلاً من ذلك. وعدّدت الخالة فيروزه المهن التي كان بإمكانها أن تتقنها لو كان العم جعفر أكثر دعماً لها: أستاذة كيمياء، عازفة بيانو، عالمة أعصاب، جرّاحة دماغ.

- «واو». كان هذا كل ما تمكنت مينا من قوله، وبالإنجليزية.

- «أترين، يا مينا جون، كل هذا خطؤه. هذه هي المشكلة. كنتُ مثل السيدة كوري تلك. أعني، **كنتُ لأكون** مثلها، لكنه لم يشجعني أبداً. كان يجدر به أن يشجعني!».

ظهر العم جعفر فجأة وفي يده كوبٌ من الشاي.

- «أوه، أرى أنكِ تثرثرين في أذن هذه الفتاة المسكينة، يا فيروزه جون. نعم، نعم، جميعنا يعلم أنني السبب في أنك لم تحصلي على جائزة نوبل. نعم، نعم، هيا تابعي وأخبريها. أخبريها بكل الأشياء الخاطئة التي قمتُ بها، أعطيها القائمة الفظيعة. هل أخبرَتْكِ أنه كان بإمكانها أن تصبح سائقة سيارة سباق لولا إحباطي لأحلامها؟».

- «لقد أحببتُ القيادة! وكنتُ موهوبة! ولكن كيف لي أن أنمّي كل مواهبي في حين أنه كان عليّ الاستيقاظ في الخامسة من كل صباح لإعداد الشاي للأستاذ؟ كان بإمكاني أن أصبح طبيبة!».

- «ومَن يمنعكِ، يا فيروزه خانم؟ هيا باشري، إذا كنتِ تقصدين ذلك حقاً، فالكثير من الناس يبدأون الجامعة في سنٍّ متأخرة. اذهبي الآن، بدلاً من التذمّر طوال اليوم!».

تحوّل وجه الخالة فيروزه إلى اللون الأرجواني.

- «لقد فات الأوان الآن، أليس كذلك؟ من يعدّ لكَ وجباتك الكثيرة، يا جعفر، ومن يعتني بالمنزل؟ مينا جون، كان سيتضوّر جوعاً لو لم أكن موجودة. فخلال خمسين عاماً من الزواج، لم يطبخ الأرز ولو مرة واحدة، مرة واحدة لم يطبخهُ».

وهي تستمع إليهما يتجادلان بتلك الطريقة القديمة المألوفة، تعجبت مينا من المكان الذي كانت فيه. كانت هناك. واقفة أمام الخالة فيروزه والعم جعفر وهما يتشاجران كما كانا يفعلان طوال تلك السنوات البعيدة. وضعت الخالة فيروزه يدها السمينة على خدها بغضبٍ، بينما دافع العم جعفر عن نفسه.

وفيما واصلا المشاحنات، انسلّت مينا مبتعدةً عنهما. سارت نحو المقعد الأصفر القديم في غرفة معيشة ماماني وآغا جان وجلست عليه. كانت لدى المقعد النتوءات نفسها، والرائحة الصوفية نفسها للمفروشات المخملية. أغمضتْ مينا عينيها، فيما وصلتها من المطبخ ضحكةُ أمها. ومن رنين تلك الضحكة، عرفت مينا أن داريا كانت مع الخالة نيكي، إذ إن داريا تضحك بهذه الطريقة فقط عندما تكون مع أختها. فاحت من المنزل رائحةُ الأرز البسمتي والأعشاب العطرية. تردّدت الأصوات المألوفة من الماضي البعيد في كل مكانٍ من حولها. أسندت مينا رأسها إلى المخمل الذهبي وراحت تصغي فحسب. صرخت مجموعةٌ من الأطفال (أبناء عمومتها؟) «ماركو! بولو!». سمعتهم يركضون. ألم تلعب هي وهومان وكايفون هذه اللعبة في غرفة المعيشة هذه نفسها؟ صرخت حينها متجاوزةً البالغين، ومرّت بالخالة فيروزه وهي أصغر سناً، وبالعم جعفر وقد كان شعره داكناً، بينما كانت أمها تضحك في المطبخ مع ماماني وهما تطبخان الأرز. تاهت مينا في ذلك المكان الجميل بين الماضي والحاضر.

ذكرياتُ ألعاب الطفولة في غرفة المعيشة هذه وفي حفلاتٍ مثل هذه، امتزجت مع أصوات الضحك والثرثرة الحالية، مع رائحة الأرز **والخوريش**، ومع ملمس الكرسي الناعم. إنها هنا. بدا الأمر وكأنهم عادوا جميعهم فجأةً إلى الحياة بعد أن كانوا أمواتاً. لا عجب في أنها شعرت بأنها ليست في بيئتها الطبيعية مع ميشيل وجوليان كرابر: فلطالما كان هناك شيءٌ بعيد عن متناولها في أمريكا. لقد افتقدت هؤلاء الأشخاص طوال ذلك الوقت ولم تكن تعرف ذلك حتى.

- «مرحباً، مينا جون!».

فتحت مينا عينيها، وإذْ بامرأةٍ شابة طويلة القامة واقفة فوقها.

- «لا تمزحي الآن. أعلمُ أنكِ تتذكّرينني!»، قالت الشابة وقد لمعت عيناها الداكنتان.

نظرت إليها مينا بصمتٍ. وضعت المرأة يدها على قلبها متظاهرةً بعدم التصديق، وما هي إلّا لحظة حتّى أثارت أصابُعها ذاكرةَ مينا. تلك الأصابع الطويلة الرفيعة، والنّدبة الواضحة على اليد اليمنى التي جُرحت حين حاولتا فتح علبة طماطم في مطبخ أمها وهما في التاسعة من العمر.

- «بيتا؟!».

- «بله، نعم! مرحباً بك. **كجا بودى**؟ أين كنتِ؟ بقي مكانك فارغاً هنا!».

- «ولكن كيف...؟».

- «لقد طلبتْ والدتكِ من صديقاتها القديمات أن يتصلنَ بوالدتي لتعقّبي. هي تعرف حقاً كيف تقوم بالبحوث! لم أصدق عندما سمعتُ أنكِ عدتِ. أتعتقدين أنني سأفّوت حفلة عودتكِ

للوطن؟ **بكو، جطورى**. قولي لي، كيف حالكِ؟ كيف حالكِ في هذه الدنيا؟».

أمسكت بيتا بيد مينا وضحكت. كانت ضحكتُها شيئاً قديماً من تلك السنوات البعيدة، وشيئاً لم تتوقف مينا عن سماعه أبداً. لقد عرفت تلك الضحكة. ضحكتْ هذه المرأةُ الأنيقة ذات المظهر الراقي الضحكةَ نفسها التي ضحكتها الفتاةُ التي قفزتْ على سريرها وهما ترقصان على أنغام جون ترافولتا في أيام الحرب تلك.

- «لا أصدّق أنكِ أتيتِ، أنكِ هنا حقاً! **بيا ببينم**. تعالي ودعيني أنظر إليكِ»، قالت بيتا ثم سحبت مينا في حركةٍ ما بين الرقص والعناق، ثم أبعدت مينا لمسافة ذراعٍ ونظرت إليها.

- «أنتِ هنا»، قالت مجدداً، «أنتِ هنا حقاً».

* * *

دندت داريا وهي تضع آخر ما تبقّى من فناجين الشاي **استكان** والأطباق المتسخة في الحوض بعد أن غادر الضيوف. كانت البقع السوداء لا تزال تطفو أمام عينَي مينا، لكن الدردشة مع بيتا جعلتها منتشية. لقد تحدثتا عن زملاء الدراسة القدامى والمدرّسين والصبيان من الحي القديم. هذا حصل على شهادة الماجستير في كندا، وهذا حصل على اللجوء في السويد، والطويل الذي أزعجهما كان مدرّساً في طهران، ثم كان هناك أولئك الذين ذهبوا إلى الحرب وعادوا بأطرافٍ مبتورة أو لم يعودوا أبداً، وذلك الخجول الذي انتحر. وماذا عن السيدة أميري؟ إنها مدربة للتمارين الرياضية المائية في لوس أنجلوس الآن. استمعت مينا إلى كل الأخبار والمستجدات من بيتا كما لو كانت في حلمٍ.

وفي نهاية حديثهما، أدلت بيتا بتصريحٍ جعل مينا تشعر بإثارة وعصبية غريبتين، كما لو أنها لا تزال في مرحلة قبل المراهقة.

- «سأقيم حفلةً ليلة الأربعاء. أريدكِ أن تحضريها».

في وقتٍ لاحق من تلك الليلة وفيما استعدت مينا للنوم، شعرت كما لو أنها دُعيت للتو إلى حفلٍ ملكي في قصر الملكة. إلّا أن الملك قد توفّي، ذكّرت نفسها وهي تنظف أسنانها، والملكة فرح تعيش في منزلٍ في ولاية كونيتيكت، وولي العهد كان متزوجاً من محامية في مكانٍ ما في فرجينيا.

الفصل الثلاثون

هذه ليست تمبكتو

صعدت مينا وداريا إلى ناطحة السّحاب الفضّية شمال طهران في مصعدٍ لامعٍ مزوّد بصوتٍ رقمي يعلن عن الطوابق باللغة الفارسية. لقد أتت داريا لاصطحاب مينا وإلقاء التّحية على والدة بيتا، صديقتها القديمة.

- «تذكري أن تساعدي»، قالت داريا لمينا، «كوني مفيدة، لا تقفي وتشاهدي فحسب. ساعدي بيتا في تحضير الحفلة».

فتحت سوري، والدة بيتا، باب الشقة 3G، وبدت نفسها تقريباً، بتسريحة شعرٍ منتفخة وأحمر شفاه، إلّا أنّ البقع العمرية لطخت وجهها.

- «ها أنتما هنا»، قالت سوري، «**واى خداى**، يا إلهي!».

تبادلت داريا وسوري القبل وتعانقتا، ثم تبادلتا القبل وتعانقتا من جديد. واحتضنت سوري مينا في عناق طويل وقبّلتها أيضاً، ثم قامت كلٌّ من داريا وسوري بمسح أحمر الشفاه عن خدَّي مينا.

أحاطت الأرائكُ الجلدية البيضاء غرفةَ المعيشة الفسيحة، وزيّنت لوحاتٌ زاهية الجدران. كان كلُّ شيءٍ عصرياً وحديثاً وعذباً. تذكرت مينا مجموعةً مختلفة من الأثاث من قبل. نظرت مينا إلى التلفاز الذي كان يعرض برنامج أوبرا وهي تُجري مقابلةً مع جون ترافولتا. **واى خداى**، يا إلهي فعلاً.

- «لكن. . .»، بدأت مينا، «ماذا؟».

- «يجب أن تعلمي أننا نشاهد كل ما تشاهدونه في أمريكا. أطباق الأقمار الصناعية هي حليفاتنا! هذه ليست تمبكتو، يا مينا، إنها **طهران!**».

- «أعلم. . . لم أعتقد أن الأمر سيكون. . . أقصد، بالطبع»، قالت مينا وهي تحاول العثور على الكلمات الصحيحة. «أوبرا. يبدو ذلك منطقياً».

- «لقد جاؤوا ونزعوا أطباق الأقمار الصناعية أربع مرات»، قالت سوري وهي تشير إليهما بالجلوس. «لقد تمّ تغريمنا أربع مرات».

هزّت داريا رأسها في تعاطفٍ مُبالغٍ فيه.

- «لا تقلقي، نحن نعيد وضعها من جديد كلَّ مرة. هم يريدون منع أي اتصال لنا مع بقية العالم، لكننا متصلون به»، قالت سوري وهي تومئ برأسها بفخر.

- «أنتم متصلون بشكلٍ جيد»، قالت داريا.

- «لدينا سي إن إن، ولدينا بي بي سي، ولدينا. . .»، قالت سوري ثم وضعت يديها على خصرها، «صوت أمريكا».

أطلقت داريا صفيراً.

- «لا تظني أننا متخلفون هنا، يا مينا جون»، قالت سوري.

حملقت داريا في مينا، وحرّكت رأسها قليلاً ملمحةً لمينا بأن تقول شيئاً.

- «أوه، لا، أنا لم أظن ذلك»، تمتمت مينا.

- «دعيني أساعدكِ في تحضير الطّعام»، قالت داريا وهي تهمّ بالنهوض لكي تتوجه إلى المطبخ.

- «لن أسمح لكِ بلمس أي شيء، اجلسي فحسب»، قالت سوري، «سأُحضر الشاي».

- «رجاءً، دعيني أساعدكِ».

وبعد سبع عشرة جولة من مجاملات **التعارف**، وإصرار داريا على المساعدة في إعداد الطعام «لحفلة الشباب» وإصرار سوري على أنه عليهم كضيوف الجلوس واحتساء الشاي وتناول الفاكهة والمكسرات والبسكويت وبعض الكعك الذي صنعته لأجلهما خصّيصاً، سُمع صوت بابٍ يُصفع.

- «**سلام**، مرحباً»، قالت بيتا، وقد دخلت بمنشفة بيضاء ملفوفة حول رأسها ومنشفة أخرى ملفوفة حول جسدها، ووجهها أحمر من الحمّام.

- «أوه، بيتا، ارتدِ ملابسكِ قبل أن تأتي لتحيّة الضّيوف!»، قالت سوري.

- «حسناً، مرحباً أيتها الخانم الجميلة، أتمنى أن تكوني قد قضيتِ وقتاً ممتعاً في الاستحمام»، قالت داريا.

- «شكراً، شكراً»، قالت بيتا، ورحبّت بمينا وداريا بالقبلات، ثم سحبت المنشفة البيضاء عن رأسها فسقط شعرها الداكن على كتفيها. «سوف أرتدي ملابسي، وأعود بعد ثانية!».

ولأن داريا ثابرت في **التعارف** ولم تقبل أياً من أعذار سوري،

ولأن مينا ادّعت أنها ترغب حقاً في طهي الطعام أيضاً، لم يكن أمام سوري سوى السماح لهما بالدخول إلى المطبخ، حيث حدّقت بهما الديوك الخزفية من فوق الرفوف. وعلى منضدة الغرانيت اللامعة، قامتا بمساعدة سوري في إعداد سَلَطة العدس والنّعناع والشمندر. فقامت سوري بقطف أوراق النعناع المغسول من السيقان، وقامت داريا بفرم النعناع إلى قطعٍ مثالية وأضافت زيت الزيتون والخل والملح والفلفل والكركم إلى عدس سوري المطبوخ، وقامت مينا بتقطيع الشمندر المطبوخ إلى قطعٍ غير متساوية، وقد تلطخت أطراف أصابعها باللون الأحمر.

قُرِعَ جرسٌ خفيف.

- «إنه الفرن»، قالت سوري ثم أخرجت صينيةً مليئة بالنقانق الصغيرة الملفوفة بالعجين.

- «أوه!»، قالت مينا، «خنازير مغطاة ببطانية!».

بدت سوري في حيرة من أمرها.

- «هكذا يسمونها في الولايات المتحدة»، قالت داريا موضحةً وهي تلقي نظرةً حادة إلى مينا.

- «أوه، إنها ليست نقانق خنزير بالطبع»، قالت سوري، «بل نقانق بقر، وهي لذيذة جداً».

لم تكن مينا تعرف لحم الخنزير إلا من خلال الخروج مع الأصدقاء، فداريا لم تقدمه قط، وجعلت الأطفال يطلبون الدجاج الحلو والحامض في المطاعم الصينية، وليس الخنزير أبداً. وكذلك سندويتشات السجق إنْ وُجدت، والتي كانت دائماً سجق بقر.

- «لا تُتعبي نفسك، يا مينا جون»، قالت بيتا وقد التحقت بهن في المطبخ مرتديةً بنطال جينز أزرق وحمّالة صدرٍ رياضية.

- «أوه، لا بأس، لا مشكلة»، قالت مينا.

لقد نشأت مينا في أمريكا، بينما أمضت بيتا فترة مراهقتها في إيران وهي ترتجف في ملاجئ الطوابق السفلى أثناء الحرب وتغطي شعرها بالحجاب كل يوم، ومع ذلك، شعرت مينا في حضورها وكأنها خادمةٌ مطيعة ووقورة. شعرت بنفسها فجأة قديمة الطراز في فستانها الطويل الفضفاض بنقشة الزهور الذي بدا وكأنه من أزياء **بيت صغير في المرج** مقارنةً بملابس بيتا غير الرسمية.

لاحظت بيتا نظرة مينا إلى ملابسها.

- «لا تقلقي، سأغيّر ملابسي قبل الحفلة. لن أفتح الباب وأنا أرتدي حمّالة صدر»،

قالت بيتا ثم قضمت لقمةً مما لم يكن «خنزيراً مغطى ببطانية»، وابتسمت ابتسامةً عريضة ثم تابعت: «أنا أحبّ النقانق كثيراً، أحبّها مشوية ومتبّلة برقائق الفلفل الحار، أحبّها مقطّعة إلى مكعبات ومملّحة، أحبّها في ليالي الخميس وصباح الجمعة على مائدة الإفطار».

توقّفت سوري عن قطف أوراق النّعناع، وتوقّفت داريا عن التّقطيع، ونظرت مينا إلي يديها الملطّختين بالشّوندر.

- «شكراً بيتا على المشاركة»، قالت سوري. «هيا، أحضري لوحاً وقطّعي بعض البصل، فقد سمعتُ ما يكفي عن حبك لـ. . . **النقانق**».

أمسكت بيتا بصلةً وأسقطت عليها سكيناً بقوة، وقامت مينا بمزج الشمندر في السَّلَطة، ثم راحت بيتا تغني، وتناولت قطعةً أخرى مما لم تكن «خنازير مغطاة ببطانية»، وتمايلت بمؤخرتها تزامناً مع تقطيعها البصل.

نظرت سوري وداريا ومينا بعضهن إلى بعض، ولم يسعهن سوى أن يضحكن، فلا يمكن منع بيتا من أن تكون بيتا.

* * *

قبل الساعة الحادية عشرة مساءً بقليل، خرجت داريا وسوري لإتاحة «المجال للأولاد». كانت سوري قد قامت بترتيب الطعام بعناية على الطاولات وتركت مفتاح خزانة المشروبات على طاولة غرفة الطعام. تساءلت مينا عمّا إذا كانت داريا ستتكبد كل هذا العناء من أجل حفلةٍ لها في الولايات المتحدة. إلّا أنه في الحقيقة، لم تنظّم مينا الكثير من الحفلات، فلطالما شعر والدُها وداريا بالقلق بشأن احتمال إحضار المخدرات أو الكحول إلى منزلهما. كان يكفي أن يعيش أولادهما في مثل هذه الثقافة المتساهلة، لذا أقاما حدوداً حيثما أمكن ذلك، من أجل الحفاظ على «اللياقة». ولكن في حالة بيتا، كان العكس هو ما حدث فقد كان والداها يبذلان قصارى جهدهما للمساعدة في حفلتها ولضمان قضاء وقتٍ ممتع للجميع. وكان ذلك لأنهم عاشوا في بلدٍ قمعي، يركز بشدة على قوانين «اللياقة»، والتي عوّضت عنها سوري بإطلاق العنان لابنتها داخل حدود منزلهم.

وصل الضيوف، أزواجاً ومجموعاتٍ، وكانت أذرع بعضهم متشابكة. كانوا جميعاً جذّابين وأكثر عصريةً مما توقعته مينا. أتوا لقضاء وقتٍ طيب، وكانوا يعلمون أنهم سيستمتعون بوقتهم في منزل بيتا. خلعت إحدى الفتيات حجابها لتكشف عن عشرات الضفائر الطويلة والرفيعة المتلألئة بالخرز. لقد جاءت برفقة رجلٍ طويل القامة، ذي عينين خضراوتين، في العشرينات من عمره وله لحية صغيرة. وحين قامت الفتاة بفك أزرار روبوشها، كتمت مينا شهقةً،

فقد كانت ترتدي بنطالاً ضيقاً من الجلد مع بلوزة فضية لامعة بالكاد موجودة، فأظهر لباسُها عضلاتِ بطنٍ مشدودة وحلقةَ سرّتها الفضية.

- «لا بدّ أنكِ مينا. لقد أخبرتني بيتا الكثير عنكِ! أنت تعيشين في **نيويورك**! أنا أحب نيويورك»، قالت الفتاة ذات الضفائر.

- «إذا تمكّنتُ من النجاح هناك، فسأتمكّن من النجاح في كلّ مكان»، قال الرجل ذو العينين الخضراوين واللحية الصغيرة وهو يرفع قبعةً خيالية، مقتبساً من أغنية فرانك سيناترا الشهيرة **نيويورك نيويورك**.

في تلك اللحظة، دخلت بيتا مرتديةً فستاناً أسود قصيراً بدون أكمام، بشعرٍ متموّج، ورائحة العطر تفوح منها. قامت برقصةٍ استعراضية أثناء دخولها، رافعةً ساقيها بحيث اخترق حذاؤها الفضّي المفتوح ذو الكعب العالي الهواء، وهي تدندن مقطعاً من نفس الأغنية: «دا، دا، دا، دوم، دا، دا، دا، دوم! الأمر يعود إليك، نيويورك، نيويورك!»، ثم أمسكت بالفتاة ذات الضفائر والرجل ذي اللحية الصغيرة وانضمّا إليها في رقصةٍ مرتجلة، وسرعان ما سقط الثلاثة على الأرض في كومةٍ فوضوية من الأذرع والسيقان والكعوب الناتئة. انفصلوا بعضهم عن بعض في نوبة من الضحك، وحين استقام الرجل نظر إلى مينا، ورغم أنه كان لا يزال يضحك قليلاً، إلا أن عينيه بدتا حزينتين. مسد لحيته وقال لمينا: «مرحباً بك، مرحباً بك في إيران».

فكّت بيتا ذراعيها عن ذراعي صديقتها.

- «مينا، هذه ليلي»، قالت وهي تشير إلى الفتاة ذات الضفائر وحلقة السرة. «وهذا خليلُها مسعود»، تابعت وهي تلكز الرجل ذا اللّحية الصغيرة في بطنه.

- «أنا سعيدة جداً»، قالت مينا، «أنا سعيدة جداً. . .»، تلعثمت وهي تحاول استخدام العبارات الفارسية الرسمية. «أنا محظوظة لأنني التقيت بكما».

ظهرت الدهشة على محيّا مسعود وليلي، وتبادلا نظرةً سريعة مع بيتا.

- «أوه، لا تكوني رسميّةً وقديمة الطّراز!»، قالت بيتا، «هيّا، إنّها التّسعينيات!».

ضحكوا جميعاً، وضحكت مينا أيضاً، لكن ضحكةً متوتّرة.

- «هل تعتقدن أن الحرّاس يقومون بدوريات هنا الليلة»، قال مسعود وهو يمسّد على لحيته الصغيرة ويتفحّص النّوافذ.

- «لا تقلق، سأتولى أمرهم»، قالت بيتا، فصفقت ليلي راحتِها براحة بيتا وسألتها: «هيه، هل لديكِ آخر ألبومٍ لتوباك؟».

- «أكيد. لن أقوم بتشغيل أغاني مادونا فحسب! هل تريدون أن تشربوا شيئاً، يا رفاق؟».

وحالما حصلوا على مشروباتهم، تحدث مسعود وليلي وبيتا عن الموسيقى. وقفت مينا بالقرب منهم محاولةً المشاركة، لكن لم يكن لديها ما تقوله. ظلّت تفكر في كيفية تعريف بيتا عن مسعود: «خليلُ ليلي». بهذه البساطة. لقد اعتقدت مينا أنه من غير المسموح لهنّ أن يكون لهم أخلّاء. فلطالما قال والداها إن الفتيات الفارسيات لا ينبغي بهنّ أن يتّخذن خليلاً. **عليكِ أن تدرسي وتعملي بجدّ وتحصلي على أعلى الدرجات، وبعد ذلك، عند حصولك على شهادتكِ الجامعية، سوف تتزوجين من رجلٍ فارسي محترم يتمتع بمنصبٍ آمنٍ، وستنجبين الأطفال وتعتنين بزوجك، وبمنزلك، وبأطفالك، وبمسيرتك المهنية.** بدت قواعدُ السلوك التي وضعها

بارفيز وداريا قديمةَ الطراز على نحوٍ مذهل هنا. شعرت مينا بسخافةِ فستانها الطويل بنقشة الزهور، وكأنها شخصٌ غريب الأطوار تطفّل على حفلة أشخاصٍ رائعين.

كانت ليلي ومسعود يتبادلان القبل الآن، فشعرت مينا بالحرج وابتعدت منهما متجهةً نحو طاولة الطعام.

- «أوه، هذان الاثنان!»، قالت بيتا وهي تهزّ كتفيها. «طيور الحب! إنهما في عشٍّ من النعيم خاصٍ بهما. أتعرفين ما أعنيه؟».

- «تماماً»، قالت مينا وقد خطرت لها صورة السيد دشتي وهو يحتسي الشاي في منزل والديها في كوينز.

* * *

رقص الضيوف وتمايلوا على أنغام موسيقى الروك أند رول، وغنّوا كلمات الأغاني الأمريكية الحديثة، وصُدموا بأن مينا لم تكن تعرف كل كلمات الأغاني. «ولكن ألا تعيشين هناك؟»، سألوها بنظراتٍ محتارة. «ألا تستمعين إلى أحدث الأغاني كل يومٍ بما أنك تعيشين في أمريكا؟». هزت مينا رأسها. لا، لا تستمع إليها كل يوم. ليس بالضرورة. ليس الأمر هكذا. ليس الأمر هكذا هناك.

كان معظم الضيوف ثنائيات من شابة وشاب، يتواعدون على أساس علاقة جدّية. وكان بعضهم عازبين مثل بيتا التي انفصلت مؤخراً عن رجلٍ أشارت إليه فقط باسم ساسان السخيف.

قامت بيتا بتقديم مينا إلى فتاةٍ طويلة ونحيفة بدت مثل عارضات الأزياء، كانت جارة مسعود سابقاً وهي الآن مخطوبةٌ لابن عم ليلي. أومأت مينا برأسها وابتسمت وحاولت أن تلفظ الكلمات المناسبة بالفارسية، وسرعان ما ظهر لها نمطٌ واضح بين الحضور. عند سماعهم أنها صديقة بيتا القديمة من الولايات المتحدة، يكون ردّ

فعل الضّيوف الأوّلي هو الإثارة والفضول، ولكن بعد لحظاتٍ قصيرة من الدردشة، يتّضح لهم أنّ مينا من الطراز القديم بعض الشيء. وبعد فترة من الحديث المُهذّب، يلتفت الضيوف ويبتعدون، غير مهتمّين، بعد أن تجول أعين الرجال في الأنحاء، ويبدو الملل على الفتيات. وسرعان ما وقفت مينا بمفردها بجانب طاولة الطعام، تشاهد الآخرين وهم يرقصون.

- «أعلم أنكِ تعرفين هذه الأغنية!»، صرخت بيتا لمينا من حلبة الرقص، «هيا، تعالي».

مشت مينا نحوها بارتباكٍ، فأمسكت بيتا بيدها.

- «أعتقد أنني لا أواكب أحدث الأغاني فحسب»، قالت مينا وهي تقوم بشيءٍ ما بين القفز وحركة الصلاة، محاولةً تقليد بيتا، إلّا أنها شعرت بأنها خارج السياق تماماً. مايلت بيتا وركيها بشكل مُغرٍ وقالت لمينا:

- «أنتِ لا تخرجين كثيراً، أليس كذلك؟».

- «أنا عادةً ما أكون... مشغولةً»، تمتمت مينا. «ليس الأمر وكأن الجميع في الولايات المتحدة يحضرون الحفلات طوال الوقت».

حرّكت بيتا جسدها بالتناغم مع الإيقاع، وقالت وهي تلهث:

- «لو كنتُ هناك... لكنت سأستمتع بكل لحظة من الحرية».

بدأت فتاةٌ قصيرة وسمينة ترتدي فستاناً من الجلد الأخضر ترقص بصخبٍ، وسرعان ما شكّلت مجموعةٌ من الضّيوف الرّاقصين الآخرين حلقةً من حولها. أجسادٌ ملتوية وممتدة ومنكمشة. شكّل الضيوف أنفسهم على شكل كراتٍ منكمشة، ونزلوا إلى الأرض، ثم نهضوا من جديد وقفزوا على الإيقاع. خبطوا بأقدامهم ووثبوا

وانجرفوا مع التيار. حاولت مينا أن تواكب الجو. كان الجميع من حولها يعرفون الحركات، والتي كانت بمثابة تطهيرٍ للقوّات الموجودة خارج الشّقة. كانوا يتحدّون الحرس الثوري. كانت الحرية متاحة، لكن في دفقاتٍ قصيرة، وفي الداخل. كانت رقصةَ هروب.

قفزت المجموعةُ ورقصت، واقتربت من مينا، التي راحت تشقّ طريقها عبر الأجساد المتعرّقة. وبعد أن دفعت نفسها متخطّيةً المرافق والأذرع المرفوعة والمؤخرات المتحرّكة، انسلّت أخيراً خارج تجمّع الراقصين، وأسرعت نحو الحائط، عائدةً إلى طاولة الطعام. كان الصوت صاخباً جداً، وكل شيء زائداً عن الحد. خشيت أن يقتحم أحد الحراس المكان. شعرت بالعطش، فاتجهت إلى المطبخ والموسيقى تطنّ في أذنيها، وبقعٌ سوداء تتراقص أمام عينيها.

* * *

شعرت مينا بالارتياح حين دخلت واحة مطبخ سوري المضاء جيداً، بأسطحه المصنوعة من الغرانيت وديوكه الخزفية. انغلق الباب المتأرجح وراءها، فاستندت إليه وأغمضت عينيها فيما خفّ صوت الموسيقى الصاخبة قليلاً، ثم أخذت نفساً عميقاً.

وفجأةً، قُذِفت مينا بعيداً عن الباب، وبالكاد أمكنها الاستناد إلى حافة المنضدة وموزانة نفسها، وكان فستانها ذو نقشة الزهور قد ارتفع فوق ساقيها. وهي تشعر بالدوار، وضعت يدها على جبهتها لحماية عينيها من ضوء المطبخ الفلورسنت الساطع، وحاولت تمييز الطيف الولقف عند الباب.

- «هل أنتِ بخير؟»، قال الرجل.

ترنحت مينا للحظةٍ وحدّقت فحسب. كان الرجل يرتدي قميصاً أزرق وبنطالاً من القطن الكاكي، وكان شعره الداكن مقصوصاً

قصيراً. بدا مألوفاً على نحوٍ غامض، لكنها لم تعرف السبب. كان هذا الرجل هو الشخص الآخر الوحيد هنا الذي لم يكن يرتدي ملابس ملهى ليليّ برّاق. بدا أكثر بساطة، وكان قد تحدث إليها بالإنجليزية، وبلكنة أمريكية.

- «أنا آسف، لم أقصد إخافتكِ»، قال وهو يقترب منها. «لم أكن أعلم أن ثمة شخصاً وراء الباب. هل أنتِ...»، تابع ثم نظر إلى الفستان الفضفاض الطويل والمتشابك بين فخذيها، ثم نظر إلى وجهها مجدداً. «هل أنتِ بخير؟».

- «نعم، نعم، بالطبع»، قالت مينا وقد شعرت بوجهها يحمرّ.

أمسكت بذيل فستانها وحاولت سحبه إلى أسفل، لكنه كان متشابكاً بشدة فاضطرت إلى جذبه بقوة.

- «أنا بخير»، قالت وهي تحاول أن تبدو هادئةً ومتماسكةً فيما انسدل فستانها أخيراً، ثم رفعت بصرها لترى رجلاً حليق الذقن وذا عَينَين بنّيّتين واسعَتين.

- «حسناً. أنا آسف جداً».

وقفت مينا باستقامةٍ لتُظهر له أنها بخير. ورغم استمرار البقع السوداء في التراقص أمام عينيها، أمكنها أن ترى كم هو وسيم.

سحب لها أحدَ كراسي المطبخ ومدّ ذراعه. رفعت مينا فستانها الطويل وترددت، ثم جلستْ على الكرسي بارتباك، مستندةً إليه، وجلس هو على كرسي بجانبها.

- «لا بدّ أنكِ مينا»، قال مبتسماً، فكشفت ابتسامتُه عن أسنانٍ مثالية.

- «كيف تعرف اسمي؟».

- «أخبرتني بيتا أن صديقتها القديمة جاءت في زيارةٍ من

الولايات المتحدة»، قال وهو ينظر باسماً إلى فستانها الطويل المنتفخ المتجمّع عند ركبتيها. «هذه أنتِ، أليس كذلك؟».

- «نعم».

نظرت إليها الديوك الخزفية في مطبخ سوري، وسُمعت إيقاعاتٌ مكتومة من خارج المطبخ.

- «اممم، من أين أنتَ؟»، سألته ثم شتمت نفسها لطرحها سؤالاً غبيّاً كهذا. هو إيراني بالطبع. عرفت ذلك من مجرد النظر إليه. لكن الإنجليزية المثالية، وغياب اللكنة...

- «من كونيتيكت»، قال لها.

وعند سماع كلمة كونيتيكت، شعرت مينا فجأةً بالحنين إلى الولايات المتحدة. إلى العشب النظيف، وقهوة الموكاتشينو، والصحف بالإنجليزية، والحياة الطبيعية. على عكس هذا المزيج الغريب من حياة الليل على نمط هوليوود وسوهو وسط الأصولية الإسلامية.

- «أنا رامين، بالمناسبة»، قال لها. «سعيد بلقائكِ».

- «أنا سعيدة بلقائكَ أيضاً»، قالت مينا، وشعرت وهي تتحدث إليه كما لو أنها تسقط وتنزلق من على الكرسي.

مدّ لها يده، فصافحت يده الكبيرة والنظيفة.

- «كونيتيكت؟».

- «تمّ نقلي إلى هناك. أنا إيراني من كونيتيكت».

كان كلاهما يبتسم الآن. شعرت مينا بالارتياح. فرغم أنه دفعها عبر الغرفة، إلا أنه ثبتها بطريقةٍ ما.

* * *

قضت مينا بقية حفلة بيتا في المطبخ، فأخبرها رامين عن كونيتيكت ووظيفته في شركةٍ للهندسة المعمارية. كان قد انتقل إلى أمريكا عندما كان في الخامسة عشرة من عمره، وقد عاد الآن إلى إيران لمدة أسبوعٍ فقط، لزيارة جدّته المريضة التي كانت على حافة الموت. اضطر إلى دفع مبلغ كبير من **التومان** لتجنّب تجنيده في الجيش عند دخوله، فمثل العديد من المغتربين، لم يؤدِ الخدمة العسكرية الإلزامية المطلوبة من جميع الذكور الإيرانيين.

- «لقد خاطرت كثيراً بعودتكَ»، قالت مينا وهي ترتشف **الشربت** الذي أعدّه لها. «كان بإمكانهم تجنيدكَ».

- «كنا مقربَين جداً، أنا وجدتي»، قال بهدوء. «لقد عاشت معنا خلال الثورة. كنتُ أعلمُ أنّ مجيئي إلى هنا محفوفٌ بالمخاطر، لكن لم يكن بإمكاني أن أدعها تموت دون أن أراها. لقد أرسلني والداي إلى الولايات المتحدة مع أخي عندما كنتُ مراهقاً، بسبب الثورة. وكانت تلك آخر مرة رأيت فيها جدتي، كما أنني لم أودّعها حقاً حينها. بقينا مع عمي في كاليفورنيا واعتقدنا أننا سنعود بحلول نهاية الصيف، ولكن مرّت ستة عشر عاماً، لذا كان عليّ أن آتي هذه المرة».

نهض عن الكرسي وأخذ كأس مينا الفارغ من يدها وصنع لهما المزيد من **الشربت**، مستخدماً زجاجة شراب الكرز التي تركتها سوري على المنضدة. راقبت مينا يديه القويتين وهما تحركان الشراب في الماء حيث ارتفعت الغيمة الحمراء الداكنة في الكوب إلى أعلى. وفيما عاد رامين ليجلس بجانبها من جديد، كُتمت الموسيقى في الغرفة الأخرى مؤقتاً، ونُسيت الأجساد الراقصة خارج ذلك الباب للحظة.

انفتح الباب فجأة ودخلت بيتا إلى المطبخ، وكان شعرُها الآن منفوشاً مثل عرف الأسد، ومكياجُها البراق متناثراً على وجهها.

- «مينا؟ مينا!»، قالت وقد بدا صوتها متذبذباً من شرب النبيذ. «ها أنتِ ذي!».

توقفت عندما رأتهما، فكانت مينا ورامين جالَسين على كرسيَي المطبخ، وفي يديهما كوبان من شربت الكرز، يتحدثان ورأساهما قريبان.

- «أوه»، قالت بيتا، «أوه، أنتِ بخير، أرى أنكِ بخير».

بدت متسليةً من المشهد. ابتسمت وهي تمشي إلى الوراء وتترنح على كعبيها حتى وصلت إلى الباب واستدارت.

نظر رامين إلى مينا دون أن يقول شيئاً لدقيقة.

- «تبدين بخير»، قال دون أن يرفع عينيه عنها.

شعرت مينا بوجهها يحترق تحت ضوء المطبخ الفلورسنت.

- «أبدو كذلك»، قالت ورفعت كأسها، فرفع رامين كأسه أيضاً. وهناك، تحت رقابة الديوك الخزفية، تلامس كأساهما، وحين رنّ الكأسان، تناثر شيءٌ أمام عينَي مينا. ففي الموقع الدقيق من الفضاء حيت التقى كأساهما، انفجرت البقعُ السوداء أمام عينيها وانشطرت ثم انكسرت أخيراً. لقد اختفت عند ذلك الرّنين، وأصبح بإمكان مينا أن ترى بوضوحٍ تام.

انبثق الفجر في سماء الليل الرمادية، ونادى المؤذنون إلى الصلاة. ارتدى الضيوف بهدوءٍ زيهم المحتشم وأغطية الرأس والمعاطف واستعدّوا للخروج بتكتم، فأصبحت الفتيات الملوّنات الضاحكات الراقصات جميعهن محجّبات، مثل صفٍّ من الغربان، يسرْنَ ويقدْن سياراتهنّ إلى المنازل. ونهض الفتيان وابتعدوا عن

الفتيات اللواتي كانوا يحتضنونهنّ ويلمسونهنّ قبل قليل. كانوا سيمشون أو يقودون سياراتهم إلى منازلهم بشكلٍ منفصل. شاهدت مينا كيف تحولت السندريلات إلى فقيرات، بينما تحولت العربة الساحرة إلى يقطينة من جديد. كان هذا النوع من التوقيت، وهذا النوع من التحوّل.

لاحقاً، عندما غرقت مينا وبيتا في وسائد سرير بيتا، بدأ التأمل الضروري في سيرورة الليلة. أُعجبت داريا بفكرة قضاء مينا الليل في منزل بيتا، وعدم الحاجة إلى القلق بشأن عودتها إلى المنزل في وقتٍ متأخر. قامت بيتا بإطلاع مينا على التحالفات الجديدة التي تشكلت خلال الحفلة، وذكرت برهبة أفضل راقصي الليلة. حاولت مينا الإصغاء لها لكن كل ما استطاعت التفكير فيه هو ذلك الرجل من كونيتيكت. وظلّت تعيد أمسيتهما في رأسها. فعندما وصل ليأخذ معطفه من الخطّاف الموجود في الردهة، شكر بيتا والتفت إلى مينا وقال لها:

- «طابت ليلتك».

فأشارت مينا إلى الفجر الذي يبزغ ببطء خارج النافذة وقالت:

- «صباحك».

وقفا في الردهة مرتبكَين. ارتدى معطفه بينما انتظرت مينا عند الباب. نظر في عينيها مرة أخرى، وكانت هناك طاقةُ جذبٍ تكاد تكون ملموسة، فشعرت مينا بنفسها تهوي من جديد، تسقط، وتسقط، وتسقط.

- «طاب صباحكِ، إذاً»، قال، ثم شاهدته وهو يخرج إلى الرواق ومن ثم إلى المصعد.

- «إذاً؟!»، قالت بيتا وهي تكز مينا.

- «ماذا؟».

- «يبدو أنكِ أُعجبتِ به؟».

- «أُعجبتُ بمَن؟».

كان ذلك بمثابة عودة إلى أيام المدرسة، ولكنهما لم تكونا تتحدثان عن ولي العهد وعن جون ترافولتا الآن.

ضربت بيتا مينا بوسادة، ممازحةً إياها.

- «أتعرفين، الرجل الذي جلستِ معه وتحدثتِ إليه في المطبخ طوال الحفلة...».

- «نعم، إنه لطيفٌ جداً. لطيفٌ حقاً».

ضحكت بيتا داخل غطاء لحافها.

- «هو ليس سيئ المظهر! إنه زميل صديقي طوفان من أيام المدرسة. سألني طوفان إذا كان بإمكانه أن يَحضَر الحفلة معه»، قالت بيتا وهي تتدثر تحت اللحاف. توقفت لبرهة، وتابعت: «لكنه جديّ بعض الشيء. ما السبب في كونكم جديين إلى هذا الحد، أنتم من تعيشون في الولايات المتحدة؟».

هزت مينا كتفيها، فلم يكن لديها إجابة.

- «لقد دعوتُ مجموعةً كبيرة من الأصدقاء لتناول الإفطار صباح الجمعة. يمكنني أن أطلب من طوفان أن يُحضر السيد دشتي أيضاً».

- «ماذا؟».

كانت مينا قد نهضت عن السرير فجأة، وشعرها الواقف يشكّل هوائيات مؤقتة حول رأسها. كيف عرفت بيتا عن السيد دشتي بحق السماء؟

- «ماذا قلتِ؟».

- «السيد دشتي»، كررت بيتا، «السيد الذي تحدث إليك طوال الليل في المطبخ. السيد دشتي».

- «هل هذا اسم عائلته؟ نحن لم نذكر اسمَي عائلتينا»، قالت مينا وهي تحدّق ببيتا، مصدومةً.

- «هذا سلوكٌ أمريكي بامتياز. حسناً، اسمه السيد دشتي، وهو حاصل على شهادة في الهندسة المعمارية، ويعيش في ولاية كونيتيكت، كما تعلمين. ويبدو أن شقيقه الأكبر لديه منصب مهم في شركة كوداك بأتلانتا، أو شيء من هذا القبيل».

استلقت مينا على الوسادة وحدّقت في السقف، ثم انزلقت تحت الأغطية، وقالت هامسة: «يا إلهي. يا إلهي».

- «ما الأمر؟ هل أنتِ بخير؟».

أخرجت مينا رأسها من تحت اللحاف وأمأت بنعم.

- «تبدين شاحبةً، أعتقد أنكِ أُعجبتِ به حقاً!»، قالت بيتا وهي تدس اللحاف حول مينا. «اخلدي إلى النوم الآن، وسيمكنكِ رؤيته من جديد خلال وجبة الإفطار بعد يومين». وبينما كانت تُغمض عينيها، تمتمت بيتا: «لديه أجمل الأسنان، ألا تعتقدين ذلك؟».

- «نعم، أجمل الأسنان»، قالت مينا وهي تستعد لقضاء ليلةٍ لن تغمض لها فيها عينٌ.

* * *

لم تنم مينا ليلتها، بل جلست منتصبةً على السرير، فيما غفت بيتا بجانبها بسلام. من دون مكياجها، بدا وجه بيتا مألوفاً أكثر. فكرت مينا في رامين، ووجدت نفسها تبتسم بشكلٍ عفوي مثل المجنونة، وتذكرت كيف أنها أضحكته، فشعرت بتدفقٍ من الطاقة كلما تذكرت أحد تعليقاتها الظريفة الفذة، وانكمشت كلما تذكرت

لحظاتٍ كانت فيها مربَكة أو سخيفة. لكن طغت اللحظاتُ الممتعة، وكانت محادثتهما لطيفةً وسلسةً للغاية. تسابقت الأفكار وراحت تدور في رأسها، فأبقتها مستيقظةً وفي حالة تأهب. ثم تذكرت أنه السيد دشتي. ما احتمالية أن تكون قد قطعت كل هذه المسافة إلى إيران لتلتقي بشقيق السيد دشتي؟ كيف أمكنها ألّا تلاحظ بعض التشابه بحق السماء؟ الأسنان! كانت أسنانه مثل أسنانه تماماً! هل كان يعلم أنها التقت بأخيه الأكبر لتناول الشاي في منزل والديها؟ كانت الأسئلة تدور في ذهنها بينما كانت بيتا غارقةً في نومٍ عميق. أخيراً، جعلت مينا نفسها تستلقي وتغمض عينيها، ولكن الأفكار ظلّت تطنّ في ذهنها. ومن بين كلِّ الأسئلة، برز السؤالُ الأهم: مع كل خبرتها، وشبكاتها، وأبحاثها المجمّعة في رسومٍ بيانية على برنامج إكسل، كيف فوتّت داريا هذا الأعزب الذي يسكن على مسافةٍ قريبة منهم في كونيتيكت؟ كيف أمكن لأمها التي عثرت على رجالٍ جذابين وأذكياء في جميع أنحاء الولايات المتحدة وخارجها، أن تفوّت هذا المهندس المعماري الهادئ، بقميصه الأزرق وبنطاله الكاكي، وهو يعدّ المخططات المعمارية على طاولة رسم في كونيتيكت؟ «أوه، يا أمي»، فكرت مينا في سرّها فيما بدأت تستسلم للنوم أخيراً، «لو كنتِ تعلمين».

الفصل الواحد والثلاثون

الفطور بجوار بركة السمك

بعد يومين، حملت بيتا ومينا السّماور إلى الحديقة، فقد أصرّت بيتا على أن يُقدَّم الفطور في الخارج، بما أنه كان يوماً دافئاً نسبياً، بالنسبة إلى ديسمبر. لقد جاءت مينا مبكراً لتساعد بيتا في التحضيرات.

- «من المفترض أن يأتي السيد دشتي قريباً، لكن طوفان قال إنهما سيتأخران قليلاً»، قالت بيتا ثم انتقلت إلى بعض المعلومات الأساسية: «قال طوفان إن دشتي نشأ في أمريكا، وإنه لم يذهب إلى هناك مع والديه. بقي هو وشقيقه الأكبر مع عمهما في كاليفورنيا في البداية، وهو يعمل الآن في كونيتيكت، وأخوه الأكبر...».

- «لقد التقيتُ أخاه الأكبر»، قاطعتها مينا.

- «في نيويورك؟».

- «نعم، في نيويورك».

- «أنت تعرفينه؟».

- «لقد تقابلنا».

- «فهمت»، قالت بيتا وقد أوحت تعابيرُ وجهها إلى أنها ستطرح المزيد من الأسئلة لاحقاً.

قامتا بوضع السّماور على طاولةٍ قابلة للطي، وقامت مينا بترتيب خبز **اللافاش والبربري والسنكك** الطازج في صينية، وقطّعت جبنة الفيتا إلى شرائح سميكة. أما المربّيات فكانت من صنع سوري: مربّى التين والسفرجل والكرز الحامض. تذكّرت مينا مُربّى الكرز الحامض الذي كانت تصنعه ماماني، ومئزرها القطني الملفوف حول وسطها السميك، وكمّيها المرفوعين في حرارة الصيف، وقد التصق جزءٌ من شعرها على جبهتها وهي تحرّك محتويات الوعاء النحاسي على الموقد. كانت مينا تقف على أطراف أصابعها وتشاهد حبات الكرز وهي تبدأ في الغليان، مشكّلة الفقاعات. لم تقابل داريا هذا الأخ الأصغر، ولا حتى عرفته. هذا الأخ الأصغر ذو العينين البنيتين اللطيفتين والأسنان المثالية.

كان المجمّع السّكني الذي يعيش فيه والدا بيتا يشتمل في فنائه على حديقةٍ صغيرة مشذّبة، في وسطها بركة سمك مفروشة بالبلاط الأزرق فيها زنابق الماء وأسماك ذهبية. وكانت الجدران المحيطة بالفناء عالية ومصنوعة من الإسمنت، ما يعني أن الحديقة كانت محمية من الرؤية من الخارج.

وصل أصدقاء بيتا لحضور دعوة الفطور، وتعرفت مينا على بعضهم من الحفلة. ارتدى الرجال قمصاناً وجينزات غير رسمية هذه المرة، فيما ارتدت الفتيات الجينز والروبوشات ذات الألوان الزاهية، حتى أن بعض الفتيات خلعْن حجابهنّ، ومن بينهنّ مينا وبيتا، إذ شعرْن بالأمان بما يكفي من أعين الحرس الثوري، خاصة

وأنه كان هناك اتفاق ضمني بين سكان المجمّع السكني على عدم الوشاية ببعضهم. لكن الفتيات احتفظن بمناديلهن حول أعناقهن مستعدات لإرجاعها على رؤوسهن عند الضرورة. شعرت مينا كما لو أنهم في الولايات المتحدة، إلا أنها لم تكن لتتسكع مع هذا العدد من الشباب الوسيمين والمرحين هناك، فكان هذا حشداً مميزاً.

كانت الآن الطاولاتُ القابلة للطي مغطاةً بالهدايا الصغيرة التي أحضرها الضيوف: سلال من الفاكهة، وزهرة الأوركيد في أصيص، وحلوى النوغا. سُكب الشاي الأسود في أكوابٍ صغيرة، وتدفّق الكابتشينو من آلة والد بيتا.

عندما وصل رامين، أهدى والدة بيتا باقةً من الزهور، ثم جاء لتحية بيتا ومينا. وتذكرت بيتا فجأةً أنه عليها القيام بشيءٍ ما، فتركت مينا ورامين بمفردهما. سكب رامين كأسين من عصير البرتقال وجلس بجانب مينا على أحد الكراسي في الحديقة. أخبرته مينا عن البروفسور فان هيوسن، وعن المرة التي طلب منها الإجابة في حين أنها لم تكن قد قرأت المسألة، وأخبرته عن قرارها زيارة إيران. ارتشف رامين عصيره وأصغى إليها، ومرّ الوقت ببطءٍ أكثر. كان الضيوف الآخرون يأتون ويذهبون في الخلفية، يحملون الطعام ويعيدون الأطباق ويرمون المناديل المستعملة ويتأملون الصور الجديدة التي تم التقاطها خلال الحفلة. بقيت مينا ورامين جالسين يتحدثان، بشعرهما الأسود وعيونهما الداكنة وبشرتهما الفاتحة وملابسهما الزاهية - شخصان منسجمان معاً. بعد سنوات من الآن، سنوات وسنوات من الآن، هل سيكونان جالسين على كرسيين في الحديقة، بشعرهما الرمادي وعيونهما الباهتة بسبب إعتام عدسة العين وبشرتهما المجعدة - هل سيكونان معاً ويتجاذبان أطراف الحديث؟

تجرأت بعض الحمامات وهبطت من جدران الحديقة على الأرض بالقرب من كرسييهما. أزواج عجائز وأصدقاء قُدامى. هكذا رأتها مينا. شربت شايها دفعةً واحدة. لا بد أنها فقدت صوابها، إذ تراودها أفكار شبيهة بأفكار داريا، فهي تنتقل إلى المستقبل وتتخيل شعرهما وقد أصبح رمادياً مع تقدم العمر. هذا مجرد فطور. وهذا مجرد مهندس معماري من كونيتيكت، يزور جدته، وهو الأخ الأصغر للسيد دشتي، بحق السماء. لم يكن زوجها المستقبلي!

- «إنه يحب الكيمياء، لكن كلية إدارة الأعمال فتحت له الكثير من الأبواب، وكان العمل لدى شركة كوداك مثالياً. لم أتمكن من رؤيته في المرة الأخيرة التي زار فيها نيويورك، إذ كنتُ بعيداً في الغرب الأوسط لحضور مؤتمر. لم أره منذ فترة»، قال رامين وهو يقوم بموازنة كأسه على ذراع كرسي الحديقة. «هذا هو أخي! على أية حال، لديكِ شقيقان أكبر منكِ؟ هل هما في نيو...».

- «لقد التقيتُ بأخيك»، قالت مينا مقاطعةً إياه فجأة.

شعرت مينا كما لو أنّ الحمَام قد توقّف وحدّق بهما. تابعت وروتْ له اليوم الذي جاء فيه السيد دشتي الأكبر سناً لزيارتهم.

استمع رامين إلى القصة برمّتها وعيناه تلمعان. تفاجأت مينا من أنها لم تخفِ عنه شيئاً.

- «ثم شكرنا»، اختتمت مينا حديثها قائلةً، «وغادر في سيارته وقمت أنا ووالداي بتنظيف الأطباق. فكما ترى، لقد التقيتُ بأخيك الأكبر».

ظلّ رامين صامتاً للحظة، واضعاً ذقنه بين يديه، ثمّ ابتسم ابتسامةً عريضة. نظر إلى مينا جانباً، وراح يضحك. عضت مينا

شفتها وانفجرت بالضحك، وسرعان ما كان كلاهما يضحك. ثم بادرها بالقول:

- «لدينا تقاليد جميلة حقاً، ألا تعتقدين ذلك؟».

- «أوه، نعم. تقاليد مدهشة ليست محرجة **على الإطلاق!**».

ضحك رامين.

- «لكن لا بدّ أن نعترف بمهارة والدتك، فهي تقوم بأبحاثها على نحوٍ جيد».

- «ليس حقاً»، قالت مينا بخجلٍ، «فبطريقةٍ ما، هي لم تنجح في العثور عليكَ طوال هذا الوقت».

- «آها!»، قال رامين وقد احمرّ من رقبته إلى أذنيه. «حسناً، ليس من السهل أن تجدني، فإحصائياتي غير مُدرجة، ولا أملك الكثير من البدلات، ولا أشرب الكثير من الشاي، ولستُ من الأشخاص الذين يظلون في المكان نفسه لمدة طويلة».

كانت الحمامات عند أقدامهما الآن، تلتهم فتات خبز النان. حلقت طائرة فوقهما. وسقطت قطعة من قشرة إحدى الأشجار في بركة الأسماك، فتموجت المياه أمامهما.

- «هل كان يرتدي بدلته البيج؟»، سأل رامين.

نظرت مينا إلى البركة وأومأت برأسها.

- «نعم، لقد ارتداها».

- «إنه يحب تلك البدلة»، قال رامين.

* * *

عندما وصلت إلى باب منزل آغا جان، لم تكن مينا متأكدة مما إذا كانت قد صعدت الدرجات التي خلفها. كانت كلمات الأغاني حقيقيّة إذاً. «نعم، صدق أو لا تصدق، أنا أمشي في الهواء. أقسمُ

أنني لم أحب بهذه الطريقة من قبل. نعم أنت جميل جداً في نظري. إنه عالم رائع». لقد فهمت كل كلمة من كلمات هذه الأغاني الآن. لا عجب أن الشعراء كتبوا هذه الكلمات، ولا عجب أن الإنسان بنى تاج محل («بناه لامرأة **فارسية**!»، لطالما قال والدها)، ولا عجب أن ملوكاً تنازلوا عن عروشهم. هل كان هذا هو الشعور؟ لأن العالم تغير للتو من الأسود والأبيض إلى العرض بالألوان، ألوان يمكنها تذوّقها، ولمسها، ورسمها. قفزت على الدرج وهي لا تستطيع الانتظار لرؤيته من جديد.

فتحت داريا الباب وفي يدها كوبٌ من الشاي.

- «مينا، تبدين متوردة، كيف كان الإفطار؟ هل أنت بخير؟».

قبّلت مينا داريا على خدها بقوة، وعانقتها بشدة، فانزلق حجابها حتى قبل أن تدخل الدار.

- «كان رائعاً جداً، يا ماما جون. لن تصدّقي ذلك أبداً! لقد قضيت وقتاً ممتعاً جداً مع السيد دشتي!».

ثم ركضت إلى غرفة النوم، وقد رأت فم داريا ينفتح ويتجمد من الدهشة.

الفصل الثاني والثلاثون

تضارب المواعيد

في وقتٍ لاحقٍ من ذلك اليوم، راقبت داريا مينا وهي تتصرف أثناء الغداء. كانوا يستضيفون أقاربهم على وجبة غداء، وقد لاحظت داريا أن مينا تبتسم ابتسامةً عريضة جداً لأشخاصٍ لا تتذكّرهم. وراقبتها وهي تشرد وتقف منبهرة أمام الخالة فيروزه. تنهّدتْ داريا. كانت مرحلة الشباب جذّابة وممتعة، وهذا ما جعلها تفتقدها بعد رحيلها. شاهدت مينا وهي تقلّب شعرها وتضحك من دون سببٍ وجيه. ولكن في معظم الأوقات، كان الشباب مزعجين جداً. سكبت داريا لنفسها كوباً آخر من الشاي. ظهر على مينا كل علامات عشق الشباب: الشرود، والضحك، وتعابير الهيام. «دعيها تعيشْ»، قالت داريا في نفسها، «دعي مينا تحصل على ذلك. لتتذوق ما كان لديك». أليس هذا ما قالته داريا لابنتها؟ أن تحصل على جزءٍ مما قد حصلت عليه هي في هذه الحياة؟ مَن كان يصدّق أن تُغرَم مينا بالأخ الأصغر للسيد دشتي؟! لم تفهم داريا كيف أنها فوّتت رامين في

أبحاثها في الولايات المتحدة. لقد احتفظت مصادرُها بالأخ الأصغر لأنفسهن ودفعت بالأخ الأكبر إليها.

ولكن الآن وقد وقعت مينا أخيراً في حب شخصٍ لائق إلى حد ما وبدأت تشعر بالسعادة، شعرت داريا وكأنها لا تريد أن تُفلت منها ابنتُها. لم تكن تريدها أن ترحل. فبعد كل تلك الجداول وكل تلك الحسابات، لم تكن تريد أن تخسرها.

- «متى سيمكنني رؤيته؟»، سألت مينا بعد أن غادر آخر الضيوف الغداء. «فجدولنا هنا مكتظ دائماً».

- «يا إلهي، يا مينا، لقد رأيتهِ هذا الصباح».

- «أعلم، ولكن الأيام القليلة المقبلة كلها محجوزة بالكامل. متى سيمكنني الحصول على وقت فراغ؟».

- «نحن هنا لرؤية العائلة، ولهذا السبب جئنا. لرؤية العائلة في طهران، ولزيارة معالم المدن الأخرى بعد ذلك. لا يمكننا أن...».

- «أفهم ذلك»، قالت مينا.

تنهدت داريا وقالت:

- «دعيني أرى ما يمكنني فعله، ربما يمكنني تخصيص بعض الوقت ودعوته لتناول الشاي...».

- «هل يمكنني رؤيته وحدي؟».

- «وحدكِ أين؟ أي مكان تقابلينه فيه سيكون مليئاً بالأقارب الذين إما يعيشون هناك أو أتوا لزيارتك. لا يوجد شيء هنا اسمه "وحدي"»، قالت داريا بتأفف، «ناهيك عن أنّ ذلك سيكون غير لائق».

- «هل يمكننا الخروج وحدنا؟».

- «الأمر محفوف بالمخاطر هنا، يا مينا. أخبرتني نيكي أنّ الحرّاس بدأوا جولةً جديدة من حملات القمع لكبح السلوكيات "غير الأخلاقية". لقد خرجوا إلى الشوارع بكامل قوتهم هذه الأيام، لدرجة أنهم يوقفون الناس ويطلبون منهم إبراز شهادة زواج! وقد تُغرَّمان أو حتى يُلقى القبض عليكما إذا كنتما بالخارج معاً».

- «ألا يمكننا المشي في الحديقة فحسب؟».

- «لا، إنها مجازفة في الوقت الحالي، ناهيك عن أن برنامجنا محجوز طوال الوقت».

كان هذا صحيحاً، إذ دُعيتا على مدار الساعة لتناول الإفطار والغداء والعشاء، من قِبل أقاربٍ أرادوا استضافتهما وإطعامهما ورؤيتهما من جديد. وقد دلّعهما هؤلاء الأقارب بالباذنجان المقلي، وخوريش الطماطم، والأرز مع السبزي الطازجة، والسمك، واللازانيا مع صلصة البيشاميل، والسلطات الفاخرة، وأفضل أطباق الكباب. أما فيما يخص الحلوى، فكان هناك الأرز بالحليب المنكّه بالزعفران، والمثلجات بماء الورد، وكل أنواع الكعك والمعجنات، وفطائر التفاح منزلية الصنع. وأنفق الأقارب نقودهم على أكبر وأفضل الفواكه من أجلهما، وعجنوا العجين، وحضّروا شرائح **الكتلت** المقلية، ونظفوا غرف المعيشة، وفرشوا السجاد الفارسي احتفالاً بوصولهما. علمت داريا ما بذلوه من جهدٍ من أجلهما، وقدّرت لهم ذلك كثيراً. وبدا وكأن مينا قدّرت لهم ذلك أيضاً، أو على الأقل الشقّ المتعلق بالطعام، فكلما نظرت إليها داريا، كانت مينا تأكل. أرز يقطر بالزبدة، وأرز بحبات الفاصولياء، وأرز مع **الخوريش** الساخن الغني ذي الرائحة الزكية.

- «نحن نزداد وزناً»، قالت داريا، «ما كل هذا الطعام!».

- «هل يمكننا أن نحظى بصباحٍ واحد من دون برنامجٍ محدّد مسبقاً؟».

تنهدت داريا وقالت:

- حسناً، صباح الاثنين بعد الفطور وقبل الغداء في منزل الخالة نيكي.

ركضت مينا إلى الهاتف.

- «ليس من المؤكَّد أن يكون مُتاحاً»، صرخت داريا، «فهو هنا لرؤية جدته، أتذكرين؟».

عادت مينا بعد بضع دقائق، محمرة الخدين.

- «قال نعم. سينطلق يوم الاثنين عند الساعة العاشرة والنصف، بعد تناول إفطارٍ مبكر مع جدته وبعض صديقاتها، وقبل التوجه إلى منزل عمّه الأكبر لتناول الغداء. اقترح أن نلتقي في حديقة الشعب، بالقرب من شجرة كبيرة عند البوابة الرئيسية».

- «حسناً إذاً»، قالت داريا وقد شعرت بثقلٍ في معدتها. كانت حملات القمع قد ازدادت سوءاً، ولم تكن داريا تريد أن تخاطر ابنتها بالخروج في موعدٍ مع شابٍ هنا، إلا أن مينا بدت سعيدةً جداً. ألا تستحق ابنتها تجربة القليل من المغازلة على الطراز القديم في هذه الأرض؟ «أنا أعرف المكان جيداً»، قالت داريا. كانت قد أمضت شبابها في تلك الحديقة، التي كانت أحد الأماكن المفضلة لديها في المدينة. «سأُطلعكِ على كيفية الوصول إلى هناك، لكن عليكِ أن تكوني حذِرة. سيتعين عليكما التظاهر بأنكما أخ وأخت يسيران في نزهة. لا اقتراب، ولا لمس على الإطلاق».

- «فهمت».

- «أنا آسفة، لكن هكذا تسير الأمور. هذه هي القواعد، وعلينا

الالتزام بها. لا أريد أن تثيري الشكوك، وتذكري: ما يحصُل لا يمكن الرجوع عنه».

* * *

في الصباح الذي كان من المقرر أن تقابل فيه مينا رامين في حديقة الشعب، شاهدت داريا ابنتها وهي تجرّب أزياء مختلفة رغم أن أياً كان ما سترتديه سيكون مغطى بالروبوش. وشاهدتها وهي تصفّف شعرها بعناية، وهو الشعر نفسه الذي سيغطيه الحجاب قريباً. أصرّت مينا على ارتداء حجابٍ أخضر، إذ أرادت بعض الألوان حول وجهها. كانت تنبعث منها طاقةٌ مختلفة: بدت متحمسة، لكن هادئة على نحوٍ غريب. ومرة أخرى، انتابت داريا مشاعر متناقضة كون ابنتها بدأت مرحلة جديدة، فكل مرحلة جديدة أبعدتها منها. أغمضت عينيها، ودعت اللّه أن يحفظ لها مينا آمنة. هي أرادت شيئاً كهذا لمينا، أليس كذلك؟ كانت سعيدةً من أجلها، بالطبع كانت سعيدة.

– «استمتعي بوقتكِ»، قالت داريا، «وكوني حذرة. أبلغي سلامنا لرامين، واحذري الحرس الثوري».

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الثالث والثلاثون

تحت شجرة الجميز

غادرت مينا عند الساعة العاشرة. وأثناء سيرها، فكّرت في رامين وهو واقفٌ عند مدخل شقة بيتا ليلة الحفلة، شابكاً ذراعيه، وقد بدا كما لو أنه يستطيع إنقاذ العالم ولا يكترث له في آنٍ واحد.

لقد سبق لها أن رأت مسوّدات الهندسة المعمارية لزملائها في الكلية على أوراقٍ طويلة. لا بدّ أن رامين أنجز المئات من تلك التصاميم، وقد استخدم الحبر الأزرق أو الأسود فقط على الأرجح، فيما أمضت مينا طفولتها تحلم برسم العالم بالألوان. لكنها أُعجبت بمهارات المهندسين المعماريين في استخدام قلمٍ وورقة. أرادت أن تسأل رامين المزيد عن رسوماته، فرغم أنها كانت في طريقها إلى وظيفة في وول ستريت، إلا أن شيئاً ما في لقائها به جعلها تشعر كما لو أنها تستطيع لمس الألوان من جديد. لمْسها وتذوّقها وربما حتى إنشاؤها.

وعند اقترابها من الحديقة، تذكرت مينا كيف خاطر رامين

بمسيرته المهنية وبمستقبله بأكمله للقدوم إلى إيران وزيارة جدته العجوز المريضة. وكيف واجه السلطات في المطار وظلَّ رابط الجأش. كان من الممكن أن يتم تجنيده، أو احتجازه، أو حتى اعتقاله. وكان من الممكن أن يخسر كل ما عمل من أجله في أمريكا.

نظرت مينا إلى يمينها ثم إلى يسارها، وأخذت نفساً عميقاً، ثم دخلت الحديقة.

* * *

كان واقفاً بجانب الشجرة كما وعدها، حاملاً زهرة واحدة في يده، قدّمها لها حين اقتربت منه. كانت وردةً قرمزية. كان التبادل سريعاً، لكنها كانت تدرك بشكل مؤلم أنّ أيّاً منهما لم يكن ماهراً مثل المواطنين العاديين في التعامل مع تهديد الحرّاس اليقظين. ووفقاً للتعليمات، سارا بالتّوازي على بعد حوالي ستة أقدام كما لو كانا يسيران على خطوط سكك حديدٍ غير مرئية. لا اقتراب، ولا لمس على الإطلاق.

كان هناك طفلان، صبي وبنت، يسيران جنباً إلى جنب ويمصان مثلجات على أعوادٍ بطعم الليمون. تذكرت مينا تلك المثلجات، وكادت تتذوق حلاوتها اللاذعة عندما انزلقت القطرات البرتقالية الذائبة على ذقن الفتاة. مرّ بهما الفتاة والصبي، وذراعهما متشابكتان الآن، فهما لم يدخلا بعد سن الخطر حيث جسداهما المتغيران يجعلان علاقتهما آثمةً.

- «يسعدني رؤيتكِ من جديد»، قال رامين بصوتٍ خفيضٍ لكن مسموع بما يكفي لتستطيع مينا سماعه، رغم المسافة الفاصلة بينهما.

- «يسعدني رؤيتكَ أيضاً»، قالت مينا وهي تلقي عليه نظرةً سريعة. كان يرتدي بنطال جينز ومعطفاً بنياً فاتحاً، وكان وجهه

محمراً. كان الجو أكثر برودة الآن. فرغم أن الشتاء كان معتدلاً في العموم، إلا أنها شعرت بالبرد اليوم.

- «هل تشعرين بالبرد؟»، سألها.

- «لا. شكراً لك على الوردة. إنها جميلة».

- «هذا من دواعي سروري»، قال بهدوء. أردتُ أن أتمثّل بالشعراء. «لنشرب النبيذ إذ لن يكون هناك غدٌ، ولنقدِّمْ وردةً لصديقتك من الولايات المتحدة». هل هذا من شعر الخيّام؟

انفجرت مينا ضاحكة.

- «ضحكتكِ جميلة».

- «شكراً لكَ».

هل احمرّ خجلاً؟ تمنّت لو كان بإمكانها أن تنظر إليه لفترةٍ طويلة بما يكفي لتعرف، إلّا أنها أخفضت نظرها بدلاً من ذلك، وكل ما استطاعت أن تراه برؤيتها المحيطية هو ساقاه من الركبتين إلى أسفل، تحت قماش الجينز، وقد تحركت قدماه على إيقاع قدميها.

- «أتعلمين، يا مينا، لقد قضيتُ وقتاً رائعاً في إفطار بيتا، وفي الحفلة تلك الليلة».

هدّأها رنين صوته العميق، وجعلها تشعر كما لو كانت وحدها معه في هذا العالم، جالسةً بالقرب منه، رغم أنهما كانا يسيران في حديقةٍ عامة، محاولين ألّا يراهما أحد.

- «بيتا مضيفة رائعة»، قالت مينا، ثم عقدت ذراعيها لتحمي نفسها من الريح، والوردة على صدرها.

- «هي كذلك فعلاً، لكن هذا ليس السبب. أعني، السبب هو، حسناً، بدا الأمر صدفةً سعيدة، ولكن كان لأننا...».

سمعا صوت محرّك سيارة وصوت صرير فرامل، فتوقف رامين في منتصف جملته. نظرا إلى يمينهما وإذْ بسيارة جيب خضراء قد وصلت إلى طرف الحديقة، وقد جلس في الخلف خمسة أو ستة رجال ملتحين يرتدون زياً عسكرياً ويحملون البنادق. توقفت مينا.

- «استمري في السير»، همس لها رامين.

حدّقت مينا في قدميها.

- «لا تتوقفي، يا مينا. انظري إلى الأمام مباشرة، وامشي قدماً».

انحرفت سيارة الجيب عن الممر وتوقفت فجأة. «اركض، يا رامين»، أرادت أن تصرخ مينا، «اركض قبل أن يأتوا إلينا».

نزل الحراس على بعد بضعة أقدام فقط، وشعرت مينا بأعينهم تنظر إلى كل شبرٍ منها. تمنت فجأة أن تتمكن من العودة في الزمن إلى الوراء وترجيع الشريط، أن تكون صغيرةً من جديد، وأن تعود هي ورامين إلى سن الطفولة، بحيث لا يُعتبر تنزههما معاً جريمةً. ما هو سن المخالفة؟ عشر سنين؟ اثنتا عشرة؟

- «**يا سكار بشت!**»، صرخ أحد الحراس.

كان صوته خشناً، فجفلت مينا. لقد طلب من الحراس الآخرين الانضمام إليه للتدخين خلف الجيب. لم تعرف مينا ما إذا كان يريد التدخين حقاً، أو إذا كان قد لاحظ وجودها برفقة رامين وكان يحاول إنقاذهما من خلال تشتيت انتباه الحرّاس الآخرين. ربما كان متعاطفاً مع سيرهما على خطَّين متوازيين. ربما كانت لديه حبيبةٌ في مكانٍ ما. أو ربما كان كسولاً فحسب ولم يرغب في التعامل معهما الآن. أرادت مينا أن تعتقد أنّ الحارس كان يساعدهما. أرادت أن

تصدّق أن لديها حليفاً في تلك المجموعة بطريقةٍ ما، وهو حارسٌ شاب يدرك أنه ينبغي لشخصين أن يكونا قادرين على السير بسلام.

وأياً كان السبب، كان الحرّاس واقفين الآن في مجموعةٍ بالقرب من الجيب، وبطرف عينها، رأت مينا وميضَ ولّاعةٍ واحتراقَ سيجارةٍ.

أشار رامين نحو شجرةٍ قريبة، شجرة جمّيز ضخمة ذات أغصانٍ تصل إلى السماء وجذع عرضه قدمان.

- «خلفها، قفي خلفها»، همس رامين.

هرعت إلى الشجرة ووقفت خلف جذعها الضخم. كان قلبها يدقّ بسرعة كبيرة بحيث إنها تصببت عرقاً رغم البرد. كانت لا تزال تمسك بالوردة، وأدركت فجأة حماقة الاحتفاظ بها، إذ كانت تكشف أمرهما. تركت الزهرة تسقط على الأرض وغطّتها بقدمها، ولكن ليس قبل أن تتطاير بعض بتلاتها وتتناثر حولها كقطرات الدم.

اتكأ رامين إلى الجانب الآخر من الشجرة. كان بإمكان مينا سماع أنفاسه، فيما ظلّت هي محتجبة عن أعين الحرّاس، فكل ما كان بإمكانهم رؤيته من مكان وقوفهم هو جسد رامين النحيل، شاب يسترخي تحت شجرة فحسب.

- «هل أنتِ بخير؟»، همس رامين والقلق واضح في صوته.

- «نعم، أنا بخير»، أكدّت له وقد ملأ هواءُ ديسمبر الجاف رئتيها وهي تأخذ نفساً عميقاً. «هل هم ينظرون في اتجاهنا؟».

- «نعم، إنهم ينظرون إليّ مباشرة».

- «أوه، يا إلهي».

- «لا بأس، يا مينا»، قال لها بصوتٍ مرتعش قليلاً.

كانت تعلم أنه خائفٌ مثلها تماماً، لكنه حاول أن يظلّ هادئاً من

أجلها، وتمنت لو أنها استطاعت رؤية وجهه فحسب. أرادت أن تطمئنه وأن يطمئنها في آنٍ واحد.

- «لا تتكلم، يا رامين. سيعرفون أنك تتحدث إلى شخصٍ ما».

- «إنهم لا يستطيعون رؤيتك. وحتى لو رأوا شفتَي تتحرك، فدعيهم يعتقدون أنني مجرد رجل مجنون آخر يتحدث إلى نفسه».

لم تستطع منع نفسها من الضحك، إلّا أنها كتمت ضحكتها على الفور.

- «هل سبق لي أن أخبرتُكِ أن لكِ أجمل ضحكة؟»، سألها وقد أصبح صوته أكثر استرخاءً الآن.

- «لقد أخبرتني بالفعل».

- «هل أعجبكِ المكان هنا؟»، سألها برفقٍ.

- «لقد أعجبني حتى ظهر الحرّاس»، قالت وقلبها لا يزال يخفق بقوة. مرّرت يديها المتعرقتين على روبوشها. كرهت أن يكون للحرّاس هذا التأثير عليها، لكن لطالما كان هذا التأثير موجوداً، وسيبقى كذلك على الأرجح، فقد جعل وجودهم الهواء حول الشجرة مشحوناً بالخطر.

- «لا، أقصد هنا».

أدركت حينها أنه لم يكن يسأل عن الحديقة، بل عن البلد.

- «إنه يعجبني ولا يعجبني. منذ اللحظة التي وصلت فيها، لم ألبث أفكر في الرحيل. فأحياناً، يبدو...».

- مختلفاً؟

- «نعم»، قالت، «ولكني لا أقصد مختلف عن الديار، عن الولايات المتحدة...».

- «بالطبع، قاطعها، تقصدين مختلف عن ذي قبل».

حمل صوته العميق فهماً لكلامها. معه، لم تكن بحاجة إلى الشرح. بالنسبة إلى الرجال الأمريكيين، كان عام 1979 مجرد عام آخر. أما رامين، فكان يعلم. فكما هي الحال مع ليلى وبيتا، كان عام الثورة بالنسبة إليه العام الذي انقسم فيه العالم إلى ما قبل وما بعد. ورغم أن الرجال الذين أتوا لتناول الشاي كانوا يعرفون ذلك أيضاً، إلّا أنه لم يكن من السهل التحدث إليهم. فعلى غرار والدها، كان هؤلاء الخاطبون قد عملوا بجدٍّ من أجل «امتلاك» حياتهم الجديدة في أمريكا، لدرجة أن مينا شعرت أحياناً أنهم يخشون أن يعترفوا بما خسروه، والثمن الذي دفعوه. لكن رامين كان مختلفاً، فمنذ المرة الأولى التي تعرّفت إليه فيها في المطبخ في حفلة بيتا، لم يكن لديه أي مشكلة في مواجهة الحقيقة. مع رامين، شعرت مينا بحرية الاعتراف بحزن الخسارة. لقد أراحها صوته الحكيم والهادئ، حتى الآن وهي تختبئ وراء شجرةٍ في حديقةٍ بطهران، وشرطة الأخلاق التابعة للحرس الثوري قابعة بالقرب منهما.

استندت مينا إلى الشجرة وتركت اللحاء يحفر في ظهرها. كانت معرفة أن رامين على الجانب الآخر قد جعلت الجذع يبدو متيناً ومطمئناً.

- «لكنني أحبّ هذا المكان أيضاً في الوقت نفسه»، قالت مينا. «فالطعام...».

- «أعلم ذلك. ففي الأيام القليلة الماضية، تناولتُ طعاماً أكثر مما أتناوله على مدى أسابيع في أمريكا! كما أعلمُ العناء الذي يتكبّده الجميع من أجلنا...».

ابتسمت مينا. فرغم أن البرد جمّد خدَّيها ووجهها، إلا أنها بدأت تشعر بتحسّن، فالحديث إليه يبدّدَ خوفها ويملؤها دفئاً.

- «إنهم يَتعبون ويرهقون أنفسهم أحياناً، فبعض الوجبات هي ولائم فاخرة، و...».

- «كل شيء لذيذ جداً»، أنهى الجملة نيابةً عنها، «إنه شعور جيد أن تكوني مدللة».

نظرت مينا إلى الأوراق في أغصان الشجرة. كانت صفراء باهتة، وحمراء داكنة، وبعضها لا تزال خضراء، والقليل منها برتقالي.

- «والشيء الآخر الذي أذهلني هنا هو الألوان»، قالت له.

امتد عند قدميها بساطٌ نحاسي مرصّع ببتلاتِ وردتِها القرمزية وبعض الأوراق ذات اللون المتوهج. فكّرت في الفسيفساء المتلألئة على المباني في جنوب طهران، وبرك الأسماك ذات اللون الأزرق الفيروزي في جميع أنحاء المدينة، والسجاد الملون ذي النقشات المعقدة في المنازل والمتاجر، وأكوام الزعفران والكركم والسمّاق في البازار، والتصميمات المتعددة الألوان لمساكب الزهور في الحدائق.

- «لا أحد يحدّثكِ عن الألوان»، تابعت مينا.

- «أعلم ذلك. منذ أن رحلتُ، يبدو لي وكأنني أتذكّر حياتي هنا بالأبيض والأسود، ولكن ثمة الكثير من الألوان هنا. لقد نسيتُ كم أفتقدها».

تماماً، قالت مينا في سرّها. تخيّلته مستنداً إلى الشجرة، ينظر إلى الأوراق نفسها ذات اللون المتوهج. استندت بثقلٍ أكبر إلى جذع الشجرة، كما لو أن هذا سيقرّبها منه. لقد جعلها كل من نغمة صوته

ووقع كلماته تشعر بالأمان. كان قلبها قد توقف عن الخفقان الآن، وراح الأدرينالين الذي أجّجها عندما رأت الحرّاس ينحسر. فرغم أنها عرفت أن الحرّاس يراقبون، ورغم أنهم كانوا يحملون الأسلحة، إلا أنها رأت أنه ما دام هو على الجانب الآخر من تلك الشجرة، يتحدث إليها، فهي لم ترغب أن تكون في أي مكانٍ آخر. جالت بيديها على اللحاء المتقشر. كان الهواء جافاً وبارداً، لكن بدا لها أنّ جذع الشجرة يبعث الدفء. في ذلك الصباح، كانت قد استحمّت بصابون ماء الورد، وغسلت شعرها وجففته بعناية. لم يكن بإمكانه رؤية شعرها، ولم يكن بإمكانه شم رائحتها. لم يكن بإمكانه معرفة مدى رغبتها في أن تكون بجانبه.

- «أحياناً، أتمنى لو أمكنني ألّا أغادر أبداً».

- «أعرف»، همست له، «ولكن ينبغي بنا في الأخير العودة إلى حياتنا».

حياتنا. حتى وهي تلفظ تلك الكلمة، تخيلت نفسها تعدو عبر أروقة كلية إدارة الأعمال. فكرت في إجراء امتحاناتها والتشبث بحزام مترو الأنفاق في نيويورك وهي في طريقها إلى العمل. كان لديها أشياء لتقوم بها، وأهداف لتحققها. وكانت لديه اجتماعات ليحضرها، ومشاريع لينهيها، ومواعيد تسليم ليحترمها. **حياتنا**.

- «ما أردتُ قوله هو أنه عندما رأيتكِ في المطبخ في منزل بيتا، أنا... حسناً، ما أقوله هو أنني أعتقد أنه من الجيد لنا أن... اعتقدتُ فقط أن... ماذا إذا كان بإمكاننا البقاء على تواصل؟»، سألها أخيراً.

طفت بعض الأوراق القرمزية والصفراء أمام وجه مينا، حملها النسيم.

- «بالطبع، سنبقى على تواصل»، قالت مينا بارتياح، ثم حدّقت في الوردة على الأرض. «أتمنى لو كان لدينا المزيد من الوقت. أتمنى لو لم يداهمنا الوقت على هذا النحو».

- «سنحظى بوقت أفضل لدى عودتنا إلى أمريكا».

كان بإمكانها سماع صوت قدميه على الأوراق الجافة وهو يعدّل وضعيته. كانت تفوح من الهواء رائحة أوراق الشجر الرطبة والمكسرات المحمّصة. شعرت فجأة بنفسها معلّقة؛ كانا وحدهما تحت تلك الشجرة، وتبدّد كل شيء آخر. تحرّرت من الماضي والمستقبل، وكانا هنا الآن، معاً، حيث كل لحظة تمرّ، وكل لحظة لذيذة وأبدية تمتدّ تحت تلك الشجرة، لا يمكن محوها. كانت لهما.

- «متى ستعودين؟»، سألها، معيداً إياها إلى الواقع.

- «بعد أسبوع. لا أصدّق أنني أمضيتُ نصف إقامتي بالفعل. سنقوم بزيارة بعض المدن الأخرى».

- «دعيني أُخمّن... شيراز وأصفهان».

- «نعم».

- «لديّ ذكريات رائعة عن شيراز، أرض الشعراء. ماذا يسمونها؟! "أرض الحب!". عليك زيارة برسبوليس أثناء تواجدك هناك».

- «هذه هي الخطة. وماذا عنك أنت؟ متى ستعود؟».

- «غداً».

هزّت الريحُ الأغصان، فسقطت بعض الأوراق على الأرض. أرادت مينا إيقاف الوقت وجعل هذه اللحظة تدوم. ورغم الخطر، كانت تتوق إلى الالتفاف حول الشجرة ولمسه. كان الحرّاس

يراقبون. لقد أمضت معظم حياتها في الموازنة بين الثقافات، دون أن تشعر بأنها في وطنها تماماً أبداً. ولكن وهي معه هنا، تحت هذه الشجرة الجميلة الواسعة، كانت في وطنها. معه، شعرت بالانتماء أخيراً.

- «سأغادر في الصباح الباكر».

- «أوه».

- «لكننا سنتّصل أحدنا بالآخر. اتفقنا؟».

مرّت مجموعة من الأمهات والأطفال، وقطعتْ أصواتهم حديثَ رامين ومينا. أسندت مينا رأسها على اللحاء الخشن وأغمضت عينيها. كان من المُطمئن التفكير في أن هذه الشجرة ظلّت موجودة في هذه الحديقة لأكثر من مئة عام. لقد سبقت الحرّاس، وسبقت الحكّام الحاليين، والشاه من قبلهم. كم عدد الأزواج الآخرين الذين وقفوا تحت هذه الشجرة؟ كم عدد المحادثات التي عرفتها؟

فتحت عينيها ونظرت من بين الأغصان إلى السماء ذات اللون الرمادي. مرّ أناسٌ آخرون، وإذا اعتقد أحدهم أنهما بدَوَا كعاشقين، فهما لم يكترثا للأمر. وحدهم الحراس اكترثوا، لأنهم مأجورون من أجل ذلك.

توقفت أصوات المارّة بعد فترة، وبقيا وحدهما من جديد.

- «الجو بارد»، قالت.

- «أتمنى لو أمكنني أن أعطيكِ معطفي».

ابتسمت.

- «هل تعتقد أنّ الثلج سيتساقط؟».

- «أعطيني يدكِ»، همس لها.

سمعت صوت القماش على السطح الخشن لجذع الشجرة.

- «لا، يا رامين، أرجوك. سوف يروننا»، هسهست له.

ولكن رغم خفقان قلبها، مدّت مينا ذراعها اليسرى حول الشجرة، وسارت أصابعها على طول اللحاء بحثاً عن أصابعه. تحسّستْ يده، تلك اليد التي لم تلمسها إلّا مرّة واحدة عندما تعارفا لأول مرة وتصافحا في الحفلة. وجدتها منتظرة. كانت أصابعه دافئة وبشرته ناعمة جداً. ببطء، وبرفق، شبكَ يده بيدها. كان كلاهما يعلمان أنه لا ينبغي بهما أن يفعلا ذلك، ولكن حين تلامسا، لم يكن هناك شيء أكثر طبيعية من ذلك. هل هذا ما تحدثت عنه داريا؟ هل هذه هي السعادة التي أرادت لمينا أن تعثر عليها؟

- «المكان جميل جداً هنا».

تحدثا لبعض الوقت بعد ذلك، عن الثلج الذي رآه على قمة جبال ألبرز كل صباحٍ من نافذة جدته، والفرق بين الكباب هنا وفي الولايات المتحدة، ثم سألها عن رقم هاتفها، فأعطته له، وكرّره عدة مرات كي لا ينساه. وطوال الوقت، كانت يداهما متشابكتين.

ثم بدأ الأمر.

ندفة واحدة أولاً ثم أخرى، رقيقة كالحلم. هبطت على رموشها، وعلى لسانها، وزيّنت يدها التي كانت في يده. ملأ الثلج الفجوات بين أصابعهما، وربطهما كوحدة واحدة، لا كشيئين منفصلين.

وهي مستندة إلى تلك الشجرة وملفوفة بقطعة قماشٍ من رأسها إلى أخمص قدميها، ومع وجود الحرّاس على بعد بضعة أقدام فقط، شعرت بحريةٍ غريبة. لقد حملها صوته العميق وداعبها، وجعلها تشعر كما لو كانت تطفو. بعد سنواتٍ وسنواتٍ من الآن، سوف تتذكر هذه اللحظة. لقد وقعت في الحب، في تلك اللحظة وهناك.

هذا ما عرفته. ولكن هل كان هذا كل ما سيحصلان عليه؟ هل سيبقيان على تواصل حقاً؟ هي ستعود إلى حياتها، بجدول أعمالها المكتظ. وكانت حياته مليئة بالعمل أيضاً. لكن لا يمكن لأحدٍ أن يمحو هذه اللحظة. لا يمكن لأحدٍ أن يجعل ما حدث لا يحدث. عندما تلامست يداهما، كانت المجازفة التي قاما بها ليكونا هنا تستحق كل العناء.

- «لقد تأخر الوقت»، قالت له. وبينما كانت تتحدث، اجتاحها شعورٌ بالضياع. لقد كانت مع الرجل الوحيد الذي أرادته حقاً، وكان عليها أن تغادر. كانت التزامات الغداء تنتظرها، كما كانت عائلتاهما تنتظرانهما. «علينا أن نذهب».

ضغط على يدها مرةً أخيرة، ثم قال:

- «سأتصل بكِ في نيويورك».

ببطء، وعلى مضض، أفلتت يده. سمعت خطواته تتراجع وحفيفَ قدميه في الأوراق التي بلّلها الثلج. ارتجفت. لا بدّ أنه يمرّ بالحرّاس الآن، عائداً إلى منزل جدته، ليذهب إلى المطار، ويعود من ثم إلى حياته الطبيعية. بإذن اللّه. كان لا يزال هناك ما يدعو للقلق بشأن الخروج من البلاد: فقد يتمّ أحياناً اعتقال المغتربين في اللحظة الأخيرة قبل المغادرة. شعرت مينا بركبتيها ترتجفان، ولم تكن تعلم ما إذا كانتا ترتجفان من البرد أو من لمسته أو من وقع قدميه على الثلج.

- «إلى اللقاء»، همست للفراغ.

وهي تخطو بعيداً عن الشجرة، علق حجابُها باللحاء، فسحبته بقوة وانتزعت قطعة القماش أخيراً، لكن حين استدارت، كانت هناك لفةٌ صغيرة من الخيط الأخضر معلقةً بالجذع.

كان الحرّاس لا يزالون يدخنون بجوار الجيب، يدخنون سيجارتهم الثالثة أو الرابعة أو العشرين الآن. مرّر بعضهم جهازَ اتصالٍ لاسلكي ذهاباً وإياباً، ورفع أحدهم نظره فيما كانت مينا تسير بجوارهم متفحّصاً إياها، واستقرت عيناه على وجهها أخيراً. هل كان يعلم؟ هل رأى رامين مستنداً إلى الشجرة؟ هل خمّن أمرهما؟ سارت مينا بوتيرةٍ أسرع وهي لا تزال خائفةً ولكنها تشعر بأنها حيّة أكثر من أي وقتٍ مضى. ولم يكن من الممكن للأشخاص الذين مرت بهم أن يعرفوا أنها تعيش تحوّلاً رائعاً، وأنها شعرت للتو أنّ الحب قد أعاد تشكيل حياتها من جديد.

فكرت مينا في لفة الخيط الصغيرة من حجابها المعلقة على الشجرة. هل ستظلّ هناك بعد أن يتوقف الثلج من التساقط؟ هل ستكون هناك بعد العواصف والأمطار، بعد تغير الفصول، وبعد أن يكبر الحرس، ويشيخوا ويموتوا؟ إلى متى ستظل اللفة الصغيرة الخضراء معلقة هناك، مثبتة في تلك الشجرة الخالدة؟ أرادتها مينا أن تبقى هناك إلى الأبد. أرادت أن تحدّد تلك اللفة من الخيط اللحظةَ التي انقسم فيها عالمُها إلى ما قبل وما بعد جديدٍ تماماً.

الفصل الرابع والثلاثون

شعراء وصلوات وبرسبوليس

- «مينا، انتبهي»، قالت داريا وهي تلوّح بخريطة وهما جالستان على متن الطائرة. «انظري، أذن القطة اليسرى تحدّ تركيا والأذن اليمنى تلامس أذربيجان، وبطنها يتكئ على الخليج الفارسي، وجانبها الأيمن يحتك بأفغانستان وباكستان».

- «أعرف ذلك»، قالت مينا، التي رأت إيران على شكل قطة على الخريطة مئات المرات.

- «هنا تقع الحدود المشتركة مع العراق»، قال آغا جان.

نظرت مينا من نافذة الطائرة وراحت تفكّر في رامين. كلما كان هناك سؤالٌ هام في الحياة ينبغي الإجابة عليه، كانت ماماني تُخرج ديوانها لشعر حافظ، الشاعر الفارسي من القرن الرابع عشر، وتفتحه على صفحةٍ عشوائية، ثم تقرأ ما جاء في الركن الأيمن، حيث يكمن الجواب على سؤالها. تمنت مينا لو أمكنها أن تسأل حافظ عما إذا كانت هي ورامين سيبقيان على تواصل حقاً. مَن يعرف إذا كانا

سيتواصلان أو سيتحدثان بعد عودتهما إلى الولايات المتحدة؟ لقد بدت أوقاتهما في إيران معلّقةً خارج الواقع. هل يمكن للحب الذي شعرت به مينا تحت الشجرة في حديقة الشعب أن يستمر حقاً؟

- «سوف تحبين شيراز كثيراً»، قالت داريا وهي تشد على يد مينا، «بعض أشهر شعرائنا هم من هناك. تشتهر شيراز بأدبها ونبيذها و. . . رومانسيتها! بعد ذلك، سنزور برسبوليس، موقع الآثار القديمة الشهير، ومن هناك سنذهب إلى أصفهان، وهي إحدى أجمل مدن إيران التاريخية».

استمرت الطائرة في التحليق في السماء، وغمزت لها المُضيفة أثناء مرورها بجانبها. كان آغا جان يشخر في مقعده، وتساءلت مينا عما إذا كان رامين قد وصل إلى كونيتيكت.

* * *

أرشدتهم اللافتات المرسومة بأحرفٍ فقاعية على طراز السبعينات إلى بوابة الخروج من مطار شيراز. بدت تلك اللافتات كما لو أنّها لم تُحدَّث منذ عقود. سحب آغا جان وداريا ومينا حقائبهم خلفهم وخرجوا إلى الشارع، حيث استقل آغا جان سيارة أجرة، ومرّوا بشوارع كبيرة تصطف على جانبيها الأشجار، وبمبانٍ جميلة تقف خلف بُرك مياه عاكسة، وبحدائقَ مليئة بالزهور الملونة. وفي الفندق، قُدِّم لهم رجلٌ ذو أنفٍ بارز ولحيةٍ بيضاء قصيرة على أنه مرشدهم. اغتسلوا بسرعة واستعدوا لزيارتهم السياحية الأولى: استراحة الشاعرَين المشهورَين السعدي وحافظ.

كان قبر السعدي الرخامي يقع في نهاية شارع البستان في غرفةٍ زرقاء تبعث على السلام والسكينة، حيث نُقشت أبياته على بلاط الجدران ذي اللون الأزرق البحري.

- «لقد توفي عام 1290 تقريباً»، قالت داريا، «ويُقال إنه كان قد تجاوز المئة سنة».

- «هل تعلمين أنّ رالف والدو إيمرسون(*) كان من محبّي شاعرنا السعدي؟»، قال آغا جان لمينا. «المسي قبره وادعي دعوة».

كان الرخام بارداً ومصقولاً عندما لمسته مينا. أغمضت عينيها ورأت رامين، ودعت أن يكون قد عاد إلى الولايات المتحدة بخيرٍ وسلام.

كانت محطتهم التالية هي مثوى حافظ، وهو ضريحٌ يقع في جناحٍ خاص في حديقةٍ خضراء زاهية. كبرت مينا وهي تحفظ عن ظهر قلب أبياتاً من غزل حافظ الشهيرة، وتصغي إلى ماماني وهي تتلو كلماته الحكيمة. كان لمقبرة حافظ طابعٌ صوفي ساحر، وفكّرت مينا في ماماني وكيف أنها لا بدّ أن تكون قد أتت إلى هنا عدّة مرات. طاف السيّاح في المكان حاملين الكاميرات، ووضعت شابةٌ شفتيها على قبر الشاعر. تساءلت مينا عما كان سيكون رأي حافظ في بلاده اليوم. وتساءلت أيضاً عن رأيه في شخصٍ يخزّن أعماله الفنية تحت سريره ويعمل على جداول البيانات ليلاً ونهاراً.

توجهت مينا إلى الحديقة خارج الضريح وسارت بجانب حوض المياه المتلألئ. كان قد نما بداخلها شعورٌ جديد منذ موعدها مع رامين في حديقة الشعب. كان شعوراً جعلها تشعر بأنه ينبغي بها انتزاع ما تريده من الحياة، بدلاً من الاستمرار في قبول أن يُملى عليها شغفها. لم يكن عليها أن تتوقف عن قراءة الشعر الفارسي،

(*) رالف والدو إيمرسون (1803-1882) مفكّر وفيلسوف وشاعر أمريكي شهير، كان له دور كبير في تطوير الثقافة الأمريكية في القرن التاسع عشر - المترجمة.

ولم يكن عليها أن تتوقف عن فعل الكثير من الأشياء، كالرسم والتلوين.

في تلك الليلة في فندق شيراز، حلمت مينا بأن حافظ كان يسبح على ظهره في المسبح المستطيل المجاور لقبره، وكان السعدي يشرب الشاي مع داريا ويضحك، فيما كانت مينا ترتدي زي مضيفة طيران وتطفو في السماء وذراعاها ممدودتان. «أنا واقعة في الحب!، الحب»، صرخت بأعلى صوتها، لكن السعدي وداريا واصلا حديثهما دون أن يعيراها اهتماماً. وقال حافظ فقط: «لكن هل هو كذلك؟»، ثم أفرغ الماء من نظارة السباحة وتمدّد في الحديقة ليعرّض جسده لأشعة الشمس ويحصل على بعض السمرة.

* * *

«مفاجأة!».

كانت مينا وداريا وآغا جان جالسين في ردهة الفندق بعد تناول الغداء في اليوم التالي، فحدقوا في بيتا الواقفة أمامهم وفي يدها حقيبة صغيرة.

- «لقد أتيتُ ليومٍ وليلة واحدة فقط!»، قالت بيتا. «هذه مدة الإجازة الذي استطعت الحصول عليها. لكن يمكننا زيارة برسبوليس معاً! أنتم لم تذهبوا بعد، أليس كذلك؟».

كانت مينا سعيدةً ومذهولةً لرؤية بيتا في ردهة الفندق. كانت قد أخبرت بيتا عن مسار رحلتهم، لكنها لم تتوقع أبداً أن تلحق بهم، خاصة وأنه لم يكن من يُفترَض بالنساء أن يسافرن وحدهنّ من دون مرافقين.

- «بيتا جون، هل أتيتِ إلى هنا بمفردك؟»، سألت داريا.

- «أخبرت الموظف في المطار أنّ أخي سينضم إليّ»، قالت بيتا. «متى سنذهب إلى برسبوليس؟».

* * *

تحذير

مذكرة مهمة

نُعلم جميع الزوار الكرام أنّ لمس الحجارة أو تحريكها في الموقع ممنوع منعاً باتاً وأن أي نوع من الخدش والكتابة وما إلى ذلك سيعرّض الجناة للملاحقة القضائية.

- «كان يمكنهم على الأقل استخدام تهجئة إنجليزية صحيحة!»، قالت مينا وهي تقرأ اللافتة بالقرب من مدخل برسبوليس.

- «هذا أفضل ما يمكنهم فعله»، قالت داريا بتأفف.

كانوا قد أعفوا مرشدهم من اصطحابهم إلى هنا اليوم، حيث أحضرهم سائق سيارة أجرة وقال إنه سينتظرهم في السيارة. فلم تكن هناك حاجة إلى مرشدٍ سياحي لبرسبوليس في حضور آغا جان، الذي كان أستاذاً للتاريخ في جامعة طهران، وقد كان شغفه والعمل الذي كرّس له حياته هو تاريخ الحضارات القديمة. فور دخولهم إلى المكان، اتخذ آغا جان نبرة الأستاذ. «مرحباً بكم في برسبوليس، **تخت جمشيد**! أنتم الآن تقفون عند أطلال القصور الشهيرة التي بناها داريوس العظيم منذ أكثر من ألفين وخمسمئة سنة!».

شعرت مينا بأنها قزمة أمام الأعمدة المُزخرفة التي تعلوها بشكلٍ مهيب. كان كلُّ شيءٍ مغموراً بأشعة الشمس، وكان الهواء يعبق برائحة الغبار والزمن.

أشار آغا جان إلى تمثالٍ لرجالٍ في موكبٍ يحملون السجاد والكراسي والمزهريات والأواني.

- «هذه وفود من مختلف الأمم تتجه إلى الحاكم الأخميني».

مرّرت مينا يدها على منحوتات الرجال، متأخرةً عند تجعيدات شعرهم الطويل. هل كانت تتخيل ذلك، أم أنّ أحد الرجال يشبه رامين تماماً؟

- «لا تلمسيها، من فضلك»، قال آغا جان.

كادت الأعمدة الضخمة تعانق السماء، وكانت بعض الأعمدة قد انكسرت على مرّ القرون وأصبحت الآن جذوعاً صغيرة، كما أن فجوات واسعة من المساحة الفارغة كانت قد استقرت بين النقوش البارزة المنحوتة بتفاصيلٍ معقدة. التقطت مينا صورةً لبيتا بجانب تمثالٍ لثورين ضخمين بوجهين بشريين، وبالكاد وصل رأس بيتا إلى أسفل أرجل الثورين. فأن تكون صغيراً جداً مقارنة بضخامة هذا الماضي وعظمته هو أمر باعث إلى الحرية والتواضع. التقطت مينا مزيداً من الصور، وسار الناس في صمتٍ مُطبق، يتوقفون للتحديق في عمود هنا أو بقايا جدران قصرٍ ما هناك، كما وقفت مجموعةٌ من الحرّاس على مسافة بعيدة، عند أسفل السهل.

سارت مينا عبر المدينة العتيقة، حريصةً على عدم مضايقة أي حجر قديم.

- «لقد استغرق بناء هذا الجزء أكثر من ستين عاماً»، قال آغا جان. «هذا هنا نحتٌ أخميني وليس آشورياً، لماذا في رأيكم؟».

لم يجب أحد.

- «لأن الثيران في آشور لها خمس أرجل، فيما منحها الأخمينيون أربعةً فقط»، قال آغا جان.

- «بالطبع!»، قالت مينا وهي تضرب جبهتها بكفها.

- «هذا هو المكان الذي استقبل فيه ملك الملوك زوّاره، وهذه سلالم أبادانا»، تابع آغا جان.

تذكرت مينا أنها تعلّمت عن سلالة الأخمينيين وداريوس العظيم في المدرسة. لقد حكم الأخمينيون في حقبة ما قبل الإسلام، عندما كان الدين الرئيسي في إيران هو الزرادشتية، والتي كانت أركانها الثلاثة هي: «الفكر الطيب، والكلمة الطيبة، والعمل الطيب». كان العديد من الإيرانيين فخورين بماضيهم الزرداشتي، وكان آغا جان حتى يومنا هذا يرتدي قلادة على شكل رمزها الرئيسي: إنسان يخرج من قرص مجنّح.

رفعت بيتا نظرها والذهول بادٍ على وجهها.

- «يا لروعة الأشخاص الذين صمّموا ونحتوا كل هذا. ما يستطيع الفنّانون فعله هو أمرٌ مدهش جقاً! أليس كذلك يا مينا؟».

- «صحيح»، قالت مينا، وقد جعلت الطريقة التي سقطت بها الأعمدة في الضوء ذي اللون الزعفراني أصابعَها تتوق إلى فرشاة، وإلى أصغر نقطة من الألوان، أو أي شيء لتجسيد ذلك على القماش.

ربما يمكنها قضاء الليل هنا. تنظيف أسنانها تحت سلالم أبادانا. الشعور بالمنحوتات على ظهر قميص نومها. ربما يمكنها البقاء هنا لفترةٍ من الزمن. أن تعيش هنا وترسم، أن تشرب الشاي الحلو بجوار الأعمدة في الصباح. كان على رامين أن يكون هنا. أن يتأمل كل هذا الجمال بطريقته الهادئة ويصعد معها ليلاً إلى أعلى السلالم. أيّ نوع من الخدش والكتابة وما إلى ذلك سيعرّض **الجناة** للملاحقة القضائية. لن تتفتت الحجارة تحت جسديهما. لقد مارس

الناس الحب هنا قبلهما. عندما امتلأت الجدران بالموسيقى، عندما فاضت الكؤوس بالنبيذ، عندما اكتظت المنابر بالضيوف الضاحكين. لقد سارت النساء مرتدياتٍ ثياباً مرصعة بالجواهر على هذه السلالم. وأقيمت ولائم فاخرة داخل هذه الجدران.

أخذوا استراحةً قصيرة لتناول الغداء: شطائر **الكتلت** في خبز **اللافاش** مع المخللات وشرائح الطماطم التي أحضروها من الفندق في سلّة نزهة، وشاي من ترمس داريا. استكشفوا المزيد بعد الغداء. وعندما بدأت الشمس بالغروب، غمرت مدينةَ برسبوليس بأكملها بضبابٍ ذهبي. هبّت الرياح من حولهم وأصبح الجو بارداً فجأة، فرُفِعت أطراف حجاب مينا مع هبوب الريح.

نظرت داريا إلى والدها وقد بدا عليها القلق.

- «أبي، لقد مشيتَ طوال اليوم، فلا بد أنك مُتعب. تعال معي. يمكننا تناول الشاي في التاكسي»، قالت له ثم التفتت إلى مينا وبيتا وقالت لهما: «يمكنكما التجول قليلاً، ولكن تعاليا إلى السيارة قبل أن يتأخر الوقت».

- «لن نتأخر»، قالت مينا.

قادت داريا والدها بعيداً، وأصبح حجمهما أصغر فأصغر كلما ابتعدا. التفتت مينا إلى بيتا.

- «أنا سعيدة جداً لأنكِ أتيت».

- «أردتُ أن أستغلّ وقتنا معاً إلى أقصى حد. فعند عودتكِ إلى طهران، ستكونين مشغولة جداً مع أقاربكِ في الأيام الأخيرة، ومن ثم ستغادرين إلى الولايات المتحدة! ومَن يدري متى سنلتقي من جديد؟!».

لم ترغب مينا بالتفكير في ذلك. توقفت بيتا عن المشي، ثم استأنفت كلامها:

- **أفضل طريقة لتجربة هذا المكان هي ترك شعرك للريح.**

ثم، وبالهدوء نفسه الذي أزالت به المنشفة عن شعرها المبلل يوم حفلتها، رفعت يديها وخلعت حجابها.

- «بيتا، هل أنت مجنونة؟ ارتديه فوراً!»، قالت مينا وهي تشير إلى مجموعة الحراس الواقفين على بعد.

ولم يمضِ سوى لحظات حتى تجمّدت مينا من وقع حذاءٍ ثقيل، وظهر حارسٌ بجانبهما.

كان شعر بيتا يتطاير مع الريح، وبدت بعض خصلاته ذهبية تحت أشعة الشمس الغاربة.

- «خانم»، قال الحارس مخاطباً بيتا.

نظرت مينا إلى ذراعيه وساقيه النحيلتين، ولاحظت حاجبيه الكثيفين. كان يشبه هومان. كان من الممكن أن يكون شقيقها.

- «نعم»، ردّت بيتا ببراءة. «هل تحدّثتَ إليّ؟».

انكمشت معدة مينا، وتخدرت ذراعاها فجأة. لم يتغير شيءٌ منذ اليوم الذي تعرّفت فيه بيتا على زجاجة الويسكي في صف السيدة أميري.

حدّق الحارس في مينا، فهو لم يكن لينظر إلى امرأةٍ مكشوفة الرأس مباشرةً.

- «ما الخطب؟ هل لديكَ ما تقوله لي؟»، كرّرت بيتا بصوتٍ عالٍ وغاضب.

احمرّ وجه الحارس خجلاً، فقد انتقصت بيتا من سلطته بمخاطبتها إياه بنبرتها العامية، وذلك باستخدام ضمير المفرد «أنت»

باللغة الفارسية بدلاً من ضمير الجمع الأكثر رسمية «أنتم». حدّقت مينا في المسدّس المتدلّي من حزام الحارس. وبجانب مسدسه كان هناك جهاز اتصال لاسلكي يمكنه تحذير الحراس الآخرين من خلاله، فراح قلب مينا يخفق في صدرها بشدة.

- «أنتِ موقوفة»، تمتم الحارس وهو ينظر إلى الأرض، ثم نظر إلى بيتا مباشرةً وقال: «تعالي معي فوراً، أيتها الفاجرة».

تصاعد الغضب في مينا مثل موجةٍ شقّت طريقها من أسفل قدميها ذواتي الحذاء الرياضي حتّى رأسها المغطّى. نبرته، وادعاؤه الصّلاح، ومعاملته لبيتا كما لو كانت دون البشر جعلتها تصرخ:

- «يجب أن تخجل من تنمّرك على امرأةٍ بهذه الطريقة! لم يكن هناك أحد. كانت واقفة هنا معي فحسب. اذهب، واتركنا وشأننا!».

حدّقت بيتا في مينا مذهولة.

بدا الحارس مصدوماً للحظةٍ قصيرة، ثم تحوّل تعبيرُ وجهه إلى تصميمٍ وعزمٍ شرس، إذ تجاوزت إهاناتُ مينا الحدود. لم يعد يشبه هومانَ. «بإمكاني أن أعتقلكما الآن»، قال الحارس ببطء، «وسنفعل بكما ما نريد بعد ذلك. هل تفهمان؟».

شعرت مينا بالأدرينالين يتدفق عبر ذراعيها وساقيها. ومن دون أن تفكّر، ارتكزت على قدمها اليُسرى، ورفعت ساقها اليمنى، وثنت ركبتها، وحدّدت هدفها، وركلته بكل ذرة من كيانها. لقد حدث كلّ ذلك في غضون ثوانٍ. ركلةُ دفع الكعب الجانبية، وهي الركلة التي كانت قد تدربت عليها طوال حياتها تقريباً. أصابته ركلتُها في «المكان الحسّاس» كما أشار إليه كايفون في دروس الكاراتيه، وطار جهاز الاتصال اللاسلكي من حزامه وسقط على بضعة أقدام من بيتا.

- «خُذيه»، صرخت مينا لبيتا.

توقفت بيتا مذهولةً، ثم أمسكت بجهاز الاتصال اللاسلكي.

- «اركضي!»، صرخت مينا.

ركضتا كما لو أنّ حياتهما توقفت على ذلك. ركضتا متجاوزتَين التماثيل القديمة لحاملي هدايا الملك، وسلالم الملك داريوس، والأعمدة المكسورة التي انتهت جذوعها في الهواء. ركضتا متجاوزتَين البقايا الذهبية-الرمادية لزمنٍ ولّى، متجاوزتَين المجد الماضي والعظمة البائدة. ركضتا في الاتجاه المعاكس لبقية الحراس الذين كانوا لا يزالون واقفين في مجموعة، غير مدركين أن رفيقهم يتلوى على الأرض ألماً وقد ركلته فتاةٌ على خصيَتيه. ركضتا وركضتا، وروبوشاهما يطيران في الهواء، وأقدامهما تخبط الأرض، وأنفاسهما صاخبة تصمّ الآذان، وقلباهما ينبضان أسرع من أي وقتٍ مضى. لم تتوقفا عن الركض حتى وصلتا إلى سيارة الأجرة المتوقفة على جانب الطريق، ثم ركبتا فيها وأغلقتا الباب وراءهما بقوة.

- «ماذا حدث؟»، سألت داريا وقد بدا الخوف واضحاً على محياها.

- «ماذا بحق السماء...»، تمتم آغا جان.

- «انطلق!»، صرخت مينا في السائق.

قفز السائق مذهولاً، شغّل المحرك وضغط على دواسة البنزين بسرعة كبيرة بحيث انسكب شاي داريا على المقعد الخلفي.

- «أسرع، أسرع، أرجوك»، قالت بيتا متوسلة.

قاد السيارة بسرعة، وخالف كل القوانين، وتجاوز السهول، واستمر مُسرعاً على الطريق السريع.

توقفت داريا عن شرب الشاي، وتمايل آغا جان في المقعد الخلفي للسيارة، منكمشاً على نفسه ومُرتبكاً. لم يكن هناك وقتٌ

للشرح. وحين وصلوا إلى ضواحي المدينة، أنزلت مينا النافذة ورمت جهاز الاتصال اللاسلكي الخاص بالحارس.

وعند وصولهم إلى وسط مدينة شيراز حيث سارت السيارة الآن ببطءٍ في الشوارع، أمسكت بيتا بيد مينا وشبكت خنصرها بخنصر صديقتها.

- «شكراً»، همست لها، «أنا فقط... أفقد السيطرة على تصرّفاتي أحياناً».

- «أعرف»، قالت مينا وهي تشدّ على خنصر بيتا، «أنا أعرفكِ جيداً».

الفصل الخامس والثلاثون

نصف العالَم

غادرت بيتا في اليوم التالي، عائدةً إلى طهران، وإلى عملها في شركة الإعلانات حيث كانت رئيسة قسم اللّوحات الإعلانية على الطرق السريعة، فيما واصلت مينا وداريا وآغا جان طريقهم إلى أصفهان، سُعداء بترك شيراز وركلة مينا للحارس وراءهم.

- «كان بإمكانه أن يُطاردكما، وأين كنا سنكون حينئذٍ؟»، قالت داريا وقد خفق الوريد في جبينها.

- «لم يكن بإمكانه مطاردتهما فهي جعلته عاجزاً عن ذلك»، قال آغا جان، ثم التفت إلى مينا. «ما فعلتِه كان خطيراً حقاً»، قال لها ليس للمرة الأولى، ولكن ميّزت مينا نبرة فخرٍ في صوته.

وحين وصلوا إلى أصفهان أخيراً، سجلوا دخولهم إلى فندقٍ كبير وعريق، سلالمه مغطاة بالسجاد الأحمر، وتناثر السجاد الفارسي في غرفه الشاسعة.

- «أصفهان ملقَّبة بـ **نصف جهان**، نصف العالم»، قال آغا جان

على وجبة غداءٍ من الكباب والأرز. «اذهبا لرؤية الكنيس اليهودي، اذهبا لرؤية المسجد. داريا، أري هذه الفتاة نصف العالم».

وبينما كان آغا جان يأخذ قيلولة بعد الظهر المعتادة، اصطحبت داريا مينا إلى الساحة الرئيسية لأصفهان، حيث اصطفت الخيول والعربات من أجل السياح. كان البازار في أحد الأطراف، والمسجد الرئيسي بمآذنه المتلألئة في طرفٍ آخر، كما كانت هناك متاجر للحرف اليدوية في جميع أنحاء الساحة. أرادت داريا قضاء بعض الوقت في البازار، لكن مينا كانت متحمسةً لاستكشاف محلات الحرفيين، فاتّفقتا على الانفصال لمدة ساعة ثم تناول الشاي معاً.

تجوّلت مينا بين المحلات التجارية، وتوقفت من حين لآخر لالتقاط صورٍ للمباني القديمة من حولها. **سيتّصل عند عودتهما إلى الولايات المتحدة، لِمَ لن يفعل؟** نقرت على كاميرتها والتقطت صوراً للمآذن الفيروزية وقبّة المسجد ذات الشكل الكروي في نهاية الساحة.

في واجهة أحد محلات الحرف اليدوية، لفت انتباهَها صندوقُ **خاتم** مطلي بنقوشات ملوّنة بالغة الدقة والجمال، على طراز اللوحات المنمنمة الفارسية القديمة، وكان على الصندوق وجهُ امرأةٍ شابة يقبّلها على خدّها رجلٌ يرتدي عمامةً، وقد كان تعبير المرأة في منتهى السعادة. لم تستطع مينا رفع عينيها عن الصندوق، فراحت تحدّق فيه لبضع دقائق، ثم دخلت المتجر.

كان المتجر مُعتماً في الداخل وتفوح منه رائحة المعدن والغراء والطلاء. سمعت مينا نقراً وضرباً بمطرقةٍ صغيرة على شيءٍ ما. وبعدما تكيّفت عيناها مع الضوء الخافت، رأت رجلاً منحنياً فوق

طاولة. بدا وكأنه في حالة افتتانٍ وهو يطرق على صينية معدنية، وعُلِّقت على الحائط خلفه عشرات الصواني والأطباق الفضية والنحاسية المنقوشة ببراعة. ميّزتْ مينا مناظرَ لطيورٍ وغزلانٍ ولقالقَ وزهورٍ. طارت يدا الرجل وهما تقطعان الهواء محدثتَين صريراً خافتاً.

«اجلسي، استريحي، واسترخي»، قال لها.

فاجأتها نبرة صوته غير الرسمية، إذ استخدم تصريف الفعل المفرد «أنت» باللغة الفارسية، كما لو كانت فرداً من عائلته أو صديقةً له.

اقتربت منه وتمكنت من رؤية أنه كان ينقش وردةً، كتلك التي أعطاها إياها رامين في الحديقة.

- «هيا، اجلسي».

أطلت عيناه الرماديتان من فوق نظاراته المستديرة، وبرزت خصلاتُ شعرٍ بلون الفولاذ على جانبَي رأسه. كان قميصه مفتوحاً من الأعلى، كاشفاً عن المزيد من الشعر فولاذي اللون على صدره. وكان يرتدي بنطال بدلة رمادية مع نعالٍ بلاستيكي أبيض.

جلست مينا على كرسي خشبي عالٍ بالقرب من الطاولة.

- «زيارة؟»، سألها.

- «بله، نعم».

ثم عاد ونقش طائراً بجانب الوردة.

- «من أين؟».

- «أمريكا».

- «آه»، قال وهو ينقش جناحين للطائر، «الكثير منكم يعودون».

لم ترَ مينا أيادِيَ تتحرك بهذه السرعة إلا مرةً واحدة من قبل، عندما كان العم جعفر يعزف لهم على السيتار عندما كانت طفلة.

شكّل الرجلُ جسدَ الطائر وكأنه يداعب آلته الموسيقية الخاصة. لم يسأل: لماذا رحلتِ؟ متى رحلتِ؟ هل يعجبكِ البلد هنا؟ لقد بدا مشغولاً تماماً.

وبعد لحظةٍ من الصمت، ورغم أنها لم تقل شيئاً، قال وكأنه يردّ على سؤالٍ طرحته عليه مينا:

- «خمس وأربعون سنة. هذه هي المدة التي قضيتها في هذه الحرفة. وربما أكثر من ذلك إذا حسبت الوقت الذي قضيته فيها وأنا طفل».

ظهر من نقشه طائرٌ فخور وجميل، ذو صدرٍ مستدير وجناحين مبسوطين.

- «كلَّ يوم»، أضاف وكأن مينا سألته للتو عن الوتيرة التي قام بها بهذا العمل. نظر إلى أعلى، وابتسم. «ما عدا يوم الجمعة، فهو يوم اللّه»، تابع ثم رفع الصينية المُنجزة.

- «إنها رائعة»، قالت مينا.

- «نحن الفنانين»، قال لها، «ينبغي علينا أن نقوم بعملنا، صحيح؟».

لم تكن مينا متأكدة مما ستقوله. **نحن الفنانين؟**

- «هل تقول لك الحكومةُ ما يمكنكَ وما لا يمكنكَ صنعه؟»، سألته.

- «هم يقولون لي ما يمكنني وما لا يمكنني بيعه، أو عرضه»، قال وهو يجمع البرادات من على الطاولة. «ولكن لا يمكن لأحدٍ أن

يؤثر على ما يمكنني أو ما لا يمكنني صنعه»، أضاف ثم نظّف يديه بقطعة قماشٍ قديمة ونهض. «تعالي، دعيني أُريك شيئاً».

انتقل الحرفي إلى الجزء الخلفي من المتجر حيث كان شرشفٌ أسود معلّقاً بمسامير مُثبتة في الحائط. حذّرها صوتٌ بدا تماماً مثل صوت داريا من اتباع الغرباء خلف الستائر السوداء، لكن مينا نهضت وتبعت الحرفي، الذي قام برفع الشرشف جانباً.

كانت خلف الستار غرفةُ تخزينٍ كبيرة، برفوفٍ مكتظة بالصواني المنقوشة، والخزف المزخرف، وصناديق الفسيفساء، كما تكدّست أكوامٌ من الأطباق النحاسية المنقوشة بعنايةٍ شديدة على أحد الرفوف، وكانت صناديقُ الفسيفساء **خاتم** باللونين الذهبي والأزرق وبكل الألوان الممكنة موضوعةً في مجموعاتٍ على الأرض. وغطت كلَّ شبرٍ من الجدران لوحاتٌ جلدية مزيّنة بخطوطٍ مزخرفة وعشراتُ اللوحات الفنية الأخرى. مشاهدُ لعشاقٍ وهم يحتضنون بعضهم بعضاً، ولرجالٍ ونساءٍ وهم يرقصون ويتسكعون تحت الأشجار أصابت مينا بالدوار. برزت لوحةٌ كبيرة، لامرأةٍ ذات شعرٍ طويل ترتدي ثوباً أرجوانياً، تستند إلى شجرة وتعزف على ما يشبه الغيتارة الصغيرة فيما كان ينظر إليها رجلٌ يرتدي جلباباً فضفاضاً. تعرفت مينا إلى وجه المرأة، فقد كان هو نفسه الذي رأته على الصندوق الموجود في واجهة المتجر. وكان على وجهها تعبير السعادة نفسه.

- «هل تعجبك هذه؟»، قال الحرفي وهو يتجه نحو اللوحة. «إنها إحدى اللوحات المفضلة لديّ. تعالي، ودعينا نتناول بعض الشاي».

- «أوه، لا، لا يمكنني...»، قالت مينا.

- «أرجوكِ، لا داعي لرسميات **التعارف**».

توجه إلى سماور موضوعٍ على طاولةٍ صغيرة بالقرب من سريرٍ نقال لم تلاحظه مينا من قبل، عُلِّقت فوقه صورةٌ مؤطرة لشاب.

- «أنا آخذ قيلولة بعد الظهر هنا»، قال الحرفي وهو يمدّ لها استكان من الشاي، قبل أن يجلس على السرير. «سمعتُ أنّكمَ في أمريكا لا تأخذون قيلولة بعد الظهر. صحيح؟».

- «ليست لدى الناس هناك عادة... أسرّةٌ في مكان العمل»، قالت مينا.

- «ولِمَ لا؟ ليس من الحكمة الاستغناء عن قيلولة بعد الظهر، فهي مفيدةٌ لقلبكِ»، قال ثم نقر على صدره بأصابعه الملطخة بالحبر. «أما عن سؤالك عمّا تسمح لي الحكومة بصنعه، فاعلمي، يا صديقتي، أن الحكومات تأتي وتزول، أما نحن الفنانين، فنواصل عملنا. كلَّ يوم».

جلستْ على كرسي بجانب السرير وشربا الشاي معاً. كان من المفترض أن تشعر بعدم الارتياح وهي تجلس في غرفة تخزين مع رجلٍ غريب، لكنها شعرت كما لو كانت مع روحٍ مقربة، روحٍ من عالَمٍ آخر.

شرب كأس الشاي دفعةً واحدة، ثم نهض.

- «لنعد إلى العمل»، قال على نحوٍ عفوي.

وهما يخرجان من الغرفة، ألقت مينا نظرةً أخيرة على لوحة المرأة التي تعزف على الغيتارة تحت الشجرة مع رجلٍ بجانبها، وتشبّعت منها.

وبتحريكٍ للسّتارة السّوداء، اختفت غرفة التخزين وعادا إلى المتجر، فانزلق الرجل خلف طاولته، والتقط مطرقته ومسماراً، وفي غضون ثوانٍ كان ينقش أرجل طائر اللقلق.

- «أودّ أن أشتري صندوق الخاتم الموجود في واجهة المتجر، صندوق الرجل والمرأة»، قالت مينا فجأة ثم أخرجت محفظتها.

- «إنها هديتي لكِ. أرجوكِ».

- «لا، لا»، أصرّت مينا، ثم وضعت المال على المنضدة. «وشكراً جزيلاً على الشاي».

ذهب إلى واجهة المتجر وأحضر الصندوق ثم لفّه لها بورق الجرائد. كانت مينا عند الباب ويدها على المقبض حين قال:

- «ابني توفي في الحرب».

بالطبع. الصورة فوق السرير. وجه ابنه الشاب.

- «زوجتي تعاني من أفظع الآلام الآن؛ **افسردكى**، الاكتئاب. وهذا وجهها على ذلك الصندوق الذي تحملينه وفي تلك اللوحة التي أعجبتكِ. هذه هي عندما كانت سعيدةً».

- «أنا آسفة جداً»، قالت مينا.

- «ابننا كان قرة أعيننا. وزوجتي هي روحي، وعندما أرسمها كما كانت، هي تعودُ إليّ»، تمتم الحرفي. «هيا، اذهبي، وليحفظكِ اللّه».

- «**خداحافظ**، وداعاً»، أجابت مينا.

فتحت الباب وعادت إلى وهج الساحة من جديد. كانت الشمس مبهرةً. المحلات التجارية، عربات السياح التي تجرها الخيول، أصوات العالم الخارجي وروائحه، كلّ ذلك غمرها. فكرت في الحرفي المنحني على طاولته وهو ينقش رسوماته.

أدركت أنها تريد التقاطَ صورٍ لكلِّ زاويةٍ من المآذن والمباني القديمة، والاحتفاظ بصورة بيتا بجانب تماثيل برسبوليس، والبقالِ مع صناديق البصل، والشبابِ الذين رقصوا في غرفة المعيشة للمبنى

السكني. لم تكن تريد أن تنسى الشجرةَ في حديقة الشعب أبداً، والطريقةَ التي كانت تتساقط بها أوراقُها وهي تصغي إلى حديث رامين، والثلجَ الذي تساقط على يدها المشبكة بيده. كيف يمكنها أن تمنع هذه الصور من أن تُفلت من بين أصابعها؟ لماذا لم ترسم؟ متى توقفت عن فعل ما تحب؟

لم تكن الكاميرا كافيةً. لم تكن كذلك أبداً.

عرفت مينا ما كان عليها فعله.

* * *

شقّت داريا طريقها عبر أزقة البازار، وتوقفت لتغربل التوابل بين يديها، وتشمّ رائحة الهيل والكمون، وتتحسس الحواف الخشنة للّيمون المجفف. ناداها الرجال وروّجوا لبضائعهم، وواصلت السير وهي تشق طريقها بين الناس الذين ملؤوا أزقة البازار. شعرت بنفسها بعيدةً جداً عن وظيفتها في البنك، وعن منتدى الرياضيات، وعن فصلها عن مواصفات جداول البيانات. ماذا سيفعل سام في مكانٍ كهذا بحق السماء؟ لن يعرف حتى أين ينظر وماذا يقول. لكن بالنظر لكونه شخصاً هادئاً ودوداً، من المحتمل أن يجد طريقةً للتنقل في هذه الأزقة، بحيث إنه سرعان ما سيشعر بالاسترخاء هنا أيضاً، فقد كان شخصاً من هذا النوع. يعيش في سلامٍ مع نفسه ومع العالم، وهو ما جعله - هي علمت ذلك - جذاباً في نظرها. لقد أحبّت هدوءه.

ولكن في الحقيقة، كانت تفتقد بارفيز. طوال ذلك الوقت في الولايات المتحدة، كانت تفتقد إيران، والآن وقد عادت إلى إيران، جعلها كلُّ شيءٍ تفكّر في بارفيز. فهو كان سيُسعد برؤية الجميع من جديد. كان سيجلس إلى طاولة المطبخ ويثرثر مع آغا جان، وكان

سيتجادل مع العم جعفر حول الموسيقى والفلسفة من جديد. لقد افتقدت صوتَ بارفيز العالي، وحتى خطاباته المستلهمة من كتب التنمية الذاتية. افتقدت قفزاته المنتصرة في الهواء، تعبيراً عن إنجاز الأعمال، وتحديد الأهداف، واقتناص فرص الحياة. كلُّ شيء في إيران ذكّرها به. ألم يكونا شابين معاً هنا؟ ألم يمرّا بفترة المغازلة هنا؟

ما حصل لا يمكن الرجوع عنه.

لقد قاما معاً بتربية ثلاثة أطفال، وانتقلا إلى قارةٍ جديدة، وبدآ معاً حياةً جديدة من الصفر. كان بارفيز جزءاً منها.

لذا، ورغم أنها استمتعت باهتمام سام - ابتساماته، وأساليبه الهادئة، وكلماته اللطيفة أثناء فترات الاستراحة في حصصهم الدراسية - إلا أنّ الأمر لن يكون أكثر من ذلك أبداً. وعلمت الآن أنها لم ترغب أبداً في أن يكون أكثر من ذلك.

كانت داريا غارقةً في أفكارها لدرجة أنها اصطدمت بمجموعةٍ من النساء مرتديات الشادور. «عذراً»، تمتمت بالإنجليزية، فتجهمت النساء وواصلن طريقهن. هكذا إذاً، كانت ردود أفعالها باللغة الإنجليزية الآن! حاولت داريا ألّا تصطدم بأحدٍ بعد ذلك، وركزت انتباهها على طقمٍ للشاي فضيٍّ لامعٍ، معروضٍ على مفروشات منسوجة.

شعرت بالارتياح عندما نظرت إلى أسفل زقاق البازار ورأت مينا تسير نحوها. فمجرد رؤية ابنتها تسعدها. ها هي ذي ابنتها التي لم تكن تعرف كم هي جميلة، والتي لن تستطيع أبداً أن تعرف كم هي تحبها، والتي لم تكن تعرف كيف أعيد تشكيل عالم داريا بوجود مينا فيه. ها هي ذي الابنة التي ربّتها مع بارفيز.

شبكت داريا ذراعها بذراع مينا.

- «هيا بنا، يا مينا. لنذهب ونتناول الشاي معاً».

* * *

أرادت داريا أن تقدّر مينا الجمالَ هنا - أرادت أن تذوّقها من كل شيء - ولكن لم يتبقَّ لديهما سوى القليل من الوقت. اصطحبتْها إلى صالة شاي عرفتها قبل سنوات، بالقرب من جسر الثلاثة والثلاثين قوساً. كان الباب مخفيّاً تحت الجسر وكانت درجاتٌ تؤدي إلى غرفةٍ مريحة ودافئة يقدَّم فيها الشاي. كانت داريا سعيدةً بأنها وجدت صالة الشاي كما تذكّرتها.

جلس الناسُ حفاةً على السجاد الفارسي، متكئين على وسائد مغطاة بسجادٍ قرمزي وعنابي اللون. دخّن الرجال **القليان**، الشيشة، فيما شربت النساء الشاي باسترخاءٍ وهدوء. أرشدت داريا مينا إلى مكان وضع حذائها، ثم أشارت إلى النادل وجلستا. كم عدد أكياس الشاي المتمايلة في الماء الفاتر التي تحمّلتها في الولايات المتحدة؟ لكن هنا، سيُقدَّم لهما شايٌ حقيقي بأوراقٍ منتقاة بعناية وممزوجة بالنسب الصحيحة، كما سيتم الإشراف على عملية التخمير دم كردن بحرصٍ كبير. وفي الوقت المناسب، سيُسكب الشاي في **استكان** ويُقدَّم لهما مع قطع السكر المقطعة. لم تستطع داريا الانتظار حتى تضع السكر بين أسنانها، وتشعر به يذوب ببطءٍ في فمها وهي ترتشف الشاي.

عندما أحضر النادل الشايَ وقطعَ السكر الأبيض الثلجي في أطباقٍ شفافة، قررت داريا أن الوقت قد حان لتسأل مينا.

- «إذاً»، قالت وهي تتنحنح، «هل أنتِ عاشقة الآن؟».

استخدمت داريا كلمات الشعراء الفارسيين: «عشق» أي حب، و«عاشق» أي واقعٌ في الحب.

- «أستميحكِ عذراً؟»، قالت داريا وقد تجمدت ذراعها في الهواء.

- «أوه، أرجوكِ، أستطيع أن أميّز فتاةً واقعة في الحب، وليس من العدل أنني بالكاد أعرف شيئاً عنه. أعرف أن له أسناناً جميلة، وكأن هذا يعني شيئاً!».

- «لقد قابلتِ أخاه»، قالت مينا، «وأعددتِ له رسماً بيانياً، فأنتِ تعرفين العائلة».

- «أنا ووالدكِ لا نعرف عنه شيئاً»، قالت داريا. نعم، لقد عرفتْ عائلة دشتي بفضل البحث السابق عن الأخ الأكبر، لكن لم يعد هذا كافياً. «أعني مَن هو؟ وكيف يبدو؟».

- «إنه... حسناً، في المرات القليلة التي رأيته فيها، كان وقوراً جداً».

- «هل هو لطيف؟»، سألت داريا. «فكما تعلمين، يا مينا، هناك الكثير مما يمكن قوله عن التعليم، والمهنة، وتاريخ العائلة، والمظهر. ولكن إذا كان هناك شيء واحد مهم، فهو الطباع. هذا هو الشيء الوحيد الذي يدوم. يمكن أن تفقد الدرجات العلمية أهميتها، ويمكن أن تضيع الوظائف، ولا ينبغي لماضي العائلة أن يحدد هوية الشخص، أما بالنسبة للمظهر...»، وتنهدت داريا هنا، «حسناً، المظهر يتلاشى بالنسبة لأفضلنا، لكن الطباع، يا مينا، هو ما يدوم، واللطف سيعبُر بك تقلبات الحياة».

- «إنه لطيف جداً».

- «حسناً، هذه بداية جيدة».

- «تقلبات الحياة؟ حقاً؟ ليس الأمر كأننا سنتزوج أو أي شيء من هذا القبيل!».

- «لا، بالطبع لا. ليس هذا ما أقوله على الإطلاق»، قالت داريا وهي ترتشفت الشاي.

«لحظة، لِمَ لا؟».

- «لأنني بالكاد أعرفه! إضافة إلى أنه في ولاية كونيتيكت، والعلاقات عن بعد لا تصلح أبداً».

- «إنه على بعد ساعةٍ فقط، يا مينا».

- «مَن يدري ماذا سيحدث؟».

- «إذا كان الشخصَ المناسب، فسيسير كلُّ شيءٍ على ما يُرام».

- «هل يمكنكِ أن تعديني بأننا انتهينا من جداول البيانات والخُطّاب؟ مهما حدث؟».

وهي جالسةٌ في صالة الشاي هذه بالقرب من الجسر، ومع صوت الماء وهو يرتطم بالأرض فوقها، وملمس السجاد على أصابع قدميها، شعرت داريا بالحرج بسبب تلك الجداول. لقد حاولت جاهدةً العثور على الصيغة المثالية لسعادة ابنتها، في حين أنه لم تكن هناك طريقةٌ يمكنها بها التحكم في مستقبل ابنتها. هي لطالما عرفت ذلك، حتى لو لم تكن تريد الاعتراف به. بدت جداول البيانات تلك بعيدةً جداً، وكأنها شيءٌ فعلته في حياةٍ أخرى.

- «أتعرفين، يا مينا؟ بدأتُ أعتقد أنه لا يوجد شخصٌ واحدٌ مناسبٌ. ولا يوجد توأمُ روح مُقدَّرٌ لكِ مسبقاً. ولا توجد صيغة. أو إن وُجدت، فإن كثيراً من التوافيق المختلفة يمكن أن تعطيكِ إجابةً صحيحة... أو شخصاً مناسباً».

أدركت داريا وهي تقول ذلك أنها صدّقته أخيراً. صحيح أنها أمضت حياتها الراشدة كلها مع بارفيز وكانت سعيدة، لكن ماذا لو كانت والدتها قد اختارت شخصاً آخر؟ لو كانت داريا قد تزوجت من أحد خُطّابها الآخرين، من يمكن له أن يجزم أنها لن تكون سعيدةً بالقدر نفسه؟ لم تكن هناك قيمةٌ سحرية لكي تنجح المعادلة، إذ تتناسب متغيراتٌ مختلفة مع المعادلة. فعلى سبيل المثال، في حياةٍ أخرى وفي ظل ظروفٍ مختلفة، ربما كان من الممكن أن تكون هي وسام زوجين رائعين معاً.

تنهدت مينا وقالت:

- «أريد أن أخبركِ بشيء».

- «أنتِ لن تتزوجي، أعرف ذلك، يا مينا. دعينا نرى فقط كيف ستتطور الأمور. من دون ضغط. سأتوقف...».

- «لا، ليس هذا الموضوع. سأترك كلية إدارة الأعمال».

- «عُذراً؟!».

- «لا بدّ لي من ذلك. أريد أن أرسم. لا أريد أن أنظر إلى الوراء بعد سنوات من الآن وأشعر بالندم على عدم خوضي التجربة».

بدأت داريا تشعر بالدوار.

- «مينا، هل تتذكرين وعدَك؟ بأنك، إذا جئنا في هذه الرحلة، سوف تعودين وتركزين على دراستك في إدارة الأعمال بدل التفكير باستمرار في أنّ عليكِ القيام بشيء آخر؟ هل تتذكرين ذلك؟».

- «نعم، أتذكر. ولكن لم تكن لديّ أي فكرة عن تأثير هذا المكان عليّ. المشكلة هي أنني كنتُ أقوم بالشيء الخطأ. أنا بحاجة لأن أكون ملتزمة».

- «ملتزمة، نعم!».

- «لكن ملتزمة بفنّي، وليس بوول ستريت. أحتاج إلى... تكريس الوقت لذلك. لن يحدث الأمر من تلقاء نفسه. لذا يجب أن أركّز. وترك كلية إدارة الأعمال هي الطريقة الوحيدة».

وفيما كانت ابنتها تتحدث، استندت داريا إلى الوسائد المغطاة بالسجاد، منهكةً. كانت هذه السلطة التي يملكها أطفالها عليها. كان بإمكانهم الدخول إلى غرفةٍ ومجرد رؤيتهم تجعل قلبها يقفز فرحاً، ثم في اللحظة التالية، يمكنهم فتح أفواههم وقول سخافات تجعلها عاجزةً تماماً. ماذا ستقول لبارفيز الآن؟ هذه الرحلة التي دافعت عنها داريا خلافاً لرأي بارفيز لم يكن من المفترض أن تجعل مينا تترك كلية إدارة الأعمال، بل كان من المفترض أن تُثبّتها فيها.

أين يكون بارفيز عندما تحتاج إليه؟ أين هو ليعقِّل هذه الفتاة؟

ماذا فعلت هذه الرحلة بابنتها؟

الفصل السادس والثلاثون

وجود مزدوج

كانت مينا تستيقظ مبكراً في معظم الصباحات في شقتها بشارع برودواي. كانت ترتدي ملابس الرياضة وتذهب للركض في منتزه ريفرسايد، ثم تعود إلى المنزل وتستحم، وتجمع أغراضها. ألوان وفُرشٍ، وليس أجهزة كمبيوتر أو آلات حاسبة. لقد طلبت أخيراً العلامة التجارية للطلاء الزيتي التي أوصى بها الفنان من ماربلهيد بماساتشوستس على الموقع الإلكتروني الذي كانت تتصفحه عندما طرح عليها البروفسور فان هيوسن سؤالاً أثناء محاضرته عن التمويل.

لقد اتصل رامين، وتحدثا بضع مرات عبر الهاتف. «يجب أن نلتقي»، كرّرا، إلّا أنه كان مقيّداً بمواعيدِ تسليمٍ محددة، وكانت لديها امتحانات، أي كان كلاهما مشغولين. ولم يكُن حديثهما شبيهاً بتلك اللحظة تحت الشجرة. أرادت مينا أن يكون الأمر كذلك، أرادت ذلك السحرَ من جديد، لكنها شعرت كما لو أنها تُجري محادثات على الهاتف فحسب.

رسمت. استخدمت لوحةً قماشية للرسم، قماش خشن مُحكم يحمل الألوان جيداً. والتزمت بروتينٍ معين. كل يوم. كل يوم عدا أيام الجمعة. كانت تستيقظ مبكراً وترسم. ساعدتها هذه الطقوس في تحرير ذهنها من رامين، وتذكيرها به في آنٍ واحد، وأدركت أنها تريد أن تنسى وأن تتذكر تلك اللحظة التي عاشتها معه في حديقة الشعب.

كان الأمر صعباً في البداية. ظلّت اللوحة القماشية فارغةً. كانت قدراتُ الرسم لديها خارجةً عن اللياقة وغير مرنة. لم تكن لديها أي فكرة من أين تبدأ. لكنها تذكرت الحرفي في متجره في أصفهان، والطريقة التي تشابكت بها أقواس الجسر ببعضها، وأعمدة برسبوليس، فدفعتها هذه الصور إلى العمل. كانت تبدأ بجرة طلاء واحدة. وفي الأيام الجيدة، وقبل أن تدرك ذلك، كانت ذراعها تمسك بزمام الأمور وتحرك يدها، كما لو أنها تغرف مسبقاً الأشكال والألوان التي تريد تشكيلها.

وفيما كان باقي سكان البناية نائمين، كانت مينا ترسم. ترسم إلى أن تُصدِرَ ساعتُها تنبيهاً. كان هذا جزءاً من الطقوس. كانت تُصدِرُ تنبيهاً، ما عنى أن الوقت قد حان لحزم كل شيء، فتضع مينا الألوان جانباً، وتخلع بنطالها الجينز الملطخ بالألوان وترتدي بنطالاً نظيفاً وقميصاً أنيقاً، وتسرّح شعرها، وتشرب كوباً من القهوة المنشطة.

ثم تجمع أوراق الملاحظات عن التمويل.

وبعد برهة، كانت في إحدى قاعات الدراسة في كلية إدارة الأعمال، تنقر على جهاز الكمبيوتر وتحل المسائل.

كانت متأكدةً أنها ستترك كلية إدارة الأعمال. عند عودتهم إلى

طهران من أصفهان، تعهدت مينا مراراً وتكراراً بترك الكلية والتفرغ للرسم عندما تعود إلى نيويورك.

لكن جاءت بيتا في ليلتها الأخيرة في إيران. كانت مينا قد انتهت للتو من حزم أمتعتها، وتواجد ضيوف آخرون في منزل آغا جان أرادوا توديع داريا، وقُدِّم الشاي طوال الوقت بطبيعة الحال.

- «لنذهب إلى السطح»، قالت بيتا، «لبضع دقائق فقط. عليكِ أن تري طهران في الليل، مِن على السطح. هل تتذكرين؟».

لقد قضت مينا عدداً لا يُحصى من ليالي الصيف على أسطح المنازل في طهران، عدداً لا يُحصى من ليالي الصيف التي ناموا فيها هناك هرباً من الحرارة. كان ذلك قبل القنابل.

وعند وصولهما إلى السطح، استلقت مينا على ظهرها ونظرت إلى السماء.

- «أتعلمين، عندما كنا صغيرتين، لطالما اعتقدتُ أنكِ ستصبحين فنانةً عندما تكبرين»، قالت بيتا.

- «نعم، اعتقدتُ ذلك أيضاً»، قالت مينا وهي تشعر بوخزةٍ في قلبها. كرهتْ أنها استسلمت، وأنها خيبت أمل صديقاتٍ مثل بيتا. إنها لا تستطيع الانتظار حتى تعلن أنها لن تهرب مما تحبه بعد الآن. ستجعل بيتا فخورةً بها، وستُظهر للجميع أنها مستعدةً لأن تكون جادّةً بشأن فنّها مرةً واحدة وإلى الأبد، لأن تكون صادقة تجاهه.

عدّلت مينا جلستها وقالت:

- «أتعلمين، يا بيتا؟ لن أؤجل الأمر بعد الآن. سأكون صادقةً مع نفسي مرةً واحدة وإلى الأبد. سأكون صادقةً تجاه الفن. عندما سأعود، سأترك!».

- «تتركين ماذا؟».

- «كلية إدارة الأعمال. سأرسم فقط، فأنا لم أُخلَق للأعمال! كنتُ أفعلُ ذلك من أجل أمي فحسب. وعلاوةً على ذلك، فقد سئمتُ من الوجود المزدوج. من الحياة المزدوجة! فنّانة في كلية إدارة الأعمال!».

ظلّت بيتا صامتةً لبعض الوقت، مستلقيةً على ظهرها ومحدّقةً في السماء، ثم قالت:

- «من المُضحك أن تتكلمي عن الوجود المزدوج، يا مينا. أتعرفين حفلتي؟ أتعرفين الرقصات التي نقوم بها أنا وأصدقائي؟ نحن نتصرف بجنون. فداخل منزلي، أنا فتاة الحفلات الجامحة. وفي الخارج، في الشارع، أنا مجرد امرأة مُحجبة أخرى لا تستطيع فتح فمها. هذا أشبه بالوجود المزدوج! فلدينا حياةٌ في الداخل، وأخرى في الخارج. نقول شيئاً مع أصدقائنا، وشيئاً آخر في العلن، لأننا قد نُعتقل إذا قلنا ما نريد قوله حقاً. لكن إدارة الأعمال، يا مينا جون؟ والرسم؟ هذا ليس وجوداً مزدوجاً. إنما هو... الحياة فحسب».

تأملت مينا أضواء طهران. نظرت إلى الأسطح واحداً تلو الآخر، وفكرت في أولئك الناس في منازلهم - ما يشاهدونه ويستمعون إليه ويقولونه في الداخل. وما لا يمكنهم أبداً الاعتراف بأنهم يشاهدونه ويستمعون إليه ويقولونه حالما يخرجون إلى الأماكن العامة، حيث تراقبهم أعين الحرّاس الساهرة.

- «مينا»، تابعت بيتا بلطف، «عليك أن تُنهي ما تبدئينه، ألا تعلمين ذلك؟ أنت هناك، وأنت حرة. فلماذا ترك الكلية؟ لماذا تركها بحق السماء؟ التقطي فرشاة الرسم وارسمي إذا أردتِ ذلك، ولكن أرجوكِ لا تضيّعي الفرص التي أُتيحت لكِ هناك».

- «أنا لا أريد أن أضيّع المزيد من الوقت فحسب».

- «سأخبرك عن تضييع الوقت، يا مينا جون. سأصبحُ امرأةً عجوزاً هنا. لن أتوقف عن المقاومة بالطرق الصغيرة التي أُتيحت لي، وسأفعل ذلك مهما استغرق الأمر. سأموت وأنا أتظاهر في الشوارع إذا اقتضى الأمر. مَن يدري ما سيتطلّب منا هذا البلد ليصبح حرّاً؟ قد نعيش لنشهد ذلك أنا وأنتِ، وقد لا نشهده. لكن، يا مينا، حياتكِ هناك، وينبغي بك أن تعيشيها على أكمل وجه». ولدى قولها ذلك، نهضت بيتا وقالت بحماسٍ: «مَن قال إنّ عليك اختيار إمّا إدارة الأعمال وإمّا الرسم؟ اختاري كليهما!».

نهضت بينا واتجهت نحو حافة السطح، ثم اتكأت على الدرابزين. كان صوتها هادئاً عندما تحدّثت من جديد.

- «افعلي ذلك من أجلي إذاً. قومي بالاثنين معاً. كوني كل ما يمكنك أن تكونيه. ارسمي من أجلي، يا مينا، واحصلي على شهادة الماجستير. قومي بعملكِ. وأنا لن أقطع التواصل معكِ أبداً هذه المرة. أعدكِ بأنني سأقاتل هنا، فيما أنت تعيشين حياتكِ هناك».

راقبت مينا بيتا وهي تمرّر يدها على طول درابزين السطح.

- «في بعض الليالي، أصعد إلى سطح منزلنا، أقف هناك، وأنظر إلى السماء وأصرخ. أصرخ بأعلى صوتي. أصرخ ليسمعني اللّه، ليسمعني أحد، ليسمعني العالم. "أرجوكم، أرجوكم استمعوا إلينا هنا!". أتوسل إلى العالم كي يسمعني»، قالت بيتا ثم التفتت إلى مينا وقد اغرورقت عيناها بالدموع. «هل تعتقدين أنني لا أعرف كم وجودي المزدوج سخيفٌ؟ هل تعتقدين أنني لا أدرك فراغَ تلك الحفلات؟ إذا كانت لديّ ذرة حرية حقيقية، لتخليت عن كل تلك الحفلات لأعيش فحسب، لأمشي في الشارع، وأقول ما أريد، وأكون نفسي، وأكون حرةً». كان صوت بيتا هادئاً، لكن حازماً. «لا

تتركي الكلية، يا مينا. عودي وارسمي واحصلي على شهادتكِ في إدارة الأعمال واعملي وتزوجي وأنجبي الأطفال وعيشي حياتكِ! برو، امضي قدماً! نحن لسنا من النوع الذي يُخنق، أليس كذلك؟».

سارت مينا نحو بيتا وانضمت إليها عند الدرابزين، وانحنيتا من فوق سطح المبنى، وأضواء طهران تتلألأ حولهما. علمت مينا أنها ستسمع صراخ بيتا وصولاً إلى نيويورك. ستفكّر في صديقتها الواقفة هنا على سطح المنزل، وهي تصرخ ليسمعها العالم.

- «ارسمينا إذا كنت لا تعرفين ماذا ترسمين»، قالت بيتا، «أريهم أننا موجودون».

* * *

كانت مينا إذا شعرت بالتعب، أجبرت نفسها على النهوض، وإذا كانت منهكةً، استمرت في العمل. وفي بعض الأيام، عندما يرنّ المنبّه، لم تكن مينا ترغب في الرسم، لكن حين كانت ترى رسالةً إلكترونية من بيتا على جهاز الكمبيوتر، كان يتبخّر تعبها فجأة. توقفت عن الاستياء من دروسها وبدأت تعمل بجدٍّ، تقرأ وتدرس المسائل المُكَلّفة بها بعنايةٍ. طرح عليها البروفسور فان هيوسن سؤالاً، وعرفت ما كانت تتحدث عنه. ويوماً بعد يوم، بدأت لوحاتها تتشكّل. لقد نجحت في نسخ عينَي بيتا الداكنتين اللّامعتين. ورسمت الأضواء من أحد أسطح طهران، كما رسمت الخيار في المتجر الصغير للآغا حسين، والمباني ذات القباب الزرقاء في ساحة أصفهان. ولوّنت وسائد صالة الشاي باللون العنابي، ورسمت امرأةً باللون الأرجواني بوجهها المشرق. رسمت الرُّمّان، حتى أنها تمكنت من التقاط وجه ماماني بدقّةٍ عندما كانت شابةً.

أخبرت رامين عبر الهاتف أنها بدأت الرسم من جديد، وبدا

سعيداً من أجلها. إلا أن الجو قد اختلف. كانت تعلم أنهما كانا يبذلان جهداً كبيراً للتوصل إلى أشياء ليقولاها أحدهما للآخر. بدأت مينا تدرك أنها أخطأت التقدير طوال الوقت، فالأمر برمّته لم يكن شيئاً، وقد أخطأت في اعتباره حبّاً. أحزنها أن تُدرك أنها ظنّت أن شيئاً قد نشأ بينهما، في حين أنّ الأمر اقتصر على يومٍ في الحديقة.

الفصل السابع والثلاثون

وداعاً لجداول البيانات

انحنى سام بعد انتهاء الدرس مُقترباً من داريا.

- «أريد أن أسمعَ كل شيءٍ عن الأمر، عن تلك الرحلة التي قمتِ بها. أترغبين في الذهاب إلى ستاربكس؟».

ظلّت داريا صامتةً. لقد أخذت منها رحلةُ الأسبوعين الكثيرَ، وأعادت إليها الكثيرَ أيضاً. تفاجأت ميراندا كاتيلا في البداية عندما علمت عن المكان الذي كانت فيه داريا، وبدت مُنزعجةً بعض الشيء لما فوّتته من عملٍ على مواصفات جداول البيانات، فأعطتها أكواماً من الكراريس لتساعدها على تعويض ما فاتها.

وماذا عن رؤية سام من جديد؟ رؤيته في غرفة الطابق السفلي، جالساً على كرسي كرات التنس؟ نعم، هي لا تزال تشعر وكأنها تلميذة مدرسة بلهاء عندما يبتسم. حتى وإن كانت قد عادت للتو من مكانٍ شعرت فيه بأنه موطنها أكثر من كوينز بكثير. حتى وإن كانت الملابس التي كانت في حقيبتها لا تزال تفوح منها رائحة الليمون

الفارسي المجفف والغبار. تفوح منها رائحة الألم والفقد والأسى والفخر.

- «ليس لديّ وقت لتناول القهوة». كان ذلك كل ما استطاعت قوله. «ليس لديّ وقت...».

- «لن أضيّع وقتكِ أبداً مع القهوة»، قال لها وهو يبتسم بخجل. «لكنني أعلم أنكِ تحبين الشاي».

- «لا يمكنني ذلك».

كان عليها أن تُنهي هذه المغازلة، فكان لديها بارفيزها.

- «يمكنكِ ذلك. ليس الأمر بهذا التعقيد حقاً».

استسلمت داريا لأن ذلك كان آخرَ يومٍ في الفصل، فهي لن ترى هذا الرجل من جديدٍ أبداً، كما أنها كانت في الخمسينات من عمرها، أي أنها لم تكن طفلةً أو مراهقةً، فلم يكن من الخطأ أن تتناول الشاي أو القهوة أو عصير الليمون مع زميلٍ من الفصل الدراسي لتعليم الكبار مواصفات جداول البيانات. لم يكن هناك خطأ في ذلك على الإطلاق.

ذهبا إلى المقهى الذي يعرفه سام، ذلك المقهى المميّز الذي أراد أن يأخذها إليه منذ البداية. كان مكتظاً ودافئاً في الداخل، وتمنت داريا لو أنها أحضرت معها وشاحاً أو باشمينا أو شادوراً لتغطي نفسها به حتى لا يتمكن أحدٌ من رؤيتها جالسةً هناك مع سام.

لا يمكن أن تكون لديكِ حياتان في الوقت نفسه. لا يمكن أن تكوني متزوجةً من بارفيز رضائي، أن تكوني أماً لهومان الطبيب، وكايفون المحامي، ومينا الـ... لحظة، ماذا كانت مينا؟ فنانة في كلية إدارة الأعمال؟ فنانة طالبة؟ مهما يكن، مينا ستصبح ما تريد أن تكون، لقد عرفت داريا ذلك الآن. على أية حال، لا يمكنكِ أن

تكوني كل هذه الأشياء وتغازلي سام كولينز، وتفكري فيما كان يمكن أن يكون. لا يمكنكِ مدّ يدك ولمس شعره وسحبه إليك وتقبيله.

لا تجري الأمور على هذا النحو.

عاد سام ومعه شاي داريا، الذي أتى على شكل كوبٍ وصحنٍ وإبريق ياباني من المعدن بداخله أوراق شاي حقيقية.

- «شكراً لك»، قالت داريا.

سكبت الشاي وراقبت البخار يتصاعد من الكوب، واستنشقت الأبخرة وحاولت أن تصفي ذهنها.

- «لقد كان فصلاً دراسياً رائعاً»، قال لها.

- «كان كذلك فعلاً»، قالت وهي تعلم أنه سوف يرحل الآن، سيرحل من حياتها بدءاً من الأسبوع المقبل. لن تجلس بجواره في ذلك الطابق السفلي بعد الآن، ولن يكون كرسيها بالقرب من كرسيه، ولن تكون هناك استراحات مشتركة تحت سماء المدينة المرصّعة بالنجوم. لن يكون هناك شيء من هذا. سيعودان إلى حياتيهما المفضلتين، هو مع تلاميذه الصغار على الجيتار، وهي مع منتداها في الرياضيات، ووظيفتها في البنك، وحليب بارفيز المعسّل، وأولادها الذين كانوا أطول منها.

ما حصل لا يمكن الرجوع عنه. لديّ حياتي، قالت داريا في نفسها وهي ترتشف شايها.

- «سُررت حقاً بالتعرف عليكِ خلال الأسابيع الستة الماضية»، قال سام، «أشعر بأنني. . . بأنني أرغب في التعرف عليك أكثر».

غصّت داريا بالشاي الساخن، ودمعت عيناها، وشعرت بجسدها ساخناً. استدار بعض الزبائن للنظر إليها، ونهض شابٌّ ضخم البنية وهو يقول: «أنا مؤهل في إسعاف حلالات الاختناق»،

ثم توجه إليها، لكن داريا لوّحت بيدها وابتسمت للجميع وقالت وهي تسعل: «أنا بخير، شكراً جزيلاً. لا داعي للقلق».

- «هل أنتِ بخير؟»، سألها سام وكان قد نهض وانحنى فوقها، فاستنشقت رائحة البارغموت والصابون التي فاحت منه. «هل أنتِ متأكدة؟».

- «كان شيئاً بسيطاً»، قالت داريا، ثم نظرت إليه وابتسمت. «سأكون بخير».

سيجلسان هنا، وستحتسي هي الشاي وسيحتسي هو القهوة، وسودّعان أحدهما الآخر. هكذا كل شيء. ستضع حدّاً لهذه المغازلة مرة واحدة وإلى الأبد. لا يمكن أن تفعل ذلك بنفسها، أو ببارفيز، أو بهذا الرجل سام الطيب الذي أمامها. فقد كان لديها كبرياؤها الفارسي.

عاد سام ليجلس قبالتها.

- «زوجك، بارفيز، صحيح؟ لقد التقيت به بالصدفة عندما كنتِ مسافرة. التقيت به في ستاربكس. على أية حال، هو رجل رائع. لقد تحدثنا قليلاً، وقال لي...»، قال سام ثم توقف بُرهة وابتسم بحرج. «كانت هذه كلماته بالضبط: "مرحباً، يا سيد سام، كيف حال آلتك الموسيقية؟"».

لو كان بارفيز أمامها الآن لقتلته داريا.

- «أخبرته أن الآلة في حالةٍ جيدة جداً، ثم تحدثنا عن الموسيقى لبعض الوقت، وأخبرني أنه لطالما أحب الجيتار، وقلت له إنني أعزف هنا من حينٍ لآخر، في هذا المقهى، حيث لديهم ليلة للموسيقيين المحليين يوم السبت». توقف سام للحظة. «ماذا لو أتيتما في إحدى الليالي؟! كلاكما، بالطبع. أوقات العروض تُنشر على لوحة الإعلانات».

- «أوه، نعم، بالطبع»، قالت داريا.

- «لقد تدرّبتُ على أغنية شعبية فارسية»، قال سام وهو ينظر إلى يديه اللتين تعزفان على الوتر. «أعتقدُ أنكِ ستحبينها». ثم نظر إليها بخجلٍ وقال: «تفضلي بالحضور ليلة السبت، واستمعي إليها».

- «سأحضر... أقصد سنحضر»، قالت داريا وتمنت لو أمكنها أن تضمّه. لقد تدرّب على أغنية شعبية فارسية، وقد تأثرت بلطفه. كانت لديها أغنية شعبية مفضلة تتناسب جداً مع الجيتار، كانت تغنيها عندما كانت صغيرة، عندما بدا كلُّ شيءٍ ممكناً. أرادت أن يكون سام قد اختار تلك الأغنية.

ظلّا صامتين لفترة من الوقت، ثم رجع بظهره إلى الوراء في مقعده وحدّق فيها.

- «أليست الحياة... شيئاً آخر؟»

- «شيئاً آخر»، قالت داريا، «نعم، هي كذلك». اغرورقت عيناها بالدموع، وشعرت بالدوار والغثيان قليلاً من الشاي. كانت تشعر بالحر وتتصبب عرقاً الآن، وكانت كافيتا لتنسب ذلك لانقطاع الطمث، لكن داريا عرفت أنّ هذا ليس السبب.

ارتشفا مشروبيهما ونظرا إلى الخارج من النافذة.

- «كان من الرائع مقابلتك»، قال أخيراً.

تظاهرت بأنها تعبث بأوراق الشاي في الإبريق، وانشغل هو بالفاتورة وبمحفظته، وعندما كانا جاهزين للمغادرة، نهض وسحب كرسيها، الذي خدش الأرض بصوتٍ عالٍ، إذ لم تكن هناك كرات تنس مثبتة في أرجل هذا الكرسي.

- «أتمنى لك التوفيق في كل شيء»، قالت داريا.

وهكذا كان الأمر.

الفصل الثامن والثلاثون

الوطن

في الأيام الأكثر دفئاً، كانت مينا ترسم في حديقة ريفرسايد، حيث كان الهواء الطلق والشمس وأصوات النهر أمراً مُرحبّاً به للغاية بعد كلّ أيام الشتاء الباردة. تختار مكاناً على العشب بجوار النهر، وتستند إلى شجرة بلوط ضخمة وتباشر بعملها. تعدّل وضع قماش الرسم وتحاول أن تتذكر حديقة الشعب. تقوم بخلط الألوان الزيتية على لوحة ألوان مستقلة في محاولةٍ للحصول على اللون الأخضر المناسب.

لقد مرّت أسابيع منذ محادثتها الأخيرة الكئيبة مع رامين. كانت بحاجة إلى نسيانه والمضي قُدُماً. فما عاشاه خلال رحلتهما لم ينطبق على حياتهما الحقيقية لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ. حاولت جاهدةً أن تدفعه بعيداً عن ذهنها، ولكن مهما فعلت، لم يكن بإمكانها نسيان **المكان**. كان من المفيد أن تحاول رسم ذلك المشهد، للاحتفاظ بتفاصيل جمال حديقة الشعب، إن لم يكن لأي سبب آخر. لقد عملت لأسابيع على رسم الشجرة على القماش.

كانت ترسم منذ نصف ساعة تقريباً، مستغرقةً في عملها، عندما سمعت حفيفاً، وقال أحدهم:

- «لقد قمتِ برسمها بشكلٍ مثالي. هذا مذهل».

تجمدت يد مينا. كان الصوت القادم من خلف الشجرة يحمل الجرس العميق نفسه الذي أشعرها بالدفء يوماً، حتى وهي واقفةٌ في البرد، متكئةٌ إلى شجرة خشنة. حركت رأسها، لكنها لم تسمح لنفسها أن تنظر حول الشجرة. شعرت بقلبها ينبض بشدة واضطرت إلى الإمساك بفرشاة الرسم بإحكام لمنعها من السقوط على الأرض.

- «آملُ أن يكون مجيئي إلى هنا مناسباً».

- «لم أتوقع أبداً... كيف حالك؟»، قالت أخيراً.

- «أوه، مينا. لم يكن ينبغي أن أستغرق كل هذا الوقت. كان عليّ أن أراك. أن أخبرك شخصياً».

- «بمَ تُخبرني؟»، سألته.

- «بأنني... آسف جداً، يا مينا. لقد أفسدت كل شيء على الهاتف. أعلم ذلك».

- «لا داعي للاعتذار»، بدأت في القول، لكنه قاطعها.

- «مينا، أرجوكِ...».

دار حول جذع الشجرة ووقف أمامها. وإذا كانت قد شعرت باليأس منذ لحظةٍ وجيزة بسبب مكالماتهما الهاتفية المتكلّفة وعدم مجيئه من قبل، فكانت الآن متجذرةً في المكان الذي جلست فيه على العشب. فنظرة واحدة إليه وهو واقفٌ هناك، وقدماه متباعدتان، والطريقة التي عقد بها ذراعيه على صدره مثل صبي مُراهق، كل ذلك جعلها تذوب من جديد. لم ترغب مينا في أن تفقد رباطة جأشها. نظرت في عينيه ورأت فيهما حزناً دفيناً.

- «ما الخطب، يا رامين؟».

- «لقد توفيت جدتي قبل بضعة أسابيع».

كان الألم واضحاً على وجهه. كانت مينا تعرف نظرة الحزن جيداً، وبإمكانها التعرف عليها في عينَي شخصٍ ما. انتابها شعور الفقد المؤلم ذاك من جديد، ذلك الشعور المألوف الذي بدا كما لو أنه لم يُغادرها أبداً. «أنا آسفة جداً» كان كل ما استطاعت قوله.

نظرت مينا إلى أغصان الشجرة، وإلى أوراقها التي كانت أشبه بالمظلة. تذكرت الشجرة الأخرى التي وقفا تحتها في ذلك العالَم الآخر، وأوراقها ذات اللون المتوهج كاللهب، والهواء البارد على خدّيها. وتذكرت الحرّاس الذين وقفوا بالقرب منهما، ينتظرون.

- «من الجيد أنكَ رأيتها على الأقل. كان الأمر يستحق المجازفة».

- «دعينا... دعينا نجلس فحسب، يا مينا».

اقترب منها وانزلق إلى أسفل الجذع ليجلس بجانبها. كانت تفوح منه رائحة النعناع، وتساءلت مينا عما إذا كانت تفوح منها رائحة الألوان وزيت التربنتين. قامت بشدّ تسريحة ذيل الحصان في محاولة لتبدو أقل فوضوية. استند إلى الشجرة وضمّ ركبتيه إلى صدره، وابتسم لها.

- «أنتِ ترسمين».

- «ماذا عن رسمي؟».

- «لا، أنت ترسمين حقاً. أعلم أنكِ أخبرتني بذلك، لكن الأمر يختلف عند رؤية عملك فعلاً. أنتِ موهوبةٌ جداً، يا مينا. وبصراحةٍ، أحبّ فكرة أنكِ ترسمين شجرتنا».

شعرت بوجهها يتوهّج.

- «نعم، الشجرة».

أرادت أن تقول «شجرتنا»، لكنها لم تستطع ذلك، فجلست بشكل مستقيم وسألته:

- «كيف عرفتَ مكاني؟ كيف عرفتَ أنني هنا؟».

- «اتصلتُ بمنزل والديكِ، وقد تحدثتُ إلى والدكِ، بالمناسبة. أجرينا محادثة لطيفة حول أخي وكيف حاله...».

انكمشت مينا على نفسها.

- «أوه، لا».

- «لا، كان الأمر على ما يُرام»، قال رامين. «ناول والدُكِ السماعة لوالدتكِ بعد ذلك، التي أخبرتني إلى أين تذهبين كل صباح. لكن الأمر استغرق بعض الوقت للعثور عليكِ، فهناك الكثير من الأشجار هنا».

ابتسمت مينا.

- «أمي تحب أن تعرف روتيني اليومي، حتى وإن كان ذلك يتعلق بالفن».

- «أوه، لقد بدت فخورةً جداً بكِ».

- «هل كانت كذلك حقاً؟».

- «نعم».

نظرت مينا إلى الحديقة أمامهما. كان زوجان كبيران في السن يسيران مع كلبهما. كان الجو يعبق برائحة العشب المجزوز حديثاً والياسمين، وكان الربيع بكل تجدده وإمكانياته الجديدة معلقاً في كل شجرة، وفي كل ورقة. أرادت أن تعانقه. أرادت أن تخبره مجدداً أنها آسفة بشأن جدته، وأن الأمر سيصبح أسهل مع مرور الوقت. أرادت أن تمسك بيده من جديد.

- «إنه لأمرٌ رائع أن أراكِ من جديد»، قال بهدوء.

حفر لحاء الشجرة في ظهرها، وكاد كمّ قميصه يلامس ذراعها.

- «إنه لأمرٌ رائع أن أراكَ أيضاً»، قالت ثم سحبت ركبتيها إلى صدرها وأمالت رأسها ونظرت إليه. «أنا لا أحب الهاتف»، اعترفت له فجأة.

ضحك.

- «لستُ من المعجبين بالهاتف أيضاً».

- «لا تعرف أبداً ما إذا كان الوقتُ مناسباً للاتصال، ما إذا كان الشخصُ الآخر يقوم بشيءٍ ما...».

- «ما إذا كان يريد التحدث حقاً...».

- «ما إذا كان مشغولاً...».

- «وكلانا مشغول جداً، أليس كذلك؟»، قال ثم نظر إليها جانبياً وقد علت وجهَه ابتسامةٌ عريضة.

ضحك كلاهما حينها، وأسندت مينا رأسها إلى الشجرة، وشعرت باللحاء الخشن على شعرها.

- «مينا، لقد اشتقتُ إليكِ. انظري، أعلم أننا التقينا، ماذا، ثلاث مرات؟ في رحلةٍ إلى الجانب الآخر من العالم. لكنني لا أستطيع التوقف عن التفكير في أيٍّ من ذلك. أعلم أن الأمر قد يبدو غريباً، ولكن كل مرة كنت فيها معكِ في طهران، شعرت بالراحة...».

- «شعرتَ بالراحة؟ وكأنك على أريكة قديمة؟».

- «نعم، لا. أعني الراحة بالمعنى الجيد». عضّ على شفته، مرتبكاً بعض الشيء، ثم تابع بصوتٍ هادئ: «أتعلمين يا مينا، لطالما قال الناس إنني محظوظ جداً، لأنني أستطيع التأقلم في أي

مكان. لقد عشتُ في أماكن مختلفة: في كاليفورنيا، وفي طهران، وفي كونيتيكت، لكن الحقيقة هي أنني حتى يومنا هذا، أشعر بنفسي غريباً في أمريكا. وعندما ذهبت إلى إيران، ورغم أنه كان من الرائع أن أعود إلى هناك، إلا أنني أصبحتُ غريباً، وأجنبياً هناك الآن. أعتقد أحياناً أن الانتماء إلى كلِّ مكانٍ يعني عدم الانتماء إلى أي مكانٍ، وربما هذا هو السبب أنني، وإلى حد الآن - تنهد هنا - لم أكن مستعداً لترسيخ جذور حقيقية، إلا أنني التقيتُ بكِ بعد ذلك». نظر إليها حينها ولم يعد وجهه حزيناً.

مدّت مينا ساقيها فوق جذور الشجرة الضخمة والمتعرجة. كم من الوقت طفتْ على نحوٍ غير مستقر على تلك الواصلة التي تفصل المكان الذي عاشت فيه طفولتها والمكان الذي تعيش فيه الآن؟ كم من الوقت حامت هناك، وهي لا تشعر أبداً بأنها في وطنها على أيٍّ من جانبَي تلك الواصلة؟ تذكّرت الآن ما قدّمه لها رامين، ما جعل ذلك اليوم تحت الشجرة في حديقة الشعب يبدو خالداً وساحراً. معه، شعرت بالانتماء أخيراً.

- «أعلم ذلك»، قالت له.

- «ما رأيكِ أن نبدأ من جديد؟ هل تعتقدين أنه يمكننا الاستئناف من حيث توقفنا في الحديقة؟».

- «نحن نفعل ذلك... الآن»، قالت مينا وهي تنظر إليه.

اقترب منها قليلاً، فشعرت بذراعه المتينة والقوية بجانب ذراعها.

- «لقد اشتقتُ إليكَ أيضاً»، قالت ثم وضعت رأسها على كتفه ببطء. «يبدو الأمر...»،

غمزت بعينيها ونظرت إليه، «مريحاً».

ابتسم فحسب، وبدا عليه الارتياح.

جلسا على هذا النحو تحت تلك الشجرة، وبعد بضع دقائق، مدّ يده وأمسك بيدها، فشعرت كما لو أنها عادت إلى الوطن.

- «دعينا نحاول من جديد»، قال لها.

ارتجفت الأوراق في الأغصان من جراء النسيم، وتأرجح قماش الرسم على الحامل، وتناثرت الألوان الزيتية حول أقدامهما.

- «دعنا...»، بدأت تقول.

ولكن قبل أن تتمكن من إنهاء جملتها، سحبها إليه وأمسك وجهها بكلتا يديه، ثم قبّلها... قبلة طويلة وبطيئة، هناك في الحديقة، تحت الشجرة، كي يرى ذلك العالمُ أجمع.

الفصل التاسع والثلاثون

مكتبة
t.me/soramnqraa

موهبة محلية في المقهى

- «متى سيصل سام المثير؟»، سألت كافيتا وهي تربّت على شعرها.

نظرت داريا إلى ساعة يدها، ثمّ إلى الباب.

- «لماذا تأخر بارفيز؟».

- «أيعزف على السيتار؟»، سألت يونغ-جا.

- «ليس السيتار، وإنما الجيتار»، قالت داريا.

كنّ قد أنهيْنَ منتدى الرياضيات والسمبوسة والكيمباب، وكنّ الآن في المقهى حيث كان من المقرّر أن يعزف سام على الجيتار. لقد وافق بارفيز على الحضور، رغم أنه تردّد في البداية، لكنه قال بعد ذلك إنه سيكون من الفظاظة ألّا يأتي ويستمع إلى سام وهو يغني الأغنية الشعبية الفارسية التي وعد بأن يعزفها، ففي النهاية، هو تعلّم الكلمات الفارسية من أجل ذلك.

صرخت كافيتا عندما صعد سام إلى المسرح المؤقت. كان

يرتدي بنطال جينز وقميصاً سميكاً. جلس على كرسي في وسط الغرفة، بينما كان الحضور يحتسون الكابتشينو-موكا-فرابيه-بلانكو، أو أيّاً كان ما يشربونه. لم ترق لداريا الأوعية الكبيرة التي شرب منها الناس. فلماذا كانوا يشربون من أكواب أشبه بالزبادي؟ ارتشفت داريا شايها. أين كان بارفيز؟

قدّم مدير المقهى سام على أنه جوهرةٌ محلية، وذكر أسماء بعض الموسيقيين الذين أثّروا على ما يبدو في سام عندما كان شاباً، وقال إنّ سام متاحاً لإعطاء الدروس، ثم غادر المدير الخشبة والتقط سام جيتاره.

في البداية، عزف النوتات الموسيقية فقط، ثم خفق قلبُ داريا عندما سمعت المقطع التمهيدي للأغنية الشعبية التي لطالما أحبتها. تساقط شعر سام على وجهه وهو ينظر إلى أصابعه على الجيتار، ثم رفع رأسه وابتسم وبدأ في الغناء. كان صوته عميقاً، ورخيماً وعذباً، وبدت كلُّ كلمةٍ فارسية بلكنة سام الأمريكية حلوةً مثل العسل. ساد الهدوء بين الحضور، بحيث لم يكن هناك صوت سوى موسيقى سام. جلست داريا في سكونٍ تام. عندما أخذ نفساً، أمسكت هي نفسها، وعندما ارتفع صوته من جديد، شعرت بنفسها تتلاشى.

- «جميل»، انحنت يونغ-جا قائلة، «إنه رائع!».

- «أنا مطروبة»، قالت كافيتا، «أنا مفتونة حقاً!».

نظرت داريا حول المقهى، ورأت أنّ سام قد أهدى أغنيتها المفضلة لكل شخصٍ هناك، أعطاهم إياها كهدية، وقد أحبته لفعله ذلك.

في منتصف الأغنية، فُتح الباب وظهر بارفيز مرتدياً بدلته. لا بدّ أنه أتى من المستشفى مباشرة. عثر على داريا التي قامت بإفساح

مساحة له بجانبها، وجلسا معاً وصوت سام يملأ المكان، فيما أغمضت كافيتا عينيها وتمايلت، وظلّت عينا يونغ-جا مثبّتتين على سام. وعندما اقتربت النهاية، نظر سام إلى داريا مباشرة وتوقف لبرهة. قبل أن يصل إلى الذروة، كان وجهه في سلامٍ تام. وبعد ذلك، انخرط في أعلى نغمة، النغمة التي لطالما جعلت داريا تذوب، تلك التي لطالما أثّرت فيها. عزف وغنى تلك النوتة برقّةٍ وحب، بحيث حام الجمهور معه في الهواء، غير راغبين في أن تنتهي اللحظة، وغير راغبين في أن يتوقف صوته.

مسحت داريا دموعها بسرعة وأمسكت بيد بارفيز. كم من الأزواج سيتقبلون موقفاً كهذا؟ كم من الرجال سيكونون مثل بارفيز ويضعون كبرياءهم وغيرتهم جانباً، ويأتون إلى مقهى ليستمعوا إلى سام وهو يغني أغنيةً عرف الجميعُ أنه أعدّها من أجلها؟ كانت ممتنةً لكل ذلك: لصديقتَيها المقرّبتين كافيتا ويونغ-جا الجالستين معها، وللأشخاص الذين يستمعون في المقهى بحماسٍ، ولتماثل الأرقام الذي ساعدها على التعامل مع عدم التماثل في حياتها، والذي سيظل كذلك. كانت ممتنةً للزوج الذي كان يطرق بقدمه على إيقاع الموسيقى، وبغض النظر على كل شيء، لسام الذي تدرّب على أغنيةٍ فارسية وغناها من القلب.

* * *

انفجر الجمهور بالتصفيق عند نهاية أداء سام، وصعد بعض الأشخاص لتهنئته، كما شقّ كلٌّ من بارفيز وداريا وكافيتا ويونغ-جا طريقهم بين المجموعة المتجمّعة على المسرح.

- «أحسنت، يا سيدي الشاب الطيب!»، قال بارفيز ثم ربّت على ظهر سام بقوةٍ أكبر من اللازم عندما وصلوا إليه، ثم تنحّى جانباً

وقدّم كافيتا ويونغ-جا لسام: «هل تعرّفت إلى سيدتَي الرياضيات الرائعتين هاتين؟».

- «كلمة "رائع" لا تكفي لوصف جمال أدائك»، قالت كافيتا وهي تصافح يد سام.

- «جميل جداً»، قالت يونغ-جا مع إحناءة من رأسها.

- «شكراً لك»، قالت داريا بهدوء. كانت حزينةً لأن الأمر انتهى، ولأنها ستغادر. قد لا تراه من جديد أبداً، ولكن الأهم من ذلك، كانت فخورةً به حقاً.

ابتسم لها سام وشكرهم جميعاً، ثم توجّه إليه المزيدُ من الجمهور ليهنئوه.

ساروا جميعاً إلى موقف السيارات. كان بارفيز قد أتى بسيارته من المستشفى مباشرة، وكانت داريا قد قادت سيارتها من المنزل. وبعد أن ودّعَتْهما كافيتا ويونغ-جا، ظلّ بارفيز وداريا بمفردهما.

- «شكراً على حضورك»، قالت داريا.

- «كان أداءً جميلاً»، قال بارفيز، «أنا أُثني عليه. وكانت لكنته الفارسية متقنة».

- «لكَ الفضل لكونكَ... لكونكَ...».

- «لكوني رجلاً منفتح الذهن، يتقبّل إعجاب الموسيقيين بزوجته؟».

ضحكت داريا.

- «أراك في المنزل».

- «لا تهربي معه! أنتِ لن تذهبي إلى أي مكان، أنت لي!»، قال بارفيز ممازحاً ثم قبّلها، واتجه إلى سيارته.

في تلك الليلة، قام بارفيز بإعداد طاولة الطعام بينما قامت داريا بطهي العشاء، ثم قاما بمشاهدة برنامج عن الطبيعة موضوعه الشّعاب المرجانية. أكل بارفيز فستقه، وتناول كلاهما الحليب بالعسل قبل النوم.

نامت داريا وهي لا تزال تسمع أغنية سام، بين ذراعَي الرجل الذي ساعدها على تسلّق الأماكن الوعرة والصّخرية في كل تلك الرحلات الجبلية الماضية وما بعدها.

الفصل الأربعون

هذا كلّ شيء

كان المنزل مليئاً بأكوامٍ من الزهور القرمزية والأرجوانية، وكان شعر داريا مشذباً ومصفّفاً، وتموّجاته الرمادية تتمايل إلى أعلى وإلى أسفل وهي تتنقّل في أرجاء المنزل وتعيد ترتيب قطع الأثاث. في لحظةٍ ما بعد عودتها من إيران، توقفت داريا عن استخدام صبغات الشعر، فهي لم تعد تشعر بالحاجة إلى أن يكون شعرها أحمر لتثبت أنها حرة. ارتدت اليوم فستاناً ذهبياً مبطناً بالحرير خاطته على ماكينة الخياطة القديمة خاصتها، ووصل الفستان أسفل ركبتها مباشرة، وأكمامه «الثلاثة أرباع» المحتشمة كانت لتُرضي جاكلين أوناسيس، بحيث إن القَصّة والطراز كانا ملائمين لأم العروس. انتقلت داريا من غرفةٍ إلى أخرى، تضع الوسائد المخمليّة في الزاوايا الصحيحة على الأرائك الوثيرة، وتسوّي حواف السجاد الفارسي، وتنخل من بين أصابعها بذور **الاسفند** المعطرة العنابية والصفراء، وتنثر قشور البرتقال على صينية لتجفّ في شمس الظّهيرة من أجل طبق **الشيرين بولو** أو أرز الزفاف الفارسي.

قامت أختها نيكي بتلميع مرآة الزفاف البيضاوية الكبيرة. كان الحصول على التأشيرة صعباً ومكلفاً بالنسبة لنيكي، ولكن بعد لمّ شملهما في إيران، تعهدت المرأتان بمواصلة الزيارات لبعضهما، كما أصرّت داريا الآن على رؤية والدها وأختها وجميع أقاربها الآخرين بانتظام. ستأتي نيكي إلى الولايات المتحدة بشكلٍ متكرّر، حتى لو كان ذلك يعني الذهاب إلى دبي والانتظار لعدة أشهر للحصول على تأشيرة الدخول. مسحت داريا البيض الملوّن الذي صبغوه باللّونين الأخضر والأزرق. تحمّست لفكرة الأحفاد. فذات يوم، ستعرف مينا تلك الحركة الأولى داخل بطنها، وذات يوم، ستحمل داريا طفلاً صغيراً وتتحسّس وجهَه الناعم بخدّها. أوقفت داريا أفكارها، فقد كانت تفكر في المستقبل بسرعة كبيرة وفي وقتٍ مبكر، وهو أمر يجلب النحس.

- «يبدو وكأنه رجلٌ طيب»، قالت نيكي.

- «هو كذلك»، قالت داريا وهي ترّتب البيض في وعاءٍ. «أخبرتني مصادري عن الأخ الأكبر، لكنها لم تذكر شيئاً عن الأخ الأصغر. ألا تعتقدين أن الأمر مُتعمَّد؟».

- «تش مدانم. ليست لديّ أدنى فكرة. المهم... أن مينا عثرت عليه، فليمنحهما اللّه حياةً معافاة وطويلة وسعيدة معاً، ويرزقهما بأطفالٍ يكبرون بأمانٍ في ظلّ والدَيهم. أدام اللّه أحدهما للآخر»، تمتمت نيكي بالأدعية وهي تلمّع مرآة الزفاف مجدداً.

دخل بارفيز حاملاً بين ذراعيه المزيد من الزهور.

- «كنتُ أول من وصل إلى سوق الزهور في تشيلسي في وقتٍ مبكر من هذا الصباح!»، قال بحماسٍ، «فمَن يستيقظ باكراً هو مَن يُنجِز!».

- «ضعْها في المطبخ، يا بارفيز، عليّ أن أنسّقها أولاً»، قالت داريا. «أوه، لا، هذه ذابلة».

- «كل شيء في الكون هو كما ينبغي أن يكون، يا داريا جون»، قال بارفيز. «لا يمكن لشيءٍ أن يكون مثالياً. ينبغي عليكِ أن تعملي. . . في دائرة طاقتك فحسب!».

- «سأعمل على إعداد حسائي، هذا ما سأفعله. شكراً لك»، قالت داريا ثم ذهبت إلى المطبخ وأسقطت سيقان الكراث في خلّاط الطعام. هذا وقد كانت داريا طوال الأسبوع قد حمّرت لحم البقر، وقطّعت السابزي، وقلَت الخضار، وأعدّت الحلويات. فالطعام في حفل زفاف مينا سيكون من صنع يديها ولن تقدِّم فيه أياً من تلك الأشياء الجاهزة. لقد أُقيم حفلُ زفاف هومان في قاعةٍ مستأجرة، وقُدِّم فيه الطعام الجاهز على خلفية موسيقى هادئة، حيث قامت عائلةُ العروس بترتيب كل شيء. كان حفلاً أمريكياً بامتياز. أما حفل زفاف مينا، فسيكون في منزل داريا، مع طعامها، وأصدقائها، وسيكون فارسياً بامتياز.

في تمام الساعة الحادية عشرة وربع صباحاً، عادت مينا من عند مصفّف الشعر، وكان شعرها الأسود مقصوصاً قليلاً، وأملسَ، ولكنه لم يُصفّف بشكلٍ مميز.

سألت داريا مينا وهي متفاجئة:

- «مينا جون، همين؟ هذا كلّ شيء؟».

- «هذا كلّ شيء»، قالت مينا.

أجبرت داريا نفسها على ألا تقول المزيد عن تسريحة الشعر البسيطة التي لم تكن تسريحة شعر عروسٍ على الإطلاق، وعن حقيقة أن الفتاة لا تكون عروساً إلا مرة واحدة في العمر (بإذن اللّه)،

وكيف أنه كان ينبغي أن يُصفّف شعرها، ويُرَش، ويُثبَّت، ويُزيَّن بشكلٍ متقن.

- «هذا كلّ شيء»، كررت مينا وهي تلقي بمعطفها على ذراع الكرسي.

وهي تشاهد مينا تصعد الدرج، شعرت داريا فجأةً برغبةٍ في الاندفاع والإمساك بها والهمس في أذنها: «مينا جون، لستِ مضطرةً إلى الزواج. يمكنكِ البقاء هنا، في هذا المنزل. لستِ مضطرةً إلى إعداد الوجبات، وإلى التعامل مع صراخ الأطفال، وإلى قضاء الليالي بجواره وأنتِ تستمعين إلى شخيره. مينا جون، أنتِ لستِ مضطرةً إلى كلّ ذلك. يمكنكي أن تظلي فتاتي الصغيرة، دائماً وإلى الأبد».

لكن بدلاً من ذلك، سمعت صوتها وهي تطلب من مينا أن تُسرع وتستعد لأنّ الضيوف سيصلون قريباً.

في المطبخ، ارتدت داريا مئزرها واستمدّت بعض الطمأنينة من قدورها ومقاليها، طنجرة الضغط المصنوعة من الحديد الصلب، ومقلاة الفولاذ الإيرانية المقاومة للصدأ. سلقت، وقلت، وحمّرت، وطحنت الجوز لتحضير طبق **الفسنجون** ذي المذاق الحامض والحلو، ودسّت حبات الزبيب والتمر بين أكوامٍ من الأرز بالزعفران، ورشّت شرائح اللوز فوق الأرز.

سمعت حركةً في الطابق العلوي، وقرقرة المياه وهي تتدفق في الأنابيب. تذكّرت حفل زفافها.

تذكّرت تلك النافذة المربعة الصغيرة ذات الضوء الأصفر المزعج في غرفة نوم ماماني. جلست داريا إلى طاولة الزينة، تمسِّد أحمر الخدود على خديها وتبكي. فكرت للحظة في تكوير جسدها

إلى شكلٍ يمكنه التسلّل من تلك النافذة المربعة والهروب منها. كان كلّ ضيوف الحفل قد تجمّعوا في غرفة المعيشة، وكان بإمكانها سماعهم وهم يهنئون والديها. إلّا أن داريا كانت في التاسعة عشرة من عمرها، ولم تكن مستعدةً للهدية التي أهدتها إياها ماماني. كان بارفيز ذو القامة الطويلة متوتراً، وقد برز الجلد الأبيض لمعصميه النحيلين من تحت أكمام قميصه، وكان حب الشباب بالكاد قد تلاشى من وجهه. خرجت داريا من غرفة النوم تلك مستعدةً للموت.

لكنها عاشت بدلاً من ذلك. وخلقت المزيد من الحياة. وأثبت بارفيز أنه لطيف وحنون وسهل المعشر، فهو اعتنى بكل احتياجاتها وأحيا أحلامها الميتة. والدتها لم تخذلها.

التقطت داريا ملعقتها المطاطية ووزّعت الكريما على الكعكة الإسفنجية التي خبزتها في وقتٍ سابق من النهار، مبتلعةً الغصّة في حلقها. لطالما أحبّت مينا كعكة داريا الإسفنجية. وفي يومها الأخير غير الرسمي في هذا المنزل، سوف تحصل على كعكة أمها الإسفنجية. سوف تمنحها داريا ذلك.

* * *

توافد الضيوف إلى المنزل، متأنقين بلباس السهرة، ضاحكين ومتحمسين. وجاء رامين برفقة والديه وأخيه الأكبر، السيد دشتي. تمّ تبادل التّحيات والقبلات والتهاني، ثم وصل المأذون الشرعي الفارسي بعد عائلة رامين، وانسحبت داريا إلى المطبخ لإنهاء الطهي.

ومن باب المطبخ المفتوح، وبينما كانت تنثر حبات التوت ذات اللون العنابي الداكن على طبق **الشيرين بولو**، ألقت داريا نظرةً خاطفة على رامين. كان يجلس إلى طاولة غرفة الطعام وأصدقاؤه يحيطون به - أصدقاء الكلية وزملاؤه في العمل على الأرجح - وكان هو يتحدث

وهم يستمعون. صفّقت امرأةٌ شقراء وطويلة القامة ببهجةٍ بينما كان رامين يروي لقاءه الغرامي مع مينا في حديقة الشعب.

ها هو ذا العريس. رتّبت مينا كرات الكفتة في طبق البايركس، مفسحةً المجال للخضروات المشوية. أين هي العروس؟

ربتت داريا على أكتاف الضيوف ووزّعت عليهم ابتساماتٍ سريعة وهي تعبر غرفة المعيشة في طريقها إلى الطابق العلوي. أين هي العروس؟

في غرفة نوم داريا في الطابق العلوي، جلست مينا على السرير، مرتديةً فستاناً أبيض، وكانت ليزا زوجة هومان، وديبورا صديقة كايفون، تطوفان من حولها، فيما كانت يُوني تثبّت طرحة العروس على شعر مينا وتهتم بريا بالباقة. للحظة عابرة، تصوّرت داريا نفسها تتناول الشاي مع ابنتها المتزوجة، فربما تصبح إحدى أولئك النساء في المتاجر والمطاعم اللواتي يرافقن بناتهن البالغات، أولئك اللواتي اعتادت رؤيتهنّ عندما جاؤوا إلى أمريكا، أولئك اللواتي جعلْنها تفتقد أمها. أدركت مينا حينها أن هذه ليست النهاية. ألم تعتمد داريا على ماماني حتى بعد زواجها؟ ستبقى هي ومينا حاضرتين إحداهما في حياة الأخرى. وعندما تعود مينا من شهر العسل، سيمكنهما الخروج لتناول الشاي معاً والتحدث عن خطط عمل مينا ومكان شراء أفضل كريم مرطب، وقد كان من دواعي ارتياحها أن تُدرك أن ابنتها ستظل ابنتها.

- «تبدين جميلة»، قالت مينا.

* * *

نزلت داريا على الدرج أولاً، وسط الهتافات السعيدة. كان بارفيز يقف مع الضيوف، يحدقون في داريا وهي تنزل بفستانها

الذهبي، ثم إلى مينا وهي تنزل بفستان الزفاف الأبيض. وعندما ظهرت مينا أمام الحضور، ضجّ الجميع بالتصفيق، وملأت الزغاريد الغرفة. وصلت داريا إلى أسفل الدرج واستدارت ونظرت إلى مينا، وكأنها تقول: «مينا جون، هذه لحظتكِ! أنتِ النجمة». ثم تنحّت جانباً.

* * *

غاص كعب حذاء مينا اللؤلؤي في السّجاد السّميك مع كل خطوة. كان عليها أن تركّز على توازنها. رفعت فستانها بيد، وأمسّكت بباقة الورود باليد الأخرى، وارتفع صوت الزغاريد أعلى وأعلى وهي تنزل الدرج، وعندما نزلت الدرجة الأخيرة، انفجر الضيوف بالتّصفيق. كان رامين يجلس على كرسي صغير بالقرب من سفره الزفاف الحريريّة المفروشة على الأرض، ينتظرها. صفّر الرجال والنساء بإعجاب، ولاحظت مينا كل شيء، فرأت الفخرَ على وجه داريا، كما بدا والدها أكثر تفاؤلاً من أي وقتٍ مضى. أطلق هومان وكايفون صفيراً ورقص رقصة صغيرة معاً. جالت مينا ببصرها في أرجاء الغرفة ورأت الخالة نيكي، ورأت يونغ-جا وكافيتا تضحكان وتصفّقان، ورأت السيد دشتي وهو يقف هناك ببدلته البيج المفضّلة، وخصلات شعره القليلة مصفّفة على رأسه بشكلٍ استراتيجي. مرّر منديلاً على جبينه بيده البدينة وابتسم، ووقفت بجانبه امرأة آسيوية صغيرة البنية، عرفت مينا أنها صديقته.

لو كانت بيتا هنا، لكانت زغردتْ لمينا بأعلى صوتها. ولكانت الخالة فيروزه بكت ولكان العم جعفر حاول إسكاتها. أما ليلى، فكانت لتفخر بوجودها هنا ولكان ابنها حمل الخاتم، وابنتها نثرت الزهور.

أما ماماني، فلو كانت هنا، لوقفت بصمتٍ وهدوء إلى جانب داريا وعيناها الداكنتان تلمعان فرحاً وفخراً، ولعلت وجهَها الناعم المتجعد ابتسامةٌ عريضة.

استقرت عيناها أخيراً على رامين الذي كان ينتظرها بالقرب من السفره ببدلته الأنيقة، وعيناه اللطيفتان تبتسمان لها. راح جسد مينا يرتجف، وسرت دغدغة من أسفل قدميها وصولاً إلى وجهها. كان بارفيز يقفز من الفرح، فيما اغرورقت عينا داريا العسليتان بالدموع حتى وهي تبتسم، ووقف أخواها شامخَين بقميصيهما الأنيقين ويصفقّان بأقصى ما استطاعا، فانفجرت مينا بالضحك.

* * *

كانت صفره الزفاف، وهي عبارة عن قطعة قماش ترمه خاطتها ماماني يدوياً لحفل زفاف داريا قبل سنوات طويلة، مفروشةً على أرضية غرفة المعيشة، وقد تلألأت خيوطها الذهبية والفضية في ضوء الشمس المتسلل عبر النوافذ. كانت متينةً وناعمةً في آنٍ واحد، تغطيها أشياء مهمة لهذه المناسبة، أمضت داريا والخالة نيكي أياماً في إعدادها وترتيبها:

مرآةٌ على رأس سفره الزفاف مضاءةٌ بالشمعدان على كلا الجانبين، وُضعت بحيث عندما تجلس مينا إلى طاولة العريس والعروس، يكون انعكاسُها في المرآة كلَّ ما يراه رامين.

صينية بهارات للحماية من الأرواح الشريرة والعين الشريرة، مرتبة بألوان مختلفة، مع بذور اسفند متناثرة بعناية لطرد الطاقة السلبية والأفكار السيئة. وفي الجزء العلوي من الصينية، كتبت داريا «مبارك باد، تهانينا» بحبات الأرز البري.

مناديل من الدانتيل على شكل حمام تحمل في مناقيرها حبات لوز باللون الأزرق الباستيل والوردي والأبيض.

خبز **سنجاك** مسطّح كبير مكتوب عليه «**مبارك باد**» ببذور القرفة ومزيّن على الجوانب بجبنة الفيتا والأعشاب الخضراء.

وعاءٌ من البيض الملوّن يرمز إلى الخصوبة.

أوعية من الحلويات والمعجنات الفارسية الصغيرة التي أعدتها داريا، والمُلبَّس، وبسكويت الأرز، وبسكويت الحمص، وبسكويت اللوز، والبقلاوة.

وعاءٌ من العسل لضمان مستقبل حلو للعروسين.

قالبا سكّر لاستخدامهما خلال حفل عقد القران.

مصحفٌ مفتوح إلى جانب المرآة، محاطٌ ببتلات الياسمين والورد.

وفي أحد أركان **سفره** الزفاف، أضافت مينا صندوق **الخاتم** الذي يحمل صورة المرأة ذات الرموش الطويلة والرجل الذي يقبّلها، كذكرى من رحلتها إلى إيران.

* * *

جلست مينا على المقعد الصغير بجانب رامين أمام **سفره** الزفاف. كان الكرسي صغيراً، بحيث كانا قريبين جداً من بعضهما لدرجة التلامس. وُضعت قطعةٌ من الحرير الأبيض فوق رأسيهما، ودعت التقاليدُ النساءَ السعيدات في زواجهن لأن يرفعن طرفَي قطعة الحرير، فرفعت داريا الجانب الأقرب إلى رأس مينا، وأمسكت الخالة نيكي بالجانب الآخر. وفركت والدةُ رامين، وهي امرأة طويلة وأنيقة، شعرها مصفّف على شكل كعكة، قالبَي السكر فوق قطعة الحرير البيضاء، كرمزٍ إلى إمطار السعادة والهناء على العريس والعروس.

- «أودّ أن أرحّبَ بالجميع في مراسم حفل الزفاف هذه»، قال

المأذون الشرعي بلكنته الإيرانية الثقيلة، «نحنُ هنا اليوم لعقد قِران هذا الرجل وهذه المرأة».

ثم راح المأذون يترجم ما قاله للتو إلى اللغة الفارسية.

تنهدت مينا. سيستغرق الأمر وقتاً طويلاً.

وفيما استمر المأذون في حديثه شارحاً كلّ شيء باللغتين، أضاف أيضاً أدعيةً باللغة العربية. لم تفهم مينا كلمةً واحدة من تلك الأدعية، وأرادت مدّ يدها وسحب تنورة داريا كما كانت تفعل عندما كانت طفلة، لتطلب من المأذون أنْ يُسرع وينجز الأمر.

وكأنه قرأ أفكارها، مدّ رامين يده إلى مينا وأمسك بيدها، وبينما كان المأذون يتكلّم، رفع رامين يدَ مينا وقبّلها، فتفاجأت مينا وأطلقت صرخةً صغيرة، ما جعل المأذون يتلعثم للحظة، ثم يستأنف كلامه بصوتٍ أعلى.

- «إن الزواج بالنسبة إلى الرجل والمرأة لتعبير عن إخلاصهما وتفانيهما».

شدّ رامين على يد مينا.

وبعد ما بدا خطاباً طويلاً جداً، سأل المأذون أخيراً:

- «مينا رضائي، هل توافقين على الزواج من السيد المهندس رامين دشتي؟».

لم تقل مينا شيئاً.

- «لقد ذهبت لتقطف الزهور!»، صرخت الخالة نيكي.

- «إنها تقطف الياسمين الجميل!»، قالت داريا.

- «لقد ذهبت إلى المكتبة»، صاح بارفيز.

ظلّت مينا صامتةً، ولم تقل نعم في المرة الأولى، كما تقتضي التقاليد الفارسية.

- «هل تقبل ذلك؟ هل تريد الزواج من رامين؟»، سأل المأذون ثانيةً.

- «إنها مشغولة»، صاح هومان.

- «لديها مليون شيء لتفعله»، قال كايفون.

- «لديها امتحانات لتحضّر لها»، صاحت يونغ-جا وقد فهمت ما يجري.

بقيت مينا صامتةً، تلعب الدور المطلوب منها.

- «سأسأل مرةً أخرى»، قال المأذون، «هل تقبل هذه السيدة الزواج من هذا الرجل؟».

رفعت مينا نظرها من خلف طرحة العروس وأزالتها عن رأسها، ثم قالت: «نعم!».

قفز بارفيز في الهواء، وصفّر كايفون وهومان، وانفجرت الغرفة بالتّصفيق والهتافات، ووضعت الخالة نيكي يداً فوق شفتيها وأصدرت زغرودة عالية: **لوووو لوووو لوووو لوووو!"**.

وبعد أن قال رامين نعم من المرة الأولى كما تقتضي التقاليد من العرسان، تبادلا الخواتم، حيث سلّم هومان وكايفون الخاتم لمينا، وسلّم السيد دشتي الخاتم لرامين.

سقطت قطعة الحرير البيضاء المعلقة فوق رأسيهما خلفهما وسط الهتافات والموسيقى، وانحنت داريا إلى حيث جلست مينا ورامين ومدّت لهما وعاءَ العسل، فغمس كلٌّ منهما خنصره في العسل، ووضع العسل في فم الآخر. امتص رامين العسل من إصبع مينا، كما امتصت مينا العسل من إصبع رامين، وذلك من أجل الحلاوة، من أجل الحياة.

كانت داريا أولَ مَن قدّمت لهما هديّتها، وهو عقدٌ من الذهب

كانت قد أهدتها إياه ماماني يوم زفافها، كان مُلكاً لأمِّ ماماني. توافدت النساءُ على مينا وقمْن بتسليمها علب مجوهرات، كان بعضها جديداً وأمريكي الصنع من ماركات مرموقة مثل تيفاني وفورتونوف، لكن كان أغلبها ملفوفاً في أكياس مخملية صغيرة قديمة، تضمّ قطعاً من الذهب أو الفضة كانت تملكها الجدات وجدات الجدات. اقترب الضيوف من رامين وقبّلوه على وجنتيه، ثم قبّلوا وجنتَي مينا، كما احتضنوهما في عناقٍ تلو عناق. وعانقت مينا والدة رامين، ووضعت الخالة نيكي عقداً آخر حول عنق مينا، كما وضع أحدهم - لم تعرف مينا مَن - سواراً حول معصمها، وسرعان ما أحاطت علبُ المجوهرات بأقدام مينا ورامين.

انحنت داريا كي تضع العلب جانباً وتحافظ عليها منظّمةً في كومةٍ مرتبة، واستمر الضيوف في القدوم لتهنئة العروسين، وسرعان ما كان رامين يمسح عينيه، ومينا كذلك، فأعطتهما داريا المناديل، وراحت مينا تضحك، ثم تبكي، ثم تضحك من جديد.

ثم تمّ تشغيل أغنية **مبارك** بكلماتها التي تتمنى الفرح والسعادة للعروسين، فراح الضيوف يرقصون، وانضمم الأزواج والمجموعات في دائرةٍ، ونهض رامين ومينا من مقعدهما وتجوّلا في الغرفة ليصاحفا الضيوف ويقبّلاهم.

- «يجب على العريس والعروس أن يرقصا!»، هتف بارفيز.

رفع رامين يديه في الهواء ببطء مثل راقص الفلامينكو، ودقّ بقدميه على الأرض، وحرّك حاجبيه إلى أعلى وأسفل باتجاه مينا، فتردّدت مينا للحظة، ثم حاولت تقديم أفضل ما لديها في الرقص الفارسي. تحركا معاً وسط تصفيق الحضور، وعندما انتهت الأغنية، رأت مينا والدها يهرع نحو منسق الموسيقى وكأنه في مهمة.

- «أبي، لا، لا تفعل، أرجوك»، صاح كايفون.

ولكن كان الآوان قد فات، وفي غضون دقائق، امتلأت الغرفة بالنغمات الأولى المألوفة لأغاني ABBA الكلاسيكية التي تعود إلى حقبة السبعينيات.

- «أنتِ ملكة الرقص!»، قال بارفيز وهو يشير إلى مينا.

وفي حركةٍ هي نصف عجلة ونصف قفزة من الفرح، انضم الأب إليها وإلى رامين على حلبة الرقص، ثم انضم إليهم بعد بضع دقائق هومان وليزا، وكايفون وديبورا أيضاً.

* * *

راقبت داريا عائلتها وهي ترقص. راقبت بارفيز وهو يقفز مع مينا ورامين، وراقبت ليزا، زوجة هومان الحكيمة طبيبة الأطفال، وديبورا، صديقة كايفون اللطيفة والمبدعة، وهما ترقصان مع ابنيها، الابنين اللذين خشيت أن يموتا على حدود إيران، واللذين كانت عازمةً على تشكيل مستقبلهما دون أن يشاركا في الحرب. لقد باءت مهمتها في حماية أطفالها بالنجاح. فرغم أنّ أمريكا لن تكون موطناً لها أبداً، إلا أنها في يومٍ كهذا، كانت تقدّر كثيراً الهدايا العظيمة التي استطاعت أن تمنحها لأولادها.

- «ارقصي معنا!»، نادت مينا على داريا. «هيا تعالي، يا أمي!».

- «هيا، يا داريوش، تعال!»، نادى رامين على أخيه الأكبر.

تردّد السيد دشتي الأكبر في بداية الأمر، إلا أنه ركض بعد ذلك إلى حلبة الرقص مع صديقته الصغيرة، وقاما كلاهما بحركات ديسكو جامحة، فهتف وصفق لهما الجميع.

فكرت داريا بأنهم نجحوا، فلم تقتلهم القنابل، ولم يسجنهم

الحرس الثوري، ولم يُصادر منزلهم، وغادرت عائلتهم وهي على قيد الحياة.

وهي تسير إلى المطبخ لإحضار الكعكة، كانت داريا مدركةً تماماً أنّ مكان ماماني فارغٌ الليلة، إلا أنّ الفرح في منزلها تفوّق على الفقد، وهي كانت ممتنّةً لذلك أشدّ امتنان.

* * *

قامت كافيتا ويونغ-جا بمساعدة داريا في وضع الكعكة على طاولة الطعام نفسها التي حللن عليها المعادلات معاً لسنوات. وقفت مينا ورامين ليلتقط لهما كايفون الصور، وأدركت داريا حينها أنها نسيت أن تحضر سكيناً، لكن وقبل أن تتمكن من إحضارها، خرج بارفيز من المطبخ حاملاً ملعقة بلاستيكية سوداء ضخمة.

- «إنها كعكة زفافها، بحق السماء!»، قالت داريا، محاولةً إيقافه.

لكن كان الأوان قد فات، إذ قامت مينا بغرس الملعقة في الكعكة وهي تضحك، وبتقطيعها إلى قطع كبيرة غير متساوية.

انكمشت داريا على نفسها خجلاً عندما وُزِّعت قطع الكعك غير المتساوية. قام رامين بوضع قطعة من الكعك في فم مينا برفق، فيما غرفت مينا بعض الكعك لرامين وقد سقط فُتاتٌ على قميصه الجميل، وراح كلاهما يضحكُ وسط كل هذه الفوضى. قالت داريا لنفسها بأن تدع الأمر يمر. فالحياة الحقيقية فوضوية. هي لن تكون منطقيةً أبداً، ولن تكون مثاليةً أبداً. لم تكن هناك حاجة لذلك.

* * *

في وقتٍ لاحق، دخلت مينا إلى المطبخ ووضعت ذراعيها حول رقبة داريا.

- «أوه، أمي»، قالت مينا فيما حاولت داريا موازنة حلوى الزعفران على الصينية، «كان كل شيء لذيذاً جداً! شكراً لكِ! كانت الكعكة ناجحةً حقاً. . . ».

- «كان ينبغي عليكِ استخدام السكين»، قالت لها داريا، وليس للمرة الأولى.

- «هذا كل ما أردته. هذا كلّ شيء»، قالت مينا.

تمايلت داريا على قدميها. كانت مُرهقةً. لقد عملت حتى لم تعد تشعر بأصابعها، وقضت الليالي دون أن تغفو لها عين لتحضّر سفره الزفاف. وضعت الصينية واستندت إلى منضدة المطبخ.

- «أتعلمين؟»، قالت مينا وهي تبعد خصلة شعرٍ عن وجه داريا، «إنها هنا. أنا أعلم ذلك. ماماني معنا هنا الليلة».

كانت عينا مينا قد اغرورقتا بالدموع. أغمضت داريا عينيها لتمنع دموعها من الانهمار وأومأت برأسها، وشعرت بالارتياح عندما جذبتها مينا إليها وعانقتها بقوة.

- «تعالي»، قالت مينا وهي تمسك بيد داريا وتخرجها من المطبخ. «لقد تعبتِ بما فيه الكفاية. تعالي وارقصي معي، يا أمي».

- «لا، يا مينا جون»، قالت داريا مقاومةً.

- «نعم»، قالت داريا.

عندما وصلتا إلى وسط غرفة المعيشة، انضمت داريا ومينا إلى بقية الضيوف الراقصين. قامت داريا بمحاكاة حركات مينا، فمايلت وركيها ودوّرت يديها. تذكرت كيف أنها علّمت مينا وهي في الثالثة من عمرها هذه الحركات نفسها، وهي تعيد تشغيل الموسيقى مرةً بعد الأخرى. كان الفرح على وجه تلك الفتاة ذات الثلاث سنوات أمام

عينيها الآن. إلّا أنّ ابنتها أصبحت عروساً الآن. لقد حدث كل ذلك في دقيقة.

عندما انتهت الأغنية، توقفت مينا، وشعرت داريا بالارتياح لالتقاط أنفاسها، فيما راح بقيةُ الضيوف يرقصون على إيقاعٍ جديد.

وقفت مينا بلا حراك أمام داريا، وفتحت فمها وكأنها على وشك أن تقول شيئاً، لكنها أغلقته من جديد.

- «ما الأمر، يا مينا؟ هل أنت بخير؟».

- «أتعلمين، يا أمي»، قالت مينا بهدوء، «أنا لم أشكركِ».

- «لقد شكرتني للتو. في المطبخ».

- «لا، أعني أنني لم أشكرك حقاً، على الإطلاق».

كانت الموسيقى تصدح من حولهما، وكان الناس يرقصون، تائهين في عوالمهم الخاصة.

وضعت مينا يديها على كتفي داريا وتوقفت للحظة، ثم قالت:

- «شكراً لك، يا أمي، على كل شيء. شكراً لكِ على سفره الزفاف. شكراً لكِ على الطعام. على زحمت، جهودك خلال الأسابيع القليلة الماضية. على كل ما قدمته لي. على كل عملكِ الشاق طوال هذه السنوات. على كل ما فعلته من أجلي».

شعرت داريا حينها أنّ هذه اللحظة تستحق كلّ ما عاشته. رأت انعكاسها في عينَي ابنتها. وكانت لتقول هذه الكلمات نفسها لماماني لو أمكنها ذلك.

وقد فعلت ذلك، في قلبها.

شكر وتقدير

طلب مني ليونارد مايكلز قبل سنوات أن أكتبَ هذا الكتاب، وقد استغرق مني الأمرُ بعض الوقت. ليني، كم أتمنى لو أنك لا تزال هنا.

أريد أن أشكر محررتي، لي بودرو. إنها بمثابة حلم تحوّل إلى حقيقة. إن مهارتها، ونشاطها، وروح الدعابة لديها جعلت العمل معها على هذا الكتاب تجربةً ممتعةً للغاية. والشكر الجزيل لمساعِدتها، كارين ماين، التي ساعدت نظرتُها الثاقبة ومواهبُها اللامحدودة هذا المشروعَ كثيراً. وشكراً أيضاً لمصممة الغلاف أليسون سالتزمان، ومحرّرة الإنتاج تامارا أريلانو، ومحررة النصوص جورجيا ماس، والفريق الرائع بأكمله في إيكو.

أنا ممتنةٌ لوكيلتي الأدبية الحكيمة والرائعة، ويندي شيرمان، فبفضل إيمانها بشخصياتي، أبصرَ هذا الكتابُ النورَ ووجد وطناً له. وتقديري العميق أيضاً لجين روزنمان، لنصائحها الممتازة.

ولا يمكن نسيان بعض المعلِّمين القيمين. فقد شجعني تشارلز موسكاتين على أن أصبح كاتبةً، وأشرف تشاك واتشيل على أطروحتي

لنيل الماجستير في الكتابة الإبداعية. وقدّم فصل إي. إل. دكتورو الدراسي في كتابة الرواية إرشادات راسخة. كما أن ألكسندر تشي ليس مدرّساً موهوباً فحسب، بل أحد أكثر الكُتّاب سخاءً في زمننا.

شكراً لزميلاتي اللواتي قدّمن تعليقاتهن على المسودات الأولية: كورتني أنجيلا بركيتش، وكارا ديفيس كونوموس، وسوزان كارلتون، وفكتوريا فريزر، وليزا ليبرتي بيكر، ولي هوفمان، وتشاريتي تريمبلاي، ولارا جي. كي. ويلسون. والشكر الجزيل لليندا ك. ويرذايمر التي انضمت إليّ في أكثر من جلسة شاي وحرصت على ألّا أتخلى عن مشروع هذا الكتاب أبداً.

ساعدتني محاضرة تشارلز باكستر عن «ما حصل لا يمكن الرجوع عنه» في مؤتمر «كتّاب بريدلوف» لتشكيل أفكار داريا. وكان كتاب الطبخ **طعام جديد للحياة** لنجمية باتمانغليج مصدراً رائعاً لمستلزمات حفلات الزفاف الإيرانية التقليدية. وقد وفّرت شبكةُ العلاقات المهنية لونش لاب بشارع غراب معرفةً وتواصلاً مشكوراً بعد الانتهاء من الكتاب، فشكراً لجميع زملائي في لونش لاب، وللين غريفين وكاترين شومان لكونهما مرشدتين رائعتين.

تحدّى المصوّر الاستثنائي ديفيد إي. لورانس صباحَ خريفٍ شديد البرودة في بحيرة والدن بوند ليُبدع على كاميراه، فمهاراته ليست لها مثيل. وشكراً لعائلتَي لورانس على صداقتهما، وشكراً لمارجوري ترافيس على رأيها ومحادثاتها العديدة.

شكراً لأختي مريم التي شجعتني على كتابة المقالات بالإنجليزية عندما كنا طفلتين في إيران. لقد أعطتني الكلاسيكيات لأقرأها. أنا ممتنة لأنّ علاقتنا صمدت أمام الحرب، والثورة، والقارّات التي تفصل بيننا.

لطالما كانَ حبُّ أمي وإيمانُها بأنني أستطيع النجاح في أي شيءٍ أسعى إليه هما القوة الدافعة في حياتي. إنّ طاقتها وقوتها اللامحدودتين في مواجهة الصعاب لَمصدر إلهام كبير لي، كما أنّ ما أطبخه هو أطباقها، وما أعدّه هو شايها، وما أحمله هو روحها.

لطالما شجعتني حكمةُ والدي وهدوؤه كثيراً. ورغم عقودٍ من الأمراض المنهكة، والعمليات الجراحية العديّدة، والألم المزمن، فقد احتفظ بتفاؤله وروح الدعابة لديه. إنّ حبي واحترامي له ليس لهما حدود. إنه توأم روحي.

أنا مدينةٌ بالشكر الجزيل لزوجي كامران، فهو كان أكبرَ داعمٍ وأصدقَ صديقٍ لي طوال رحلة هذا الكتاب. لقد ساندني حبُّه دائماً. وهو رائعٌ حقاً في التفكير في عناوينَ للفصول. شكراً كامران جون على كل شيء.

والشكر الجزيل لولدَيَّ، منى وورود، لقد أثرى إبداعكما وفرحكما ومشاغبتكما أيامي بطرقٍ لم أكن أتخيّلها أبداً. أتمنى أن تُحققا أحلامكما وطموحاتكما، حتى لو استغرق الأمر بعض الوقت.

وإلى جدّتي، ماماني. كم أتمنى لو كان لدينا المزيد من الوقت.

مكتبة
t.me/soramnqraa

مرجان كمالي

جلسة شاي في أصفهان

شبكت داريا ذراعها بذراع مينا.

ـ «هيا بنا، يا مينا. لنذهب ونتناول الشاي معاً».

اصطحبتْها إلى صالة شاي عرفتها قبل سنوات، بالقرب من جسر الثلاثة والثلاثين قوساً. كان الباب مخفيّاً تحت الجسر وكانت درجاتٌ تؤدي إلى غرفةٍ مريحة ودافئة يقدَّم فيها الشاي. كانت داريا سعيدةً بأنها وجدت صالة الشاي كما تذكّرتها.

جلس الناسُ حفاةً على السجاد الفارسي، متكئين على وسائد مغطاة بسجادٍ قرمزي وعنابي اللون. دخّن الرجال «القليان»، الشيشة، فيما شربت النساء الشاي باسترخاءٍ وهدوءٍ.

عندما أحضر النادل الشايَ وقطعَ السكر الأبيض الثلجي في أطباقٍ شفافة، قررت داريا أن الوقت قد حان لتسأل مينا.

ـ «إذاً»، قالت وهي تتنحنح، «هل أنتِ عاشقة الآن؟».

استخدمت داريا كلمات الشعراء الفارسيين: «عشق» أي حب، و«عاشق» أي واقعٌ في الحب.

ـ «أستميحكِ عذراً؟»، قالت داريا وقد تجمدت ذراعها في الهواء.

ـ «هل هو لطيف؟»، سألت داريا. «فكما تعلمين، يا مينا، هناك الكثير مما يمكن قوله عن التعليم، والمهنة، وتاريخ العائلة، والمظهر. ولكن إذا كان هناك شيء واحد مهم، فهو الطباع. هذا هو الشيء الوحيد الذي يدوم. واللطف سيعبُر بك تقلبات الحياة».

ـ «إنه لطيف جداً».

ـ «حسناً، هذه بداية جيدة».

مكتبة
t.me/soramnqraa

المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
markaz.casablanca@gmail.com